النسور

شتاء
2025
العدد رقم (14)

أندريه زكي

لماذا العهد القديم مهم؟

حنا كتناشو

البدايات الجديدة

عيد صلاح

العهد القديم في العصر الوسيط

ملف العدد
دراسات في العهد القديم

مجلة غير دورية تصدر عن
الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية

شتاء 2025 العدد رقم 14

افتتاحية العدد

د. ق. أندريه زكي، رئيس التحرير ١

في هذا العدد تقرأ

ق. عيد صلاح، مدير التحرير ٥

مقالات ودراسات عن الميلاد:

البدايات الجديدة : قراءة في سلسلة نسب المسيح متى ١
د. ق. حنا كتاشو ٨

فتاةٌ تَلِدُ طفلًا، يفتح نافذة السَّماء على البشرِ: "تحليل تاريخيّ ولاهوتيّ لنبوءة إشعياءَ ٧ و٨ ومتى ١"
ق. جادلله نجيب ١٤

خواطر ميلادية:

ش. رضا صلاح ٣٠

ملف العدد: دراسات في العهد القديم ٣٨

كيف نقرأ العهد القديم اليوم؟
د. ق. يوسف سمير ٣٩

مُقدِّمةٌ إِلَى العَهْدِ القَدِيمِ: قراءة نقديَّة في كتاب حنَّا كتاشو
م. جورج إسحق ٥٣

التنوع الأدبيّ في العهد القديم
ق. بيتر وديع ٦٨

قانونية أسفار الكتاب المقدس
د.ق عاطف مهني ٧٢

قانونية العهد القديم
د. ق. مجدي صديق ٨٤

ما علاقة العهد القديم بالعهد الجديد؟ المصلح جان كلفن إنموذجًا
ق. سهيل سعود ٨٨

العهد القديم في العصر الوسيط: سعديا الفيوميّ ودوره في ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربيّة في القرن العاشر الميلاديّ
ق. عيد صلاح ١٠١

إله العهد القديم وإله العهد الجديد؟
د. ق. أشرف عزمي ١٢٥

هل إله العهد القديم مختلف عن إله العهد الجديد؟
ق. نصر الله زكريا ١٣٥

مفهوم العهد في الكتاب المقدَّس
ش. د. شريف عاطف ١٤٥

قضية الأرض في فكر الكتاب المقدس
ق. حمدي سعد ١٥٦

العدل والرحمة في العهد القديم
أ. صفاء صبحي ١٦٠

شذرات كتابية:
ش. أسامة رشدي ١٦٦

دراسات حرة:

حُجّاجُ الرَّجَاءِ في يُوبِيل الرَّجَاء
د. أشرف ناجح إبراهيم عبد الملاك ١٦٩

ملحق العدد:

العهد القديم والحفر عند جذور الكلمات وفهم المصطلحات: الفلسطيون والفلسطينيون؛ إسرَإيل وإسرائيل إنموذجًا
إعداد وتقديم القس عيد صلاح

مجلة «النسور»

رئيس التحرير:
د.ق. أندريه زكي

مديرا التحرير :
ق. محسن منير
ق . عيد صلاح

سكرتير التحرير:
جيهان عيد

مستشار التحرير:
هاني لبيب

مجلس التحرير:
ق. أمير ثروت
ق. بيتر وديع
ق. سامح إبراهيم
د.ق. وجيه يوسف
د.ق. يوسف سمير

إخراج فني:
وجدي جميل

تصميم غلاف:
آن مجدي

بقلم

رئيس التحرير

لماذا العهد القديم مهم؟

د.ق. أندريه زكي

رئيسُ الطائفةِ الإنجيليَّةِ بمِصْر

رئيسُ الهيئةِ القبطيَّةِ الإنجيليَّةِ للخدماتِ الاجتماعيَّة

> "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ"
>
> (٢تيموثاوس ٣: ١٦-١٧).

ما أرهب هذه الكلمات التي يكتبها الرسول بولس لتيموثاوس تلميذه؛ فهي تعلمنا كثيرًا عن دور كلمة الله في حياتنا.

هذه الكلمات الخالدة كُتبت قبل زمن ليس بقليل من إقرار قانونية أسفار العهد الجديد، والواضح من قرينة هذه الآيات أن المقصود هو أسفار العهد القديم؛ لأن العهد الجديد كان في طور التكوين آنذاك. وفي حين أن بولس في الآية ١٥ يتحدث عن معرفة تيموثاوس بالكتب المقدسة "الْقَادِرَةَ أَنْ تُحَكِّمَكَ لِلْخَلاَصِ، بِالإِيمَانِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"، فهو في الآية ١٦ يعلن أن "كل الكتاب"

هو موحى به من الله، بمعنى أن هذه الكتب كلها تؤلف وحدة متكاملة لا تتجزأ لأنها كلها "موحى بها من الله".

ولعل تأكيد الرسول بولس أن الكتب المقدسة قادرة أن تحكِّم الإنسان للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع، يشدد على أن كل الكتاب الذي كُتب بوحي الروح القدس كتب لخلاصنا ليعلمنا عن الله وعن الخلاص الذي يريده للإنسان، وبالتوبيخ للوعي بالخطية التي تبعد الإنسان عن الله... وكل هذه الخطوات والأدوار هي مسيرة التشكيل الذي تجريه كلمة الله في داخلنا.

من هذا المنطلق أود أن أشير إلى الأهمية التي تحظى بها أسفار العهد القديم في إيماننا المسيحي. ولقد قاومت الكنيسة منذ نشأتها أي فكر غريب تجرأ على إنكار أهمية أسفار العهد القديم، بدءًا من محاولات ماركيون أو مارسيون Marcion، ابن أسقف سينوب بآسيا الصغرى، والذي كان أحد أتباع الغنوصية في القرن الثاني الميلادي؛ إذ علم أن العهدين القديم والجديد متناقضان وأن إله العهد القديم كان إلهًا قاسيًا وغير محب، وأن العهد القديم يرسخ لديانة تقوم على الناموس والبر الذاتي ورأى على النقيض من ذلك أن العهد الجديد يعلم ديانة مختلفة من النعمة والإيمان والحرية. وبالطبع واجه آباء الكنيسة الباكرة هذا المهرطق الأول والأبرز في نظر الكنيسة الباكرة.

ورغم قدم قصة ماركيون هذا إلا أن عبر التاريخ الطويل ظهرت بعض الآراء التي أغفلت أهمية العهد القديم في إيماننا المسيحي.

لكن من يقرأ الكتاب المقدس جيدًا لا بد أن يدرك أنه وحي الله وأنفاس الله، وأن إله العهد القديم وإله العهد الجديد هما الإله نفسه. ومن يتبع شخص المسيح حقًّا فسيجد فيه تحقيق نبوات العهد القديم، وأن السيد المسيح نفسه أكد أن فيه تتحقق كل النبوات؛ ففي إنجيل لوقا ٤: ١٨ يقرأ السيد المسيح نبوة إشعياء النبي:

"رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ...".

ويؤكد للحضور بعد قراءته أن "الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ" (آية ٢١). ويعود السيد المسيح في موقف آخر ليؤكد "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (متى ٥: ١٧-١٨). فهو لم يأتِ لينقض العهد القديم بل ليتمِّمه

ولا يمكن أمام هذه التأكيدات أن نهمل أو نتغاضى عن وحي اللّٰه في العهد القديم، الذي قرأه المسيح بذاته، واقتبس كلماته ليشير بها إلى شخصه وعمله، والذي يشير بكل كلماته لعمل المسيح الفادي، وخطة اللّٰه لخلاص البشرية، وهو القادر أن يحكِّمنا للخلاص بالإيمان بيسوع المسيح.

كما لا يمكن أن نغفل إيمان الرسل بما أوحى به اللّٰه في العهد القديم، فنجد بطرس في عظة يوم الخمسين الشهيرة (أعمال ٢: ١٤-٣٦)؛ إذ يستند في افتتاحية عظته إلى نبوة يوئيل النبي:

"وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا".

وفي مواضع كثيرة من رسائل الرسول بولس والعبرانيين ورسالتي بطرس ورسائل يعقوب ويوحنا ويهوذا، نجد العهد القديم في كل سفر حاضرًا وشاهدًا لشخص المسيح.

وختامًا، إن العهد القديم ليس مجرد نصوص تاريخية قديمة، أو نصوصًا تشريعيَّةً، أو قوائم أنساب... بل هو إعلان إلهي يمهد الطريق لمجيء المسيح ويشهد عنه ويتنبأ به. من خلاله نفهم طبيعة اللّٰه، ونتأمل في وعده بفداء البشرية، ونرى إتمام النبوات في شخص يسوع المسيح. وكما أكد المسيح والرسل، فإن العهد القديم جزء لا يتجزأ من كلمة اللّٰه الحية، وهو مصدر للتعليم والتقويم. لذا علينا أن نتعمق في دراسته لنفهم أكثر عمق محبة اللّٰه وقصده من أجل خلاص الإنسان.

في هذا العدد تقرأ

يفتتح الدكتور القسّ أندريه زكي، رئيس التحرير، هذا العدد بمقالة تحت عنوان: لماذا العهد القديم مهم؟ والذي يؤكد فيه أن العهد القديم ليس مجرد نصوص تاريخية قديمة، أو نصوصًا تشريعيَّةً، أو قوائم أنساب... بل هو إعلان إلهي يمهد الطريق لمجيء المسيح ويشهد عنه ويتنبأ به. من خلاله نفهم طبيعة الله، ونتأمل في وعده بفداء البشرية، ونرى إتمام النبوات في شخص يسوع المسيح. داعيًا إلى أنه علينا أن نتعمق في دراسته لنفهم أكثر عمق محبة الله وقصده من أجل خلاص الإنسان.

ويضم العدد بين جنباته ثلاثة أقسام كبرى: الأولى، مقالات ودراسات حول الميلاد، والثاني، ملف العدد: دراسات حول العهد القديم، والثالث، أبواب ثابتة ودراسات حرة، ومعهم ملحق العدد.

القسم الأول: الميلاد

يشمل القسم الأول حول الميلاد ثلاث مقالات ودارسات: يبدأها الدكتور القسّ حنا كتاشو، وهو راعٍ وأكاديميّ فلسطينيّ، بدراسة تحت عنوان: "البدايات الجديدة" وهي قراءة في سلسلة نسب المسيح متى ١، يجملها في خمس نظرات: النظر إلى الماضي أو الخلف، النظر إلى الحاضر أو حولنا، النظر إلى المستقبل أو الأمام، النظر إلى فوق، والنظر إلى أسفل. هذه النظرات مهمة لتكون البداية الجديدة بداية جيدة. ويخرج من خلال كل نظرة دروسًا مفيدة لواقعنا الحالي.

أما القسّ جادالله نجيب، وهو قسّ مصريّ يخدم في لندن، فيشارك بدراسة عنوانها: "فتاةٌ تَلِدُ طفلًا، يفتح نافذة السَّماء على البشرِ: تحليل تاريخيّ ولاهوتيّ لنبوءة إشعياء ٧ و٨ ومتى ١". تعرض الدراسة

تحليلًا للنبوة الواردة في إشعياء إصحاح ٧ في ضوء الظّروف السّياسيّة والدّينيّة، وعلاقتها بوعد اللّه لشعبه، ومن ثم ربطها ببشارة متى ١: ٢١ و٢٢، ودراسة الأسباب التي جعلت البشير متى ينفرد ويتفرّد في إلقاء الضّوء بوضوح على أنّ بشارة السّيدة العذراء مريم بولادة طفل يدعى عمانوئيل هو تحقيق لنبوة إشعياء.

وفي "خواطر ميلادية" يقدم الشيخ رضا صلاح، شيخ الكنيسة الإنجيليّة بالعياط، وموجه لغة فرنسيّة، خمسة خواطر حول حدث الميلاد: ملء الزمان، لمن كان التجسد؟، أراد تخلينها سرًّا، تحرك الجنين في بطن أليصابات، المجوس والهدايا، ومع كل خاطر تطبيق عملي لحياتنا.

القسم الثاني: ملف العدد

يشمل القسم الثاني على ملف العدد وموضوعه: دراسات في العهد القديم، يبدأ الملف بدراسة الدكتور القسّ يوسف سمير تحت عنوان: كيف نقرأ العهد القديم اليوم؟ يناقش الكاتب التحديات التي تواجه القارئ المعاصر للعهد القديم وهي: تحديات لغويّة، تفسيريّة، أخلاقيّة، ويُقدّم طريقةً للقراءة المعاصرة في ضوء هذه التحديات في: القراءة الموضوعية، الواعية، المتضعة.

ثم يُقدم م. جورج إسحق قراءة نقديّة لكتاب: "مُقدِّمَةٌ إِلَى العَهْدِ القَدِيمِ: قراءة نقديَّة في كتاب حنَّا كتاشو". حيث يخوض الكتاب بحر العهد القديم، ذاك البحر المُتّسع المضطرم بأمواج المُعضلات التَّاريخيَّة والسِّياقيَّة والجدليَّة، التي دفعت بعضًا إلى رفضه جزئيًّا أو كُليًّا، لكنّ الكاتب هُنا يقدِّم زاوية متفرِّدة للنَّظر إليه، تضعه في صفِّنا لا ضدَّنا، زاوية تفتح للمسيحيِّ العربيّ اليوم في سياقه مُصالحةً مع نصوصه وقابليَّة للتَّطبيق العصريِّ، تقوم هذه الزَّاوية والآليَّة على نموذج المسيح. يعرض الكتاب إلى منظومة العهد في أسفار العهد القديم بدءًا من آدم ومرورًا بنوح وإبراهيم وموسى، ثم يُشير لنا إلى ذاك الذي سيأتي مُحقِّقًا للوعد ومُتمِّمًا للعهد، ابن داود يسوع النَّاصري، الكاهن على رتبة ملكي صادق، الذي هو الرَّابط الجامع بين العهد القديم والعهد الجديد.

ويعرض القسّ بيتر وديع في دراسته: "التنوع الأدبّي في العهد القديم" باعتبار أنَّ الكتاب المقدّس أحد أهم النصوص المقدّسة في تاريخ البشريّة، ليس فقط لمحتواه الروحيّ واللاهوتيّ، ولكن أيضًا لتنوعه الأدبيّ الرائع. فالكتاب المقدّس يضم ٦٦ كتابًا، كتبها مؤلفون مختلفون على مر القرون في سياقات تاريخيّة وثقافيّة متنوعة، ويعرض مجموعة واسعة من الأشكال الأدبيّة. هذه الأشكال تثري النصّ، مما يسمح له بمخاطبة عدد كبير من الجماهير، وتوصيل الحقائق الإلهيّة بطرق عميقة. ولذلك فإن فهم هذا التنوع أمر بالغ الأهمية للدراسات الأدبيّة واللاهوتيّة، ومن غير إدراك هذا التنوع لا يُمكن تفسير الكتاب المقدّس بدقة، وبالتأكيد سنضل بعيدًا عن الرسالة اللاهوتيّة الأصيلة له.

في دراسة تحت عنوان: قانونية أسفار الكتاب المقدس" يقدم الدكتور عاطف مهني معنى كلمة قانونية، أهمية القانونية وتزايد الحاجة إليها،

المعايير التي أقرت عليها قانونية أسفار العهد القديم، المعايير التي أقرت عليها قانونية أسفار العهد الجديد، وتطور قانونية أسفار العهد القديم، تطور قانونية أسفار العهد الجديد، وختم دراسته بالقول: إن تحديد الأسفار القانونية، التي يمكن أن تستخدم في العبادة وتعليم شعب الرب، مرت خلال رحلة طويلة تراكمية، شهدت عمل الروح القدس وإرشاده لقادة الكنيسة وآبائها استخدموا فكرهم ودراستهم، وضميرهم، لاتخاذ قرارات مصيرية في التمييز بين ما هو موحى به من الله وما هو نتاج فكر البشر فقط. إن هذه العملية الصعبة، هي شهادة رائعة، مكملة لما حدث في الوحي، وما يجب أن يحدث في التفسير الصحيح للكلمة المقدسة، وكذلك في الوعظ والتعليم المؤثرين والمثمرين، من تضافر عمل الروح القدس مع وفي الإنسان. لقد كانت مسرة الله أن يعمل أعماله العظيمة من خلال الإنسان وبالإنسان، وإقرار القانونية هي أحد أعظم هذه الأمثلة

ثم يطرح الدكتور القسّ مجدي صدِّيق في مقالته "قانونيّة العهد القديم" معنى القانونيّة، وعلاقة القانونيّة بالإيمان المسيحيّ ثم كيف تطورت فكرة القانونيّة بين الكنائس المسيحيّة. ويطرح القسّ سهيل سعود -المتخصص في كتابات الإصلاح- عن "نظرة المصلحين للعهد القديم: ما علاقة العهد القديم بالعهد الجديد؟ المصلح جان كلفن أنموذجًا" يناقش المقال علاقة العهد القديم بالعهد الجديد في وجهة نظر المصلحين تطبيقًا على جون كلفن. ويقدم القسّ عيد صلاح في دراسته: "العهد القديم في العصر الوسيط: سعديا الفيوميّ ودوره في ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربيّة في القرن العاشر الميلاديّ" عن دور ترجمة سعديا الفيوميّ في ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربيّة، مع عرضٍ له وللأسلوب التي انتهجه في الترجمة والسياق الذي ترجم فيه، والأسلوب الذي اتبعه، مع عرضٍ لبعض النماذج من الترجمة والرسالة التي يحملها لنا اليوم.

وحول الإشكاليّات المثارة يقدم الدكتور القسّ أشرف عزمي دراسة حول: "هل إله العهد القديم هو إله العهد الجديد؟" تجيب الدراسة عن أسئلة مهمة: من هو الله؟ وما صفاته وأعماله؟ ومن أين نستقي هذه المعرفة عن شخصه؟ هل نستقيها من أنفسنا وتخيُّلاتنا وخبراتنا الإنسانية، أم من إعلان الله نفسه عن ذاته؟ وتناقش الدراسة الإجابة عن سؤال: هل إله العهد القديم هو إله العهد الجديد؟ وفي نفس المسألة يكتب الدكتور القسّ نصر الله زكريا دراسة حول "الإله المفتَرَى عليه.. من هو الله في الكتاب المقدَّس؟" ويناقش هل تغير إله العهد القديم عن إله العهد الجديد؟

ثم يُقَدِّم الملف لثلاث قضايا هامة في تناولنا للعهد القديم: الأولى، يقدمها الشيخ الدكتور شريف عاطف فهيم، دراسة بعنوان: "مقدمة في لاهوت العهد" يكتب فيها مقدمة عامة للاهوت العهد وخاصة عهد الله مع الإنسان. ويعرض مقدمة عامة عن فكرة العهود، وبعض التفاصيل عن الإطار العهدي الذي تعامل فيه الله مع البشر. فبقراءة القصة الكتابيّة يمكن فهم علاقة

اللّه مع الإنسان في إطار نوعين من العهود: عهد الأعمال وعهد النعمة. والقضية الثانية عن: "قضية الأرض في فكر الكتاب المقدّس" يقدمها القسّ حمدي سعد ويناقش الكاتب في هذه المقالة مفهوم الأرض في فكر الكتاب المقدّس، وهل تحقق الوعد بالأرض؟ وماذا يعني لنا اليوم؟ ثم قضية "العدل والرحمة في العهد القديم" بقلم الأخت صفاء صبحي، وتناقش فيه مفهومي العدل والرحمة في العهد القديم، عندما ننظر إلى الكتاب المقدّس، نجد أن مفهومي العدل والرحمة واضحان تمامًا. وقد يتصوَّر البعض أن العهد القديم لا يجسد هذين المفهومين، ولكن هذا الاعتقاد يشوبه بعض من سوء الفهم للعهد القديم. لذلك تلقي الكاتبة نظرة على هذين المفهومين وممارستهما في العهد القديم من خلال تعاملات اللّه ووصاياه لشعبه.

القسم الثالث: أبواب ثابتة ودراسات حرة

في القسم الثالث يقدم الشيخ أسامة رشدي في باب "شذرات كتابية" مجموعة من التأملات الروحية القيمة والمفيدة للقارئ. ثم في دراسات حرة يقدم د. أشرف ناجح إبراهيم عبد الملاك دراسة تحت عنوان: حُجّاجُ الرَّجَاءِ في يُوبِيل الرَّجَاء" تناقش الدراسة موضوع الرجاء المسيحي في ظل الظروف الصعبة. وذلك بمناسبة يُوبِيلُ الرّجاء (عام ٢٠٢٥م) وذلك وفقًا لما أعلنه البابا فرنسيس بابا الكاثوليك الحالي منذ ١٣ مارس/ آذار ٢٠١٣م.

ملحق العدد:

يأتي ملحق العدد تحت عنوان: "العهد القديم والحفر عند جذور الكلمات وفهم المصطلحات: الفلسطيون والفلسطينيون؛ إسرَايِل وإسرائيل أنموذجا" إعداد وتقديم القسّ عيد صلاح، وهو عبارة عن دراستين: الأولى، "الفلسطيون والفلسطينيون" لطيب الذكر الدكتور القسّ عبد المسيح استفانوس، وقد سبق نشره في مجلة الهدى، العدد ٩١٥، السنة ٧٩، أغسطس ١٩٨٩م، الصفحات من ١٦-٢١. والثانية: "إسرَايِل اللّه" (غلاطية ٦: ١٦) للقّس أمير إسحق، نُشِرَ من قبل في سلسلة الأغصان رقم (١٥)، وهي تنشر كملحق مع مجلة الهدى، ٢٠٢٤م. وقد وُضِعَت الدراستان تحت عنوان: "العهد القديم والحفر عند جذور الكلمات وفهم المصطلحات: الفلسطيون والفلسطينيون؛ إسرَايِل وإسرائيل". كلاهما يشتبك مع الواقع ويوضِّح ما التبس عليه الفهم، ويُصحِّح المسار، ويضبط المعاني. سيُلحق بالدراستين مقالان تعريفيّان بالكاتبين: الدكتور القسّ عبد المسيح استفانوس والقسّ أمير إسحق، وبإنتاجهما الفكريّ المتميز.

القسّ عيد صلاح
مدير التحرير

البدايات الجديدة

في بداية عام جديد، أمامنا فرصةٌ جديدةٌ للتفكير ولإعادة ترتيب أمورنا بطريقة أفضل وأحكم. نعم، لقد أشرقت شمسُ سنة ألفين وخمس وعشرين (٢٠٢٥). بدأت رحلتنا لعام جديد. فما نوع الطائرة التي سنقلع بها؟ أين سنسافر وكيف سنتحرك؟ كيف سنبدأ العام؟ هل نبدأه بحشو الطعام أشبارًا فوق مستوى المعدة، أم نبدأه بالنوم والأحلام؟ هل نبدأُ بدايةً غشيمةً أم حكيمةً؟

د.ق. حنا كتناشو

لا شكَّ أنَّ الكتابَ المقدَّسَ مليءٌ بحكمة البدايات الجديدة. حدثَّنا النَّبيُّ موسى عن البداية الجديدة لآدم وحواء قبل السقوط وخروجهما من جنة عدن وبعده، قبل زواجهما وبعده. ثمَّ سرد لنا بداية نوح الجديدة بعد الطوفان، ثمَّ بداية إبراهيم الجديدة بعد أن أنجبت زوجتُه سارة ابنهما اسحاق، ثمَّ بداية يوسف الجديدة بعد أن جلس على عرش الحكم في مصر، وخبَّرنا أيضا عن بداية جديدة عند الخروج من مصر. ثمَّ التقينا مع بداية جديدة زمن يشوع عند دخوله الأرض التي نحبُّ ترابها، ووجدنا بدايةَ داود الجديدة بعد موت شاول، ولا ضير من القول إنه ثمة بدايات أخرى عديدة. بعضُها حزين مثل السبي وبعضُها الآخر مفرح مثل بناء الهيكل.

ونحن كمسيحيين نفتخرُ أنَّ أعظمَ البداياتِ تتمحورُ حولَ سيدنا وربنا يسوع المسيح. هو أفضلُ بدايةٍ وأفضلُ طريقٍ وأفضلُ نهايةٍ. هو البداية والنهاية. ونشكر اللّه على الذين نظموا أسفار الكتاب المقدس بالتسلسل الذي بين أيدينا ووضعوا متى في بداية البدايات الجديدة إذ يشرق إصحاحُه الأوَّلُ علينا بكلماتٍ خالدة. سننظر إلى هذه الكلمات بخمس طرائق ترتبط بالعين لأننا نحتاج إلى تنوع المناظير عندما نواجه بداية جديدة. فالعين هي نقطة الانطلاق. وينتشر بيننا التعبير الشعبي القائل: نظرة فابتسامة فسلام فموعد فلقاء فخطبة فزواج.

وهنا اقتبس تعبير المطرب عبد الوهاب لأقول لك ولكِ: ليتك تكون حكيم عيون تفهم بالعين. فالعين اليوم ستنظر خمس نظرات مستوحاة من إنجيل البشير متى لا سيّما الاصحاح الأول. والنظرات هي: النظر إلى الماضي أو الخلف، النظر إلى الحاضر أو حولنا، النظر إلى المستقبل أو الأمام، النظر إلى فوق، والنظر إلى أسفل. هذه النظرات مهمة لتكون البداية الجديدة بداية جيدة.

النظر إلى الخلف أو الماضي

يبدأ البشيرُ متى إنجيلَه بلائحةٍ من الأسماء ينظر فيها إلى الماضي أو إلى الخلف. يقدّم لنا البشير متى شعبَ إبراهيمَ في غرفةِ الولادة. وإن جاز التعبير، نقول إن شعبَ إبراهيم حبل مدة ثمانية عشر قرنًا (١٨٠٠ سنة)، وهذه أطول فترة حبلٍ عرفها التاريخ. نظّم البشير متى فترة الحبل عن طريق الكلمة "وَلَدَ" التي يذكرها تسعًا وثلاثين مرةً قبل أن يكتمل العدد بالأربعين حين يتحول الفعلُ "وَلَدَ" إلى الفعل "وُلِدَ" المبني للمجهول. وقسّم القديس متى سلسلة العائلة إلى ثلاثِ محطات: من إبراهيم إلى داود ومن داود إلى السَّبي ومن السَّبي إلى المسيح. تحتضن كلُّ محطةٍ أربعةَ عشرَ جيلاً مما يجعل مجموعَ الأجيالِ اثنين وأربعين جيلًا. ربما تساعدنا هذه الأرقام أن نكتشف ملء الزمان الذي حلَّ بميلاد المسيح. فمدلول الرقم أربعين هو الاكتمال وذلك بحسب استخدام هذا العدد في كثيرٍ من نصوص الكتاب المقدس لا سيما العهد القديم. ويتكافأ العدد اثنان وأربعون مع ثلاث سنوات ونصف (٤٢ شهرًا) وهي فترة توقف المطر زمن إيليا وفترة متميزة في سفر الرؤيا

يرتبط انتهاؤها ببداية جديدة. والتقسيم في متى هو أربعةُ عشر جيلًا مكررة ثلاث مرات. بكلمات أخرى، نتحدث عن فترة مكونة من ست سباعيات وهكذا تكون ولادة السيد المسيح السُّباعية السابعة وبداية عصر الكمال. على أي حال، عندما ننظر إلى الماضي بعيون البشير متى نرى أمرين أساسيين.

أولًا، نرى ما يحرجنا في تاريخ العائلة، فهناك الزانيات والأمميات والإهانات وفشل داود والسبي وغير ذلك. نرى فشلَنا في تحقيق خطة اللّه. فيهوذا أخطأ مع ثامار، وداود زنى مع بثشبع، ووصل بنا الحال إلى السبي، وظهر يكنيا الذي وصفه إرميا قائلًا: "اكْتُبُوا هذَا الرَّجُلَ عَقِيمًا، رَجُلاً لاَ يَنْجَحُ فِي أَيَّامِهِ، لأَنَّهُ لاَ يَنْجَحُ مِنْ نَسْلِهِ أَحَدٌ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَحَاكِمًا بَعْدُ فِي يَهُوذَا" (إرميا ٢٢: ٣٠). من الحكمة إن ننظر إلى الماضي ونكتشف فشلنا في كثيرٍ من الأمور. فالجميع أخطأوا وأعوزهم مجد اللّه. فَشِلْنا كأتباع المسيح، فشلنا في القداسة والمحبة، فشلنا في بناء علاقات تمجد اللّه، فشلنا ككنيسة، كعائلة، كأبناء، كطلاب، كموظفين، كقادة، وغير ذلك. ونأتي بفشلنا عند أقدام المسيح. كما فعل متى بعد لائحةٍ طويلة. لنحضر فشلنا إلى مسيحنا.

ثانيًا، ننظر إلى الخلف أو الماضي لنتذكر وعود الرب. وعد أن يباركنا وأن يكون معنا وأن يرحمنا. تعتمد هذه الوعود على هويته وشخصه وقداسته ومحبته. فرغم فشل أبناء يعقوب أو إخوة يوسف ورغم فشل يهوذا ورغم فشل داود ورغم السبي ورغم يكنيا يستطيع اللّه أن يخلق من العدم حياة وأن يذهل عيون البشر وأن يقيم شعوبًا بأكملها من رماد التراب. فلنتذكر وعود الرب لنا ولأولادنا ولكنائسنا ولبلادنا. قال لنا: ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. قال لنا: أنا أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. تذكروا وعود الرب.

النظر إلى الحاضر

ليس الحاضرُ أفضلَ كثيرًا من الماضي. فلا يزال الفاشلون يملأون تاريخ الكنيسة بصفحات مخزية أخلاقيًا ولاهوتيًا. لا تزال تصرفات الكثيرين محرجةً بسبب التشرذم المسيحي والانقسامات والتبريرات الواهية. لقد ظهر فشل الكنيسة في دعم العبودية في أمريكا وفي دعم الفصل العنصري في جنوب أفريقيا. لكن يفشل البشر ولا يفشل المسيح. ليست البدايةُ الجديدة إعطاءَ فرصة أخرى لآدم ولنسل آدم بل خلق إنسانية جديدة من تراب آدم. يجب أن يموت آدم الأول ليُخلق آدم الثاني. يموت الإنسان الجسدي ليُخلق الإنسان السماوي. وهكذا وُلد المسيح لنولد ثانية، مات لنموت وقام لنقوم.

يقدم لنا متى كنيسة الحاضر ككنيسة منقسمة. ونجد القديس يوسف والعذراء المباركة في خلاف واختلاف. يؤمن كلاهما بالرب لكن اللّه تعامل مع كلٍّ منهما بطريقةٍ مختلفة. فمن ناحيةٍ، حلَّ روحُ اللّهِ على مريمَ العذراء. كلّمها الآبُ وسكن فيها الابنُ وحلَّ الرُّوحُ القُدسُ عليها. وظهر لها جبرائيلُ. لقد تعامل اللّه مع مريمَ بصورةٍ استثنائيةٍ وجعلَها

نموذجًا لكنيسة المستقبل حين يكون الابنُ معنا ويسكن الرُّوح فينا.

أما يوسف فكان بارًا يحفظ الناموس والوصايا. كان إيمانه مستمدًّا من العهد القديم. لم يكن جاهزًا لدخول العصر الجديد حين يخلص الأمم وتتحقق المواعيد. أراد أن يعيش بحسب المعايير القديمة. كلاهما مؤمن لكنهما اختلفا في فهم مشيئة الرب. ربما ظن يوسف أن مريم أخطأت، واستغربت مريم من عدم تجاوب يوسف مع عمل الله فيها ومن خلالها، لا سيَّما أنه متمسك بكلمة الله وطاعته. يبرز البشير متى عنصرًا مفاجئًا في القصة وهو تدخُّل الله ليغير موقف يوسف. وصلاتي أن يغيِّر الله مواقف يوسف في زماننا لأن يوسف هو جزء مهم في تحقيق خطة الله للعالم. صلاتي أن يتفق أتباع إنجيل الخلاص مع أتباع الإنجيل الشمولي في التشديد على مركزية يسوع المسيح وإكرامه في كل الظروف. فنحن كمسيحيين نكون معًا أو لا نكون. نقف معًا أو نسقط في هوّة الطائفية والانقسامات حيث يفترسنا الأسد الزائر.

النظر إلى المستقبل

مفتاح عمل الله في المستقبل هو عمانوئيل. لكن

مدلول عمانوئيل لا ينحصر بمعية الله معنا بل يمتد ليشمل معيتنا معًا مع الله. لا يريد الله أن يكون مع مريم فقط أو مع يوسف فقط بل معهما معًا وهما مع بعضهما بعضًا. علينا أن نسعى إلى الشركة المقدسة مع كل أتباع المسيح بطرق تجسّد المحبة والاحترام والتواضع. لا نتصرف كأننا كنيسة تجسد عقلية الفريسي وتدين الآخرين مثلما أدان الفريسي العشار.

علينا أن نتحرر من العلب اللاهوتية الضيقة جدًّا التي تحصر هوية الكنيسة بطائفة محددة وبلاهوت ضيق. نحن الآن في سنة الاحتفال بألف وسبعمائة عام لمجمع نيقية الذي أصدر قانون الإيمان سنة ثلاث مئة وخمس وعشرين (٣٢٥ م). فلنتذكر الوحدة المسيحية مع كل الكنائس. وسنجد في السماء أشخاصًا كانوا مسيحيين صهيونيين وسنجد آخرين عاشوا مسيحيين يعارضون الصهيونية. سنجد في الخليقة الجديدة مسيحيين كاثوليك وأرثوذكس وأقباط وسنجد أيضًا مسيحيين معمدانيين وخمسينيين وغيرهم. بعض القضايا التي نختلف عليها ربما علينا أن نتعلم من إنجيل متى ونتركها لحُكم السماء، ونصب جُل اهتمامنا بخدمة عمانوئيل.

النظر إلى فوق

لا يكتفي متى بالحديث عن النظر إلى الماضي والحاضر والمستقبل بل يُصرُّ على أهمية النظر إلى فوق. فملاك الرب ظهر ليوسف في حُلم وتحدثت السماء إلى العذراء. ونجد النظر إلى فوق جليًّا في قصة المجوس الذين رأوا النجم. لقد انحبس الرسول يوحنا في بطمس لكنه نظر إلى فوق فانفتحت أبواب السماء عندما أُغلقت كلُّ أبواب الأرض. عندما تصبح الأمور مستحيلة ونقف أمام قبر لعازر الذي أنتن في القبر، لنتذكر أن ننظر إلى فوق كما فعل يسوع. والنظر إلى فوق قد يظهر بعدة صورٍ.

فعلى سبيل المثال، نرفع أعيننا لننظر إلى الجبال. قال كاتب المزامير: "أَرْفَعُ عَيْنَيَّ إِلَى الْجِبَالِ، مِنْ حَيْثُ يَأْتِي عَوْنِي!" (مزمور ١٢١: ١). فأورشليم تحيطها الجبال كما يحيط الرب شعبه ويحميهم (مزمور ١٢٥: ٢). نرفع أعيننا لننظر إلى الطيور. يقول السيد المسيح: انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها. ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟ لنثق أن الله يريد أن يعتني بنا. فلا تهتموا لمشاكل سنة ألفين وخمس وعشرين (٢٠٢٥) بل ارفعوا أعينكم لتنظروا الطيور. ثم بعد النظر إلى الجبال

والطيور ارفعوا أعينكم لتنظروا الغيوم. فيسوع المسيح الذي ارتفع سيأتي ثانية. نحن ننتظر مجيئه الثاني كما انتظرت العذارى الحكيمات. ليس هو انتظار الكسل بل انتظار الصمود أمام كل التحديات من كراهية وعنصرية. هو صمود الشجرة المتجذرة أمام الرياح. أضف إلى ذلك، ارفعوا أعينكم إلى الغيوم لتعلموا أن المطر قادم؛ فالذي فدى البشر بدمه ألا ينقذهم من النكبات؟ الله الذي يحبنا أكثر من محبة الأم لرضيعها ألا يعتني بشعبه؟ فارفعوا أعينكم إلى السماوات كما فعل المجوس وكاتب المزامير الذي أعلمنا أن السماوات تتحدّث بمجد الله والفلك والمجرات تخبر بعمل يديه. من يدرِّب نظره على النظر إلى الأعلى سيكتشف المسيح كما حصل مع المجوس حين أوصلهم النجم ووقف فوق، حيث كان المسيح المولود. فمن المهم النظر إلى رئيس الإيمان ومكمله ربنا يسوع. لقد رفع بولس عينيه فرأى السيد المسيح بالقرب من دمشق. في مكان خوف المسيحيين وتألمهم ارتفعت عينا بولس لرؤية المسيح لأن الله يريد أن يبارك شعبه من خلال قادته لأن قاتل المسيحيين سيتحول إلى رسول الأمم. أقول مع صاحب المزمور: "إِلَيْكَ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ يَا سَاكِنًا فِي السَّمَاوَاتِ. هُوَذَا كَمَا أَنَّ عُيُونَ الْعَبِيدِ نَحْوَ

أَيْدِي سَادَتِهِمْ، كَمَا أَنَّ عَيْنَي الْجَارِيَةِ نَحْوَ يَدِ سَيِّدَتِهَا، هكَذَا عُيُونُنَا نَحْوَ الرَّبِّ إِلهِنَا حَتَّى يَتَرَأَّفَ عَلَيْنَا" (مز ١٢٣: ٢-٣).

النظر إلى أسفل

علينا أيضا أن نكتشف شناعة الخطيئة فنتعرف على هيرودس وأمثاله. فهم أيضا جزءٌ من قصة البداية الجديدة. ولهذا نتأمل باللاجئين الذي هربوا من أرض الأنبياء إلى أرض فرعون. ونتأمل براحيل التي تبكي على أولادها وبالأطفال الذين يموتون ظلمًا. فننظر إلى أسفل ليس للتعبير عن اليأس بل للتعبير عن التوبة كما فعل العشار الذي لم يجرأ أن يرفع نظره قائلًا: "اللهم ارحمني أنا الخاطئ". نعم أحبائي، إن طلب التوبة هو من أجمل ما يمكن أن نفعله في البدايات الجديدة. طلب المغفرة هو أجمل ما يمكن أن نفعله في البدايات الجديدة.

هكذا فعل الرسول بطرس فصار منتصب القامة يمشي وفي يده قصفةُ زيتون وفي اليد الأخرى إنجيلُ المسيح.

ننظر إلى الأسفل للتعبير عن التآخي ولنمد يد المساعدة. فقصة متى هي قصة ساكن السماء الذي نظر إلى الأسفل وجاء إلى أرضنا. ونظر إلى الأسفل فنخدم المهمشين والمظلومين والشعبَ الجالس في الظلمة. ونظر إلى الأسفل ليرفع المنكوبين ويخلص المقيدين بالخطايا والخمور والمخدرات. وأقوى القديسين هم الذين صعدوا من الأسفل بنعمة الله المتواضع. ولا ننظر للأسفل نظرة التعالي بل نظرة القلب المنكسر والمصلي والخادم.

أخيرًا، يا إخوتي ويا أخواتي، هل أنت حكيم عيون؟ هل ستبدأ البداية بطريقة غشيمة أم حكيمة؟ هل ستنظر إلى خطايا سنة ألفين وأربع وعشرين (٢٠٢٤) وتضعها على مذبح التوبة؟ هل ستتذكر وعود الرب؟ هل ستمارس الوحدة والغفران كما حصل مع يوسف ومريم؟ هل ستنظر إلى الأمام بنظرة معية الله وترفع نظرك للأعلى فترى الجبال والطيور والغيوم والسماء وحتى رئيس السماء ربنا يسوع؟ هل ستنظر إلى الأسفل لينكسر قلبك وتبكي مع الباكين وتخدم المظلومين؟ قرار البداية الحكيمة يعود لك ويبدأ بنظرة.

فتاةٌ تَلِدُ طفلًا

يفتح نافذة السَّماء على البشرِ

"تحليل تاريخيّ ولاهوتيّ لنبوءة إشعياء ٧ و٨ ومتى ١"

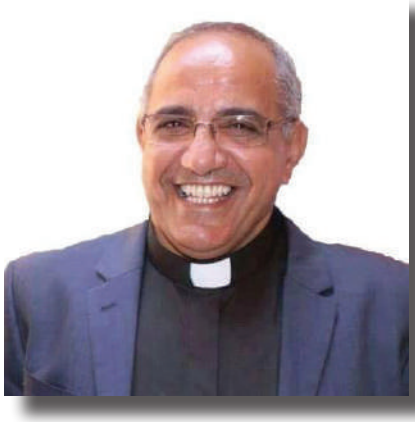

ق. جاد الله نجيب

يعتقد بعضٌ أنَّ ميلاد السيد المسيح مجرد حدث تاريخيّ وقع منذ أكثر من ألفي عام. وأنَّ الذين يؤمنون بالمسيح انفتحت حياتهم على الله، هذه حقيقة روحيَّة ملموسة. إلّا أنَّ حدث الميلاد في بعده التّاريخيّ يرتبط بالماضي السَّحيق في علاقة الله بالبشر منذ الخليقة الأولى. في هذه الدّراسة سنتعرض لتحليل النبوة في إشعياء إصحاح ٧ في ضوء الظّروف السّياسيّة والدّينيّة، وعلاقتها بوعد الله لشعبه، ومن ثم ربطها ببشارة متى ١: ٢١ و٢٢، ودراسة الأسباب التي جعلت البشير متى ينفرد ويتفرّد في إلقاء الضّوء بوضوح على أنّ بشارة السّيدة العذراء مريم بولادة طفل يدعى عمانوئيل هو تحقيق لنبوة إشعياء.

المقدّمة

اللّه لم يتوارَ يومًا ما عن الخليقة، ولم يحجب حضوره عن حياة البشر. كان حضوره الحيُّ من خلال عنايته واهتمامه من جهة، وإعلانه المتكرر بصورة يفهمها البشر من جهة أخرى، وأمانته بوعوده التي نطق بها من جهة ثالثة. ما يحجب الحضور الإلهيّ عن البشر هو الخلل الدّاخليّ في قلب الإنسان، وانشغال الإنسان بنفسه ليكون أنانيًّا متقوقعًا حول ذاته ومصلحته الشّخصيّة، مع أنه كائن اجتماعيّ لا يقدر أن يستمتع بالحياة وحده.

أحدث الخلل الدّاخليّ في حياته انفصالًا عن ذاته، والنّتيجة الحتميّة للانفصال عن الذّات هي عدم الإحساس بالأمن والأمان. وبالتّالي، لم يعد يستأمن أي علاقة، فبدلًا من أن يبحث عن اللّه في داخله ليتصالح مع نفسه، ابتدأ يصنع له حضورًا خاصًّا، بل ويصنع لنفسه اسمًا دون التّعامل مع اللّه أو المجتمع، وهذا ما تسجله كلمة اللّه في تكوين ١١.

علاقة الله، علاقة عهد

عاش الإنسان بعيدًا عن نفسه فأصبح معزولًا، مشتَّتًا، يعيش حالة من الفراغ الدّاخليّ، يلهث وراء البحث عن الوجود، وتحقيق الذّات. أما من جهة اللّه، فهو المتّسق (Consistent) مع ذاته، والأمين على كلمته، الذي أعلن عن نفسه، أنّه "يهوه" أي الحاضر والحي، "أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ"[١]، التّعبير الذي ترجمه يوحنا الرّائي:"الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي."[٢] أي هو الكينونة والوجود،[٣] بل هو "الذي يقيم الكيان والوجود."[٤]

أخذ اللّه بحضوره الحي مبادرة الحب كعادته، وصنع ملابس من جلد، ليحمي أبا البشريّة آدم وزوجته حواء من برودة اللّيل وحرّ النّهار. أكمل اللّه عنايته واهتمامه، بدعوة إبراهيم أبي الآباء ليكون له وجود فاعل، ويتّسع حضوره، فيصبح أمّة عظيمة، ويصنع له اسمًا عظيمًا بين أمم كثيرة. يخرج إبراهيم من قوقعة الذّات إلى حضور يدعم الآخرين "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: 'اذْهَبْ... فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ،

١خروج ٣: ١٤

٢رؤيا يوحنّا١: ٨.

٣ جادالله نجيب، **التزام الله نحو البشر: التجسد، الصليب، والقيامة عقيدة وتطبيق** (مصر-المنيا: لجنة الإعلام والنّشر، مجمع مشيخة المنيا، ٢٠٢٢م)، ص ١٨.

٤ متّى المسكين، **المدخل إلى إنجيل القديس يوحنا: دراسة تحليلية** (مصر-وادي النطرون: مطبعة القديس الأنبا مقار)، ص ٢٣١.

وَتَكُونَ بَرَكَةً... وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ.'[٥] وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: 'أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلًا، فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا... وَتَكَلَّمَ اللهُ مَعَهُ قَائِلًا: أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ، وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ... أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الْأُمَمِ. وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ... سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ."[٦]

بارك إسحاقُ ابنَه يعقوب بالبركة نفسها التي تبارك بها إسحاق "اللهُ الْقَدِيرُ يُبَارِكُكَ... وَيُكَثِّرُكَ فَتَكُونُ جُمْهُورًا مِنَ الشُّعُوبِ. وَيُعْطِيكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ..."[٧] وتتواصل البركة من يعقوب لابنه يهوذا: "يَهُوذَا جَرْوُ أَسَدٍ... لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ."[٨]

يستمر اللهُ في أمانته وعهده، فيدعو موسى لقيادة الشّعب من أرض العبوديّة إلى حيث أرض الميعاد. فيكلّم الرّب موسى بعد تأهيله للقيادة من خلال أربعين سنة من التّعلم وبناء الشّخصيّة والاستعداد للقيادة حيث فهم الدّعوة. "ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا ظَهَرْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الْإِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي... لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ... أَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا."[٩]

تأسيس مملكة

يستكمل اللهُ وعده في نسل يهوذا من خلال داود، الذي دعاه من وراء الغنم ليخلِّص شعبه من طغيان جُليات الذي أزل بجبروته شعب الرب، ويملك عليه ويؤسِّس مملكة "تعبد اللهَ وتحقق ملكوته في العالم"[١٠] يرسل الرب ناثان النبي إلى داود برسالة واضحة: "تَقُولُ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا أَخَذْتُكَ مِنَ الْمَرْبَضِ مِنْ وَرَاءِ الْغَنَمِ لِتَكُونَ رَئِيسًا عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ... وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا عَظِيمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ... مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ

٥ تكوين ١٢: ١– ٣.
٦ تكوين ١٧: ١ – ١٩.
٧ تكوين ٢٨: ١– ٤.
٨ تكوين ٤٩: ٩ و١٠.
٩ خروج ٦: ٢– ٧.
١٠ سهيل سعود، القس، كتاب ميلاد يسوع ابن داود ابن إبراهيم، مقال بمجلة الهدى، الكنيسة الإنجيلية المشيخية بمصر، يناير وفبراير ٢٠١٩.

الَّذي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاِسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ. أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبُهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ. وَلَكِنَّ رَحْمَتِي لاَ تُنْزَعُ مِنْهُ... وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الأَبَدِ..."."[11]

يتكرر الوعد بتثبيت مملكة داود إلى الأبد "كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الأَبَدِ."، ثلاث مرات في عدد ١٣ وعدد ١٦، مما يدعونا أن نفهم أن هذا العهد مرتبط بالأمة (شعب الله)، وأن الله عندما يقول يفعل وعندما يَعد لا ينقض عهده.[12]

ملك سليمان على إسرائيل بعد أبيه، كان حكيمًا، وطلب من الرب إرشادًا وقيادة له في مستهلِّ حكمه، إلا أنه لم يُكمل دوره باقي حياته بأمانه في علاقته بالله "عَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ... قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِيَ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. إِلَّا إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَيَّامِكَ... عَلَى أَنِّي لاَ أُمَزِّقُ مِنْكَ الْمَمْلَكَةَ كُلَّهَا، بَلْ أُعْطِي سِبْطًا وَاحِدًا لاِبْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا."[13]

تحقيق الوعد يتطلب أمانة

يعطل تنفيذ الوعد، عدم أمانة نسل داود المؤتمن لتحقيقه. أكد الله على الأمانة، حيث أوصى داود، وهو على فراش الموت ابنه سليمان قائلًا له: "لِكَيْ يُقِيمَ الرَّبُّ كَلاَمَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنِّي قَائِلًا: إِذَا حَفِظَ بَنُوكَ طَرِيقَهُمْ وَسَلَكُوا أَمَامِي بِالأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ أَنْفُسِهِمْ، قَالَ، لاَ يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ."[14]

انقسمت المملكة بعد سليمان، وذلك نتيجة حتمية لعدم حفظ العهد وعدم الأمانة في حفظ وصايا الله، انقسمت المملكة إلى مملكتين، الأولى إسرائيل وتدعى المملكة الشمالية وتتكون من ١٠ أسباط، والثانية وهي يهوذا وتدعى المملكة الجنوبية وتتكون من سبطين وهما يهوذا وبنامين. أُقيم هيكلان في المملكة الشمالية لهدف سياسي وهو حفاظ شعب المملكة على ولائه الداخلي وحتى لا يفكر دينيًا في هيكل سليمان الذي في أورشليم، وبالتالي يمكن أن يضعف ولاؤهم الوطني بالذهاب إلى أورشليم والتعاطف مع ملك يهوذا. اتسمت حياة القادة والشعب بالعبادة الشكلية، بل وساد الكل الرياء بسبب فساد الحياة الداخلية. إلا أن يهوذا احتفظت يهوذا بإيمانها قرن من الزمان من خلال قادة

١١ ٢ صموئيل ٧: ٨ – ١٦.
١٢ جون بايبر، عهد الله مع داود، ائتلاف الإنجيل. https://ar.thegospelcoalition.org
١٣ ١ ملوك الأول ١١: ٦ – ١٣.
١٤ ١ملوك ٢:٤.

أتقياء مثل آسا، يهوشافط، عزيا الملك الرجل التقي، الذي أحدث نقلة نوعية في حياة مملكة يهوذا غير مسبوقة على كل الأصعدة حتى جاء حكم يوثام، وحكم آحاز.[١٥] وسار على نهجه ابنه يوثام. حتى ملك آحاز حفيد عزيا الذي كان أشر ملوك يهوذا الذي اتسم بالرياء والجبن، علاوة على ذلك، أخذ النقيض الآخر من الإيمان، فقد ذبح للأوثان في المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء، وأجاز ابنه في النار كتقدمة لإرضاء آلهة الوثن[١٦]، "٢كَانَ آحَازُ ابْنَ عِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، .... وَلَمْ يَعْمَلِ الْمُسْتَقِيمَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِهِ كَدَاوُدَ أَبِيهِ، ٣بَلْ سَارَ فِي طَرِيقِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ، حَتَّى إِنَّهُ عَبَّرَ ابْنَهُ فِي النَّارِ حَسَبَ أَرْجَاسِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٤.وَذَبَحَ وَأَوْقَدَ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ وَعَلَى التِّلاَلِ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ."[١٧]

غير أن شعب الله فَهِمَ، على مر القرون حسب داود وسليمان، أن العصيان والشر يجلبان الخراب على الأمة. إلا أن الأتقياء من شعب الله تيقنوا: إن الله أمينًا لكلمته، ووعد أنه سيثبّت كرسيّ داود إلى الأبد، لذا فيقينهم الداخلي وقناعة إيمانهم أنه فهو ملتزم بوعده مع شعبه (٢صموئيل ٧: ٧ و١٣).

صراع القوى العظمى

كانت الساحة السياسية في السنوات ما قبل وفاة عزّيا الملك في قمة الصراع بين القوى العظمى للعالم في ذلك الوقت. مات الملك عزّيا وفي سنة وفاته جاءت الدعوة واضحة لإشعياء للنبوة. كان صراع القوى قد بدأ بين القوة العظمى مصر وبين آشور على السيطرة على العالم. تحرك الأسطول الآشوري بقادة تغلث فلاسر الثالث، تجاه المملكة الشمالية فرض الجزية على إسرائيل في حكم منحيم بن جادي، أما في حكم الملك فقح بن رمليا فقد هاجم تغلت فلاسر عدة مدن فيها، وسبى الكثيرين، "[٢٩]فِي أَيَّامِ فَقْحَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ، جَاءَ تَغْلَثَ فَلاَسَّرُ مَلِكُ أَشُّورَ وَأَخَذَ عُيُونَ وَآبَلَ بَيْتِ مَعْكَةَ وَيَانُوحَ وَقَادَشَ وَحَاصُورَ وَجِلْعَادَ وَالْجَلِيلَ وَكُلَّ أَرْضِ نَفْتَالِي، وَسَبَاهُمْ إِلَى أَشُّورَ."[١٨]

تحالفات سياسية

في ظل القمع الآشوري للمملكة الشمالية، أراد فقح ملك إسرائيل أن يقيم تحالفًا سياسيًّا وعسكريًّا مع كل من آحاز ملك يهوذا ورصين ملك آرام (سوريا)، ضد قوات آشور وتغلث فلاسر، فرفض آحاز أن ينضم لهذا التحالف. كان رد فعل فقح أن يتحالف مع رصين ويحاصر أورشليم والاستيلاء عليها، وعزل آحاز وتعيين شخصية تابعة لهم وهو "ابن طبئيل" ليكون ملكًا على يهوذا، " أَرَامُ تَآمَرَتْ عَلَيْكَ بِشَرٍّ مَعَ أَفْرَايِمَ وَابْنِ

١٥ جادالله نجيب، ملكة بريطانيا وملك إسرائيل، مقال في: **أغصان الكرمة** (مصر-المنيا، لجنة الإعلام والنشر مجمع مشيخة المنيا الإنجيلي، عدد سبتمبر ٢٠٢٢م.) ص ٤٠-٥١.

١٦ تادرس يعقوب ملطي، القمص، إشعياء، (القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، ١٩٩٠م)، ص ١١٠.

١٧ ٢ ملوك ١٦: ٢ – ٤.

١٨ ٢ ملوك ١٥: ٢٩.

رَمَلْيَا قَائِلَةً: "صْعَدُ عَلَى يَهُوذَا وَنُقَوِّضُهَا وَنَسْتَفْتِحُهَا لأَنْفُسِنَا، وَنُمَلِّكُ فِي وَسَطِهَا مَلِكًا، ابْنَ طَبْئِيلَ."[١٩] لم ينجح التحالف في عزل ملك يهوذا ولا هزيمة أورشليم، "صَعِدَ رَصِينُ مَلِكُ أَرَامَ وَفَقَحُ بْنُ رَمَلْيَا مَلِكُ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ، فَحَاصَرُوا آحَازَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَغْلِبُوهُ(يعزلوه)."[٢٠] إلا أنهم بحسب قراءة أخبار الأيام الثاني ٢٨، "دَفَعَهُ الرَّبُّ إِلَهُهُ (آحاز) لِيَدِ مَلِكِ أَرَامَ، فَضَرَبُوهُ وَسَبَوْا مِنْهُ سَبْيًا عَظِيمًا وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى دِمَشْقَ. وَدُفِعَ أَيْضًا لِيَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً عَظِيمَةً. وَقَتَلَ فَقَحُ بْنُ رَمَلْيَا فِي يَهُوذَا مِئَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، الْجَمِيعُ بَنُو بَأْسٍ، لأَنَّهُمْ تَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمْ... وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِئَتَيْ أَلْفٍ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ... وَكَانَ هُنَاكَ نَبِيٌّ لِلرَّبِّ اسْمُهُ عُودِيدُ، فَخَرَجَ لِلِقَاءِ الْجَيْشِ الآتِي إِلَى السَّامِرَةِ وَقَالَ لَهُمْ: "هُوَذَا مِنْ أَجْلِ غَضَبِ الرَّبِّ

سَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ

إِلَهِ آبَائِكُمْ عَلَى يَهُوذَا قَدْ دَفَعَهُمْ لِيَدِكُمْ وَقَدْ قَتَلْتُمُوهُمْ بِغَضَبٍ بَلَغَ السَّمَاءَ... الآنَ اسْمَعُوا لِي وَرُدُّوا السَّبْيَ الَّذِي سَبَيْتُمُوهُ مِنْ إِخْوَتِكُمْ لأَنَّ حُمُوَّ غَضَبِ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ." ثُمَّ قَامَ رِجَالٌ مِنْ رُؤُوسِ بَنِي أَفْرَايِمَ:...وَقَالُوا لَهُمْ: «لاَ تَدْخُلُونَ بِالسَّبْيِ إِلَى هُنَا لأَنَّ عَلَيْنَا إِثْمًا لِلرَّبِّ، وَأَنْتُمْ عَازِمُونَ أَنْ تَزِيدُوا عَلَى خَطَايَانَا وَعَلَى إِثْمِنَا، لأَنَّ لَنَا إِثْمًا كَثِيرًا، وَعَلَى إِسْرَائِيلَ حُمُوُّ غَضَبٍ... قَامَ الرِّجَالُ الْمُعَيَّنَةُ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَخَذُوا الْمَسْبِيِّينَ وَأَلْبَسُوا كُلَّ عُرَاتِهِمْ مِنَ الْغَنِيمَةِ، وَكَسَوْهُمْ وَحَذَوْهُمْ وَأَطْعَمُوهُمْ وَأَسْقَوْهُمْ وَدَهَّنُوهُمْ، وَحَمَلُوا عَلَى حَمِيرٍ جَمِيعَ الْمُعْيِينَ مِنْهُمْ، وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى أَرِيحَا، مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى إِخْوَتِهِمْ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى السَّامِرَةِ."[٢١]

لم يتعظ آحاز من عودة المسبيين مكرمين بسبب مواجهة النبي عوديد (الصوت الإلهي) للمجموعة المحاربة، بردِّ المسبيِّين إلى أورشليم. لكنه بحث عمَّن ينقذه من سوريا ومن إسرائيل. فلجأ إلى تغلث فلاسر لا لله، باع نفسه، وفرط في المقدسات من أجل الحماية "وَأَرْسَلَ آحَازُ رُسُلًا إِلَى تَغْلَثَ فَلاَسَرَ مَلِكِ

١٩ إشعياء ٧: ٥ و ٦.
٢٠ ٢ ملوك ١٦: ٥.
٢١ ٢ أخبار الأيام ٢٨: ٥ – ١٥.

أَشُّورَ قَائِلًا: "أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُكَ. اصْعَدْ وَخَلِّصْنِي مِنْ يَدِ مَلِكِ أَرَامَ وَمِنْ يَدِ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الْقَائِمَيْنِ عَلَيَّ" فَأَخَذَ آحَازُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَلِكِ أَشُّورَ هَدِيَّةً. فَسَمِعَ لَهُ مَلِكُ أَشُّورَ، وَصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَخَذَهَا وَسَبَاهَا إِلَى قِيرَ، وَقَتَلَ رَصِينَ." [٢٢] كلمة الله واضحة في سرد التاريخ، حيث تعلن أنه: "فِي ضِيقِهِ زَادَ خِيَانَةً بِالرَّبِّ الْمَلِكُ آحَازُ هَذَا، وَذَبَحَ لآلِهَةِ دِمَشْقَ الَّذِينَ ضَارَبُوهُ وَقَالَ: "لأَنَّ آلِهَةَ مُلُوكِ أَرَامَ تُسَاعِدُهُمْ أَنَا أَذْبَحُ لَهُمْ فَيُسَاعِدُونَنِي." [٢٣]

فترة مأساوية في تاريخ شعب الله وخاصة في مملكة يهوذا أيام حكم آحاز. الخراب قادم لا محالة بسبب الشر والفساد الذي استشرى في كل المملكة، إلا البقية القليلة التي تمسكت بالوعد وتحفظ العلاقة مع الله في جوٍّ مُلبَّد بضباب الفساد القاتم الذي يحجب العين والقلب عن رؤية الحياة في ثوب نقي والحضور الإلهي في وسط شعبه. الحياة في قسوتها الروحية والإنسانية والاجتماعية انتزعت من القلب صرخات الوجع للشعب المطحون والظلم للأرامل والأيتام صاعدة إلى السماء وتدوي في أذني النبي إشعياء في الأرض. يعبر الوحي عن الحالة التي وصلت إليها الأمة في إشعياء ١: ٥-٩ "كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ، وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ. بِلاَدُكُمْ خَرِبَةٌ. مُدُنُكُمْ مُحْرَقَةٌ بِالنَّارِ. أَرْضُكُمْ تَأْكُلُهَا غُرَبَاءُ قُدَّامَكُمْ، وَهِيَ خَرِبَةٌ كَانْقِلاَبِ الْغُرَبَاءِ... لَوْلاَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ أَبْقَى لَنَا بَقِيَّةً صَغِيرَةً..."

الطريق مسدود من كل الاتجاهات أمام القيادة والشعب، الخراب أصبح واقعًا ضروريًا، والأزمة تحتاج إلى حلٍّ وإلا الزوال. الأمر يحتاج إلى نافذة من السماء للخلاص من الأزمة. بتعبيرٍ أكثر دقةً، إذا كان بيت داود له وعدٌ من الله أن "لَا يُعْدَمُ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ."، هل نفض الرب يديه من هذا البيت؟ هل تراجع الله عن وعده؟

نزل خبر الحصار على آحاز والقيادة السياسية والدينية والشعب كصاعقة: "أُخْبِرَ بَيْتُ دَاوُدَ وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ حَلَّتْ أَرَامُ فِي أَفْرَايِمَ». فَرَجَفَ قَلْبُهُ وَقُلُوبُ شَعْبِهِ كَرَجَفَانِ شَجَرِ الْوَعْرِ قُدَّامَ الرِّيحِ." هنا كانت أمانة الله متجسِّدة في النبوة، وأن نافذة السماء تنفتح أولًا لإعلان أن وعد الله له شقان، الشق الأول هو في حالة خيانة الشعب للعهد وتركهم لوصية الله، عقابه التأديب. أما الشق الثاني فإن القصاص مصحوب بالرحمة ومشفوع بتثبيت كرسي داود إلى الأبد. في صموئيل الثاني ٧: ١٢-١٤، يسجل الوحي الوعد بشروطه: "أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ... أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ.

٢٢ ٢ ملوك ١٦: ٧ و ٨.
٢٣ ٢ أخبار الأيام ٢٨: ٢٢ و ٢٣.

إشعياء

وَلَكِنَّ رَحْمَتِي لَا تُنْزَعُ مِنْهُ... وَيَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الْأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الْأَبَدِ."

من هنا يأتي دور الله، وتنفتح نافذة السماء ويرسل الله نبيَّه إشعياء ليعلن سلطان الله وسيادته للتاريخ، وتدخله في الأحداث وأمانته في الوعد، "فَقَالَ الرَّبُّ لإِشَعْيَاءَ: «اخْرُجْ لِمُلاَقَاةِ آحَازَ، أَنْتَ وَشَآرَ يَاشُوبَ ابْنُكَ، إِلَى طَرَفِ قَنَاةِ الْبِرْكَةِ الْعُلْيَا، إِلَى سِكَّةِ حَقْلِ الْقَصَّارِ، وَقُلْ لَهُ: احْتَرِزْ وَاهْدَأْ. لَا تَخَفْ وَلَا يَضْعُفْ قَلْبُكَ مِنْ أَجْلِ ذَنَبَيْ هَاتَيْنِ الشُّعْلَتَيْنِ الْمُدَخِّنَتَيْنِ، بِحُمُوِّ غَضَبِ رَصِينَ وَأَرَامَ وَابْنِ رَمَلْيَا... هَكَذَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَا تَقُومُ! لَا تَكُونُ! (لن تنجح خطتهم، ولن تتحقق... الترجمة العربية المبسطة)".[24] انفتح باب السماء على مصراعيه من أجل البقية التي تصارع مع الحياة بإيمان واثق، ورجاء مؤكَّد في سلطان الله وقدرته.

يصوِّر الوحي تكليف إشعياء بالذهاب لآحاز ليس منفردًا بل يصطحب معه ابنه "شَآرَ يَاشُوبَ" ومعنى الاسم "البقية سترجع"، أراد الله أن يُعرِّف آحاز أن يهوذا سوف تُؤخذ في النهاية إلى الأسر، ولن يعود سوى البقية. في مقابل أن مملكة الشمال (إسرائيل) ستخرب إلى التمام ولا رجعة لها ولن تكون مصدر تهديد للمملكة فيما بعد. لذلك، فكلمة الله للملك أن يفكر جليًّا في المنقذ الأعظم. أي يهدأ ويعيد حسابات قلبه مع الله ويفهم دور الله وأمانته، فلا يخف وأن يؤمن بقدرة الله، ولا يضعف قلبه ولا قلب الأمة في الظرف المأساوي "إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا (بهذه الرسالة) فَلَا تَأْمَنُوا (تفهموا)."[25] كأنه يقول لهم إن لم تؤمنوا بوعد الله وتتكلوا على قوة ذراعه لن تثبتوا في هذه الظروف المظلمة والقاسية.[26]

أكَّد الله على تدخُّله في الأحداث الجارية آنذاك بدعوة آحاز أن يطلب آيةً من الرب بل ويعمِّقها ويضع لها أعلى سقف، ليعملها له الرب ليؤكد له أنه قادر على التعامل مع الأزمة، وقادر ينقذ الأمة من محنة الهجوم

٢٤إشعياء ٧: ٣ – ٧.
٢٥ إشعياء ٧: ٩.
٢٦ تادرس يعقوب ملطي، ص ١١٣.

والحصار، "اُطْلُبْ لِنَفْسِكَ آيَةً مِنَ الرَّبِّ إِلهِكَ. عَمِّقْ طَلَبَكَ أَوْ رَفِّعْهُ إِلَى فَوْقٍ."، كأن الله يقول له أنا إلهك القادر على إنقاذك وليس تلغث فلاسر ملك آشور، اطلب ما تريد وأنا أعطيك.[٢٧] أما آحاز فتوجَّه إلى ملك أشور، ولم يطلب من الرب لأنه لم يثق بأنه سيفعل لصالح ملك شرير وشعب آثم، ولَبِسَ قناع الإيمان بتجاوبه مع الله قائلا: "لَا أَطْلُبُ وَلَا أُجَرِّبُ الرَّبَّ". فرد الرب عليه برسالة: "يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّانُوئِيلَ". زُبْدًا وَعَسَلًا يَأْكُلُ مَتَى عَرَفَ أَنْ يَرْفُضَ الشَّرَّ وَيَخْتَارَ الْخَيْرَ. لأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَرْفُضَ الشَّرَّ وَيَخْتَارَ الْخَيْرَ، تُخْلَى الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ خَاشٍ مِنْ مَلِكَيْهَا. يَجْلِبُ الرَّبُّ عَلَيْكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بَيْتِ أَبِيكَ، أَيَّامًا لَمْ تَأْتِ مُنْذُ يَوْمِ اعْتِزَالِ أَفْرَايِمَ عَنْ يَهُوذَا، أَيْ مَلِكَ أَشُّورَ".[٢٨]

آراء المفسرين

تعدَّدت مدارس التفسير في نبوة إشعياء ٧: ١-١٧، المدرسة الأولى تعتقد أن النبوة خاصة بالحقبة التاريخية المرتبطة بآحاز ومملكة يهوذا. المدرسة الثانية تفسر النص بعيون الكريستولوجي؛ أي أن النبوة تخص ولادة السيد المسيح فقط ولا علاقة لها بالحقبة التاريخية في العهد القديم. أما المدرسة التفسيرية الثالثة فتؤمن بأنها النبوة تحمل المعنى القريب والمعنى البعيد. فهي رسالةٌ مباشرةٌ سياسيةٌ تاريخيةٌ موجَّهةٌ لآحاز ومملكة يهوذا، وفي نفس الوقت نبوة مسيانية تخص ولادة السيد المسيح. المدرسة التي تتبنى النص أنه نبوة خاصة بالحقبة التاريخية القديمة، تنكر وحدة بنية الكتاب المقدس بين عهديه القديم والجديد، وطبيعة محتواه الروحي "Supernaturalness"[29]، باستثناء اللاهوتي أورللي كونراد فون Orelli C. Von[30] الذي ينكر وحدة بنية الكتاب المقدس لكنه تمسَّك بأن النبوة خاصة بالكريستولوجي. أما المدرسة الثانية الخاصة بأنها نبوة محددة عن ولادة المسيح، وقد بدأ هذا الاعتقاد مع المصلحين حتى منتصف القرن التاسع عشر بظهور اللاهوتي الألماني اللوثري بيرنهارد لورادوس دوهم (Bernhard Lauardus Duhm)، الذي صك مفهوم تحقيق نبوة إشعياء المباشرة على آحاز ومملكة يهوذا. انتشر المعتقد بقوة بين اللاهوتيين مما جعل كثيرين يغيرون فكرهم من فكر المصلحين أي التحقيق الأحادي إلى التحقيق التاريخي المباشر والتحقيق الكريستولوجي. وقد جعل هذا التغيير بعض المفسرين أن يعتبروا مصطلح عمانوئيل في إشعياء ٧: ٨: على أنه مجرد رمز. اعتبر البعض النبوة "بفتاة صغيرة" ستلد ابنًا يشير اسمه إلى بركة الله

٢٧ تدرس يعقوب ملطي، ص ١١٤.

٢٨ إشعياء ٧: ١٤ – ٢٦.

29 Hindson, Edward, "*Development of the Interpretation of Isaiah 7:14*, Grace Journal 10.2, Spring 1969. 19-25).

٣٠أورللي كونراد فون ، مفكر لاهوتي سويسري، ولد في زيورخ ١٨٤٦، وعمل أستاذًا للعهد القديم في جامعة بازل، وكتب تفسيرًا لكتب الأنبياء الكبار ما عدا نبوة دانيال، بالإضافة إلى كل كتب الأنبياء الصغار. (BiblicalStudies.org.uk. http://biblicalstudies. gospelstudies.org.uk)

نبوات إشعياء

وخلاصه، في تطبيقها المباشر وتحمل في طياتها اكتمال المعنى الذي لا يلبيه الحدث المباشر بالكامل.[31]

إلا أن أعمق المعاني في كلمة الله هي تسجيل معاملات الله المباشرة مع البشر في واقعهم الآنيّ، وأيضًا فكره وخطته المستقبلية لخلاص البشر ومعيته معهم. لو كانت النبوة تخص فقط المستقبل البعيد، فما معناها لمن قيلت لهم؟ إذًا فنبوة إشعياء لا معنى لها لآحاز ولشعب المملكة الجنوبية (يهوذا) ولا حتى لها معنى عند إشعياء النبي نفسه إن لم تكن موجَّهة إليهم. المتمسكون بأن النبوة فقط عن المسيح يقتطعون من التاريخ معاملات الله الحية وقدرته السرمدية على التدخل ليكون أمينًا فيما وعد. فالتحقيق القريب للنبوة، يزيد من عمق المعنى النبوي للكلمة، ويوسع آفاق إيماننا في الله وفي سلطانه على التاريخ.

تحقيق النبوة

حيَّرت هذه النبوة عددًا كبيرًا من اللاهوتيين والمفكرين والنقاد[32] فيما إذا كانت نبوة تاريخية تخص شعب الله في أيام آحاز أم أنها نبوة مسيانية عن ميلاد السيد المسيح في العهد الجديد. يُعتبر إشعياء ٧: ١-١٧ من أصعب النصوص الكتابية، حتى أن تشارلز سبيرجن قال عن هذا النص إنه "يُقال عنه إنه من أصعب النصوص في كلمة الله، وهذا حقيقيّ! فأنا بالتأكيد لم أكن أعتقد أنه كذلك حتى قرأت ما قاله المفسِّرون عنه، وبعد أن قرأت تفسيراتهم ارتبكت جدًا، لأن مفسرًا يقول وجهة

31 Hindson.
32 Hindson.

نظره، وآخر ينكره. والحقيقة التي اكتشفتها هي أن جميعها منقولات من مفسر للآخر وتتكرر بين الجميع."[٣٣] ما أقره سبيرجن وآخرون ويضم كاتب هذه السطور رأيه معهم، أن أفضل شرح لأي نص كتابي صعب الفهم هو نصوص أخرى من كلمة الله. وهذا هو المنهج الذي يفك رموز هذه النبوة.

في الوقت المظلم من حياة مملكة يهوذا وملكها آحاز، اهتم الله بأن يطمئن الملك والأمة كلها فأرسل إشعياء ليقول له: "احْتَرِزْ وَاهْدَأْ. لَا تَخَفْ وَلَا يَضْعُفْ قَلْبُكَ مِنْ أَجْلِ ذَنَبَيْ هَاتَيْنِ الشُّعْلَتَيْنِ الْمُدَخِّنَتَيْنِ، بِحُمُوِّ غَضَبِ رَصِينَ وَأَرَامَ وَابْنِ رَمَلْيَا... لأَنَّ أَرَامَ تَآمَرَتْ عَلَيْكَ بِشَرٍّ مَعَ أَفْرَايِمَ وَابْنِ رَمَلْيَا قَائِلَةً: نَصْعَدُ عَلَى يَهُوذَا وَنُقَوِّضُهَا وَنَسْتَفْتِحُهَا لأَنْفُسِنَا، وَنُمَلِّكُ فِي وَسَطِهَا مَلِكًا، ابْنَ طَبْئِيلَ. هَكَذَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَا تَقُومُ! لَا تَكُونُ! لأَنَّ رَأْسَ أَرَامَ دِمَشْقُ، وَرَأْسُ دِمَشْقَ رَصِينُ. وَفِي مُدَّةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً يَنْكَسِرُ أَفْرَايِمُ حَتَّى لَا يَكُونَ شَعْبًا. وَرَأْسُ أَفْرَايِمَ السَّامِرَةُ، وَرَأْسُ السَّامِرَةِ ابْنُ رَمَلْيَا."[٣٤]

نفهم من هذا النص أن الله يتكلم هنا مؤكدًا أن مصير شعب الله في يد الله وليس في يد السياسيين. ومصير قادة أورشليم مرتبط بخطة السماء وليس بمؤامرات الملوك. فمهما بلغت قوة سوريا (دمشق) وقوة إسرائيل (السامرة) فلن تنجح خطتهما. ومهما ضعفت قوة أورشليم وإمكانياتها العسكرية فلن تسقط ما دام الله معها.[٣٥]

يعلن الله دينونته على إسرائيل وعلى سوريا (أرام) أنها خلال ٦٥ عامًا سوف لا يكون لها وجود "فِي مُدَّةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً يَنْكَسِرُ أَفْرَايِمُ حَتَّى لَا يَكُونَ شَعْبًا."[٣٦] في التاريخ العام نجد أول خطر كان على يهوذا لكن لم يفنَ يهوذا بل البقية منها ترجع، إلا أن الملكين قد ماتا في عامين فقط بعد النبوة. أما الخمس والستون عامًا لكي نقترب من فهم تحقيق النبوة فهي حدثت تقريبًا ما بين ٧٤٥-٦٨١ قبل الميلاد، حيث كانت القوة العظمى والأوحد في ذلك الوقت هي الإمبراطورية الآشورية التي حكمت كل منطقة الشرق فقضت آشور على إسرائيل ورجعت بقية لمملكة يهوذا بعد السبي وأسماء الأباطرة الأشوريين ومدة حكمهم كالآتي:[٣٧]

تغلث فلاسر الثالث ملك آشور، حكم ١٨ عامًا.

شلمنصر الخامس حكم ٥ أعوام.

أسرحدون الثاني حكم ١٧ عامًا.

سنحاريب حكم ٢٤ عامًا.

طفل علامة أم إعلان لعلامة

لا يمكن أن يتغافل أو يغفل قارئ كلمة الله في العهدين أن القديس متى يهودي القلب والفكر ولاوي يعرف كلمة الله

33 The Spurgeon Library, *The Birth of Christ*, https://www.spurgeon.org.

٣٤ إشعياء ٧: ٥ – ٩.

٣٥ حنا كتاشو، القس ، تأملات من العهد القديم: عمانوئيل (إشعياء ٧)، ٣٢ فبراير ٢٠١٩ . https://www.comeandsee.com

٣٦ إشعياء ٧: ٨.

37 Historical Context and Fulfilment of Isaiah 7:8, Biblical Hermeneutics Stack Exchange, https:// hermeneutics.Stackexchange.com.

المكتوبة في العهد القديم بأبعاد معانيها هو من اقتبس إشعياء ٧: ١٤، متيقنًا بالروح القدس أن هذه النبوة هي تحقيق الخلاص الذي وعد به الله شعبه في العهدين، فولادة العذراء طفلًا سماويًا لا ليفتح نافذة السماء على البشر كما حدث مع آحاز ومملكة يهوذا، بل ليجسد ما وعد به شعبه بحضوره الملموس بجسد البشر، وأن الرجاء أصبح واقعًا حيًا لا واقعًا مأمولًا أن يحدث. وبالتالي إذا أردنا أن نفهم العلامة ونفك لغز التفسيرات الكثيرة عن العذراء وابنها عمانوئيل في العهد القديم، "يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّانُوئِيلَ."، يرى البعض أن الآية هي السيد الرب نفسه الحاضر في الأزمة، والمتواجد حيث يكون وعده وتكون كلمته. فقد فسروا أن العلامة التي قالها الرب لآحاز بفم إشعياء هي أنه إله أمين في تحقيق ما وعد وأن حضوره لا ينتهي والحمل وولادة طفل هو مقدمة للعلامة. بالإضافة إلى أن حياة الطفل هي توضح أكثر للعلامة حيث إنه "قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَرْفُضَ الشَّرَّ وَيَخْتَارَ الْخَيْرَ، **تُخْلَى الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ خَاشٍ مِنْ مَلِكَيْهَا. يَجْلِبُ الرَّبُّ عَلَيْكَ وَعَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى بَيْتِ أَبِيكَ، أَيَّامًا لَمْ تَأْتِ مُنْذُ يَوْمِ اعْتِزَالِ أَفْرَايِمَ عَنْ يَهُوذَا، أَيْ مَلِكَ أَشُّورَ." أي أن وعد الله أن هاتين الشعلتين المدخنتين أي دمشق والسامرة:** "لا تقوم ولا تكون." إن إخلاء أراضيهما هي علامة على صدق كلمات إشعياء وأنها كلمات من الله. "النَّبِيِّ الَّذِي تَنَبَّأَ بِالسَّلَامِ، فَعِنْدَ حُصُولِ كَلِمَةِ النَّبِيِّ عُرِفَ ذَلِكَ النَّبِيُّ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَهُ حَقًّا." (إرميا ٢٨: ٩).

التعبير الذي صكه الوحي "يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً"، أي علامة، تمثلت في عذراء تلد طفلًا للخلاص، وتأكيدًا على معية الله، الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ "عِمَّانُوئِيلَ". يتكرر الاسم مرتين أخريين في إشعياء ٨: ٥، ١٠، "لِذَلِكَ هُوَذَا

السَّيِّدُ يُصْعِدُ... مَلِكَ أَشُّورَ وَكُلَّ مَجْدِهِ... وَيَنْدَفِقُ إِلَى يَهُوذَا... وَيَكُونُ بَسْطُ جَنَاحَيْهِ مِلْءَ عَرْضِ بِلَادِكَ يَا عِمَّانُوئِيلُ." من هنا يصف الرب بلاد يهوذا (أورشليم) بأنها بلاد عمانوئيل، "الأَرْضُ لَا تُبَاعُ بَتَّةً، لأَنَّ لِي الأَرْضَ" الوصف الثاني لاسم عمانوئيل فهو "هِيجُوا أَيُّهَا الشُّعُوبُ وَانْكَسِرُوا، وَأَصْغِي يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ... تَشَاوَرُوا مَشُورَةً فَتَبْطُلَ. تَكَلَّمُوا كَلِمَةً فَلَا تَقُومُ، لأَنَّ اللهَ مَعَنَا." أرض عمانوئيل يسكنها عمانوئيل وسط شعبه فلا تقوم المؤامرات ولا يجد الغدر طريقه إليها في أرض عمانوئيل وهو يسكن بين شعبه. إن ولادة طفل هنا علامة بارزة لشعب العهد القديم فقد فهموا أن هذه علامة لحضور الله الدائم وأنه يحمي ويخلص شعبه.

إن هجوم دمشق والسامرة على يهوذا كان قرار إبادة بيت داود، أو قُل إخلاء كرسيِّ داود وإشغاله بأمة غريبة، وهذا يعني أن وعد الله لا يتحقق. وبالتالي فالوجه الأول من الوعد هو تثبيت كرسي بيت داود، الذي خاطبته النبوة في أن عذراء تلد طفلًا يدعون اسمه عمانوئيل.

يخاطب الرب الشعب وإشعياء مرة أخرى تأكيدًا على دوره في تنفيذ كلمته من جهة دمشق والسامرة من خلال أنه يكلم إشعياء أنه سينجب ابنا ثانيًا، يدعو اسمه "مَهَيْرَ شَلَالَ حَاشَ بَزَ" ليكتبه على لوح بنفسه. وَقَالَ لِي الرَّبُّ: "خُذْ لِنَفْسِكَ لَوْحًا كَبِيرًا، وَاكْتُبْ عَلَيْهِ بِقَلَمِ إِنْسَانٍ: لِمَهَيْرَ شَلَالَ حَاشَ بَزَ. وَأَنْ أُشْهِدَ لِنَفْسِي شَاهِدَيْنِ أَمِينَيْنِ: أُورِيَّا الْكَاهِنَ، وَزَكَرِيَّا بْنَ يَبَرَخْيَا". فَاقْتَرَبْتُ إِلَى النَّبِيَّةِ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتِ ابْنًا. فَقَالَ لِي الرَّبُّ: "ادْعُ اسْمَهُ مَهَيْرَ شَلَالَ حَاشَ بَزَ. لأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَدْعُوَ: يَا أَبِي وَيَا أُمِّي، تُحْمَلُ ثَرْوَةُ دِمَشْقَ وَغَنِيمَةُ السَّامِرَةِ قُدَّامَ مَلِكِ أَشُّورَ." معنى اسم الطفل مهير شلال حاش بز "عجل بالغنيمة، وبادر للنهب"، ليؤكد أن آشور قادم ليسلب دمشق، وينهب السامرة منقذًا لأورشليم. أما النبوة فتؤكد على العلامة للطفل الثاني أنه "قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَدْعُوَ: يَا أَبِي وَيَا أُمِّي، تُحْمَلُ ثَرْوَةُ دِمَشْقَ وَغَنِيمَةُ السَّامِرَةِ قُدَّامَ مَلِكِ أَشُّورَ." بحلول الوقت الذي كان فيه هذا الطفل صغيرًا، سقطت دمشق في أيدي الآشوريين الذين قتلوا رصين، وفي السامرة، حل هوشع محل فقح، بينما نهبت آشور المناطق الشمالية من إسرائيل. علاوة على ذلك، بدأ هوشع في إرسال الثروة إلى الملك الآشوري كجزية عامًا بعد عام (٢ملوك ١٧ : ٤). نُهبت ثروة دمشق وغنيمة السامرة.[٣٨] وأنقذ الله مدينة أورشليم من مؤامرة وغدر دمشق والسامرة. ومن هنا نرى أن الأحداث (التاريخ) تصادق على النبوة وتوثقها، باعتبار أن النبوة صانعة التاريخ.[٣٩]

بلا شك أن هذه الدراسة ما هي إلا محاولة جادة للربط بين نبوة العهد القديم التي تحققت في زمانها، وبعدها

38 The Expository Files, Isiah 7- 8 A Virgin Shall Conceive, https://www.bible.ca.

٣٩ متى المسكين، الأب، **الرسالة إلى العبرانيين: شرح ودراسة أغنى الرسائل في التعرف على شخص المسيح** (وادي النطرون، دير الأنبا مقار، الطبعة الرابعة، ٢٠١٣)، ص ٧٨.

الكريستولوجي حيث تحقق وعد الله بالكامل في تجسد صاحب الوعد بأمانته في جسم بشري. يقدم جايسن كومبس Jason R. Combs أربع أفكار عن فهم هوية عمانوئيل في إشعياء وهم كالآتي:[٤٠]

١- أن هناك طفلًا يُدعَى عمانوئيل قد وُلِد من عذراء أيام آحاز.

٢- كانت العذراء، فتاة معروفة بصورة شخصية لآحاز وقت النبوة.

٣- كانت النبوة خاصة بآحاز وبيت داود، والمفترض أن آحاز سيراقب الصبي، عمانوئيل، وهو يكْبُر.

٤- وصفت أورشليم (أرض يهوذا) بأنها عمانوئيل، مما يجعل من المحتمل أن عمانوئيل كان وريثًا لبيت لداود.

والحقيقة التي لا يمكن أن نغفلها هي أن إشعياء بروح النبوة أخذ بعدًا أعمق من واقعه أيام آحاز، فقدم تكملة النبوة بجدارة ستتحقق بعد ٧٠٠ عام من عصره، أي عن المسيح عندما سجل في الإصحاح ٩ النبوة الآتية: "لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ."[٤١]

التحقيق الكامل للوعد

كان البشير متى يهوديًا أصيلًا، ولاويًا وفريسيًا رابيًا، لذا قدَّم لنا يسوع المسيح كما جاء في نبوات العهد القديم. لأن اللاويَّ في أيام السيد المسيح كان من الطبيعي أن يكون من طبقة الفريسيين، إلا أن خدمة الهيكل كانت في يد الكهنة ورؤساء الكهنة من الصدوقيين مما استدعى أن يبحث كل لاويٍّ[٤٢] عن عمل خارج طقوس خدمة الهيكل. وبالتالي اشتغل متى عشَّارًا للرومان.[٤٣] وكان متى تلميذًا متعلمًا وكاتبًا بارعًا ومتمكنًا من أدواته في الكتابة ويتميز بأنه يعرف عدة لغات.[٤٤] كتب متى بشارته إلى مجتمع مسيحي جديد يهود متنصرين فكانوا في حاجة ماسة إلى شرح علاقة يسوع المولود بإسرائيل، وعلاوة على ذلك، كتب بشارته في ظروف مماثلة للظروف التي عاصرها إشعياء.

كانت الأحوال الدينية أيام القديس متردية حيث الفساد الديني للشعب والقادة. كانت الشكليات هي السمة العامة والتدين هو السائد بين اليهود في ذلك الحين. لم يرَ القديس متى إلا البقية الصغيرة التي تنتظر المسيا المخلص. بالتالي فإن القديس متى اليهودي

40 Jason R. Combs, From King Ahaz's Sign to Christ Jesus the "Fulfilment" of Isaiah 7:14. BYU Religious Studies Center, https://rsc.byu.edu.

٤١ إشعياء ٩: ٦ – ٧.

٤٢ دعوة ومسؤولية سبط لاوي في العهد القديم كانت كتابة الناموس والتوراة ودراسة وشرح وحفظ وتعليم. وهذا يعرفنا كم كان البشير متى فاهم للنبوات؟

٤٣ متى المسكين، الأب، **تفسير الإنجيل بحسب القديس متى: دراسة وتفسير وشرح** (وادي النطرون: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ١٩٩٩م)، ص ٢٥.

٤٤ ر. ت. فرانس، التفسير الحديث للكتاب المقدس: إنجيل مت، ترجمة أديبة شكري(القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٠م)، ص ٧.

المتأصل العارف والفاهم لنبوات العهد القديم، اتخذ من العهد القديم برهنة أن الله لا يطل على نافذة من السماء على البشر بل جسَّد وعده لبيت داود ليكون معهم (عمانوئيل الله معنا)، حيث صك التعبير المعروف عنه "لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ"، من هنا نجد أن متى البشير قد اقتبس من النبوات أكثر من أي بشير آخر، رغم الاقتباسات المشتركة بين البشائر الثلاث متى ومرقس ولوقا، إلا أن هناك أكثر من ١٠ اقتباسات انفرد بها متى ولا توجد في كل كتب العهد الجديد.[٤٥]

حسب رأي الأب متى المسكين، لم يقتبس البشير متى "نبوات الأنبياء فقط بل استحضر أرواحهم ليقدم كل واحد شهادته من وراء الماضي السحيق ليؤكد أن كلمة الله حية وفعاله تزيدها الأزمنة بريقًا لتحقيق صدق مواعيد الله. فالمسيح عند البشير متى هو مسيح التوراة وكل الأنبياء قبل أن يكون مسيح العهد الجديد."[٤٦]، وأنه ليس مجرد متمم النبوات فقط بل هو الإطار الشامل للإعلان الإلهي في العهد القديم.[٤٧] بالرجوع إلى نبوة إشعياء "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ" الكلمة العبرية (عَالْمَا עַלְמָה) التي استخدمها إشعياء تعني عذراء صغيرة، يمكن أن تكون مخطوبة، أما كلمة (בְּתוּלָה، بتولية) والتي لم يستخدمها إشعياء يعني عذراء غير مخطوبة. فعَالْمَا، تُرجمت إلى اليونانية في الترجمة السبعينية إلى (παρθένος – بارثينوس)

٤٥ متى المسكين، ص ٤٥ & ر. ت. فرانس، ص ٣٠.
٤٦ متى المسكين، إنجيل القديس متى، ص ٤٦.
٤٧ ر. ت. فرانس، ص٣١.

والتي تحمل فقط معنى امرأة غير متزوجة، وهي منطقية جدًا في الترجمة،[٤٨] وهذا يعني أن اللفظ (عَالْما) في العبري يشير إلى أنه يحمل دلالات قوية على العُذرية في وقت إشعياء.

يعلل الأب تادرس يعقوب ملطي أن اللفظ العبري (عَالْما) أي فتاة مخطوبة وليس متزوجة، يطابق حالة السيدة المطوَّبة العذراء مريم تمامًا بكونها عذراء وفي نفس الوقت للقديس يوسف النجار الذي كان مدافعًا وشاهدًا على عذراويتها.[٤٩] هذا ما أكده البشير على عذراوية الفتاة مريم في سرده لقول الملاك ليوسف أن الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ... "أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، **قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.**فَيُوسُفُ رَجُلُهَا... أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: "يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ، لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ. لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ".". فالروح القدس صاحب المبادرة في أن تكون فتاة تَحْبَل.[٥٠]

جديرٌ بالملاحظة، أن اللّه تكلم في القديم إلى آحاز الملك على فم إشعياء بالمفرد "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو (أنت) اسْمَهُ "عِمَّانُوئِيلَ". ونجد نفس الصيغة في الترجمة السبعينية التي أخذ منها البشير متى (١: ٢١)، لكن يضيف متى إليها نكهة فكره اللاهوتي العميق للتوراة والأنبياء، بأنه يتكلم بصيغة الجمع، أي الكنيسة، أو مجتمع الأقلية القليلة المنتظرة خلاص الرب "هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللّه مَعَنَا."، أي أن الوعد الإلهي (كلمة اللّه) قد تجسد في الكنيسة، ليتحقق ما وعد به داود "يَأْمَنُ بَيْتُكَ وَمَمْلَكَتُكَ إِلَى الأَبَدِ أَمَامَكَ. كُرْسِيُّكَ يَكُونُ ثَابِتًا إِلَى الأَبَدِ..."."[٥١]

الخلاصة:

عِمَّانُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللّه مَعَنَا، هو المعنى الذي فهمناه في إشعياء بأن الوجود الإلهي كان حاضرًا لحماية بيت داود، وأنه تدخل في الوقت الحاسم لتنفيذ وعده، الذي بدا لمملكة إسرائيل ولملك آرام أنهما يقدران أن ينهيا هذا الوعد من خلال إزالة كرسي داود. وأن أورشليم هي ملك عمانوئيل "بِلاَدَكَ يَا عِمَّانُوئِيلُ". عذراء ولدت طفلًا فتح نافذة السماء على البشر. أما في العهد الجديد، فقد تحققت النّبوة في خطوة عملية لم تقتصر على أن وجود نافذة مفتوحة من السماء على البشر، بل الذي فتح النافذة جاء بإطلالة لم يتوقعها البشر، ليسكن بينهم، طفل جسد الحضور الإلهي بصورة منظورة. بالتجسد صنع اللّه لنفسه وجودًا داخل الإنسان والكنيسة. بالتجسد صنع اللّه شراكة حيَّة فاعلة ومتفاعلة للأبد.[٥٢] اللّه معنا ليس نافذة من السَّماء على البشر لحمايتهم من الغادرين فحسب، ولا مجرد تثبيت وعد أو كلمة نطق بها، بل تجسيدًا للوعد والكلمة لبناء داخل الإنسان في القلب من خلال وجود حي، ليكون اللّه معنا وتكون حياتنا معه.

٤٨ ر. ت. فرانس، ص ٧٨.
٤٩ تادرس يعقوب ملطي، ص ١١٦.
٥٠ متى المسكين، ص ١٥٢.
٥١ ٢ صموئيل ٧: ٨ – ١٦.
٥٢ متّى المسكين، ص ١٤٩.

خواطر ميلادية

ميلاد يسوع هو حدث تاريخي عظيم، وفي هذا الحدث، أخلى نفسه وأخذ صورة إنسان ليكون قريبًا منا، وليعيش تجربة بشريتنا بكل ما فيها من آلام وأفراح. من خلال تجسده، أظهر الله محبته العميقة للبشر، حيث اختار أن يدخل في تاريخنا ويعيش حياتنا ليعرف احتياجاتنا وتحدياتنا. هذا التجسد لم يكن مجرد رمز، بل كان خطوة إلهية حاسمة لتحقيق الخلاص، حيث قدم نفسه كفدية من أجلنا.

ش. رضا صلاح

ولكننا بحاجة دائمًا إلى تفسير الحدث والتعمق في معاني التجسد. في الخواطر الميلادية، يكون هناك تأمل وتفسير لأحداث الميلاد، وأيضًا توقع لتأثير هذا الميلاد في حياتنا اليومية. إذ إن ميلاد يسوع لا يقتصر على كونه ذكرى تاريخية، بل هو دعوة مستمرة لنا لنتأمل في كيفية تجسد الله في حياتنا اليومية. من خلال هذا التأمل، نكتشف كيف أن حب الله لنا يتجلى في كل لحظة، وكيف يمكن لتجسده أن يغير رؤيتنا لأنفسنا ولعلاقاتنا مع الآخرين. فكلما تعمقنا في معاني الميلاد، أصبحنا أكثر قدرة على العيش بروح المسيح في عالمنا المعاصر.

التجسد هو عنصر محوري للخلاص؛ فمن دون التجسد لم يكن هناك صليب، حيث إن الله تجسد في شخص يسوع المسيح ليعيش بين البشر ويتحمل أوجاعهم. وبذلك، كان التجسد بداية المسار الذي اكتمل بالصليب، الذي من خلاله تم الفداء وتحقق الخلاص. على الصليب، استطاع يسوع أن يقول: "قد أُكمل"، وهو تأكيد على أن كل ما كان يجب أن يتم لإنقاذ البشرية قد تم بالفعل، وأن عمل الفداء قد اكتمل. بنيت خواطري من حصيلة القراءات التي قرأتها عن الميلاد والتأملات التي تأملت فيها في النصوص الكتابية، وهي:

(١)
ملء الزمان

"وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ" (غلاطيَّة ٤: ٤).

عندما كسر آدم وحواء الوصية، كان عقاب الله للحية بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية، "وأَضَعُ عَداوَةً بَيْنَكِ وبَيْنَ المَرأةِ، وبَيْنَ نَسْلِكِ ونَسْلِها. هو يَسحَقُ رأسَكِ، وأنتِ تسحَقينَ عَقِبَه." (تكوين ٣: ١٥). جاء قايين وهابيل وشيث، ولم تُسحَق رأس الحية، وتوالت السنوات والشخصيات، وكان الرجاء في الشخص الذي يسحق رأس الحية، إلى أن جاء ملء الزمان، وكان هو الوقت المناسب لتنفيذ الوعد في يسوع المسيح.

عاش الشعب الإسرائيلي في انتظار ذلك المخلِّص الذي سيحقِّق الوعد الإلهي ويكسر قوة الشر. عبر العصور، كان الأنبياء يشيرون إلى مجيء هذا المخلص الذي سيخلص البشرية من خطاياها ويعيد السلام بين الإنسان والله. ومع مرور الزمن، أصبح الرجاء في تحقيق هذا الوعد أكثر إلحاحًا. وفي ملء الزمان، أرسل الله ابنه، يسوع المسيح، ليولد من امرأة ويعيش بين البشر، ليكمل الوعد ويكون هو الذي يسحق رأس الحية، مُحطمًا قوة الشر والخطيئة، ومُحققًا الخلاص الأبدي لكل من يؤمن به.

معنى ملء الزمان:

ملء الزمان، يعني اكتمال الزمن، أي الزمن الذي حدده الله بدقة لتحقيق مقاصده. وفي الوقت المعين من الله الآب، أرسل ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس، ليتمم خطة الفداء. يشير هذا إلى التدبير الإلهي الذي تم بموجبه إعداد العالم لاستقبال المسيح، حيث تحققت الظروف التاريخية والروحية التي جعلت مجيئه في ذلك الوقت ذا معنى وغاية، ليحرر البشرية من عبودية الناموس ويمنحها نعمة الخلاص. يشير مفهوم "ملء الزمان" إلى اللحظة التي أعدها الله بعناية ليظهر فيها المسيح للعالم. في هذه اللحظة، كانت البشرية قد وصلت إلى نقطة تحتاج فيها إلى الخلاص، حيث كان الناموس يعجز عن تحقيق البر الكامل، وكانت القلوب مهيأة لقبول النعمة. في هذا السياق، أرسل الله ابنه الوحيد، مولودًا من امرأة وتحت الناموس، ليحقق الفداء

ويؤسس عهدًا جديدًا يقوم على النعمة والإيمان بدلاً من الناموس والطقوس، مما أتاح للبشرية فرصة للمصالحة مع الله.

لماذا ملء الزمان؟

لكي تكون هناك فرصة للإنسان للعودة إلى الله، ولإظهار محبته بطرق مختلفة، عمل الله عبر العصور على إعداد البشرية لاستقبال حدث التجسد العظيم. وعندما جاء ملء الزمان، تحقق التجسد في الوقت المناسب وفقًا لخطة الله الكاملة. في هذا الوقت، تجمعت كل الظروف الملائمة لتحقيق قصد الله، حيث كان العالم مهيأً ثقافيًا ودينيًا وسياسيًا لاستقبال المسيح. ساهم انتشار اللغة اليونانية والرومانية، إلى جانب توحيد العالم تحت الإمبراطورية الرومانية، في تمهيد الطريق لنشر الرسالة الخلاصية بشكل أوسع وأسرع، مما جعل توقيت التجسد جزءًا من التدبير الإلهي المحكم.

الظروف الملائمة لملء الزمان:

أولاً: الظروف الثقافية

انتشار اللغة اليونانية على يد الإسكندر الأكبر في معظم أنحاء العالم ساهم بشكل كبير في تمهيد الطريق لنشر الرسالة المسيحية. فقد وفّرت هذه اللغة المشتركة وسيلة للتواصل بين الشعوب المختلفة، مما سهّل نقل الحقائق الروحية وتعاليم المسيح. بالإضافة إلى ذلك، ساعدت الثقافة اليونانية على توسيع آفاق العقل البشري لفهم مفاهيم روحية أعمق. بذلك، كانت اللغة والثقافة اليونانية جزءًا من خطة إلهية لإعداد العالم لملء الزمان وتجسد الله في المسيح.

ثانيًا: الظروف السياسية

في زمن ملء الزمان، كانت الإمبراطورية الرومانية تسيطر على العالم، وتميزت بتوفير شبكة واسعة من الطرق المؤمنة، مما سهّل انتقال الرسل وساعد في سرعة انتشار البشارة. كما أن توحيد الحكم تحت سيطرة الرومان أسهم في خلق بيئة مستقرة وآمنة، مما أتاح للرسل فرصة التحرك بحرية ونشر الإنجيل في مختلف أنحاء الإمبراطورية، محققين بذلك جزءًا مهمًا من خطة الله في ملء الزمان.

ثالثًا: الظروف الدينية

وصل البشر إلى مرحلة من اليأس، وانعدم الرجاء لديهم، وساد الظلام. وكان الأمل الوحيد يكمن في مجيء المخلص، مما جعل اليهود في حالة من الترقب الشديد لحدث التجسد. هذه الحالة من الانتظار والترقب كانت بمثابة إعداد إلهي لملء الزمان، حيث توفّرت الظروف الروحية والتاريخية التي مهّدت لمجيء المسيح في الوقت المحدد وفقًا لخطة الله.

رابعًا: الظروف الاجتماعية

بسبب الاحتلال، كان المجتمع يعاني من الفقر، وكانت الأمراض منتشرة بشكل واسع في المجتمع اليهودي. نتيجة لهذه المعاناة، كان المجتمع في حاجة ماسة إلى مخلص ينقذه من هذه الأزمات، سواء من الفقر أو المرض. ومن هنا نشأت التوقعات والترقب لمجيء المخلص الذي كان من المتوقع أن يحررهم ويمنحهم الأمل في الخلاص والتحرر من قيود الواقع الصعب.

(٢)

لمن كان التجسد؟

أولاً: التجسد للجميع

التجسد كان من أجل الإنسان، ولم يكن التجسد من أجل نوعية معينة من البشر، "لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ." (يوحنا ٣: ١٦).

تجسد يسوع المسيح ليكون مخلصًا لجميع الناس، بغض النظر عن خلفياتهم أو مكانتهم الاجتماعية أو ثقافاتهم. في تعاليمه، شدد على أن الخلاص مفتوح للجميع، المسيح جاء ليفدي البشر جميعهم، سواء كانوا فقراء أو أغنياء، أقوياء أو ضعفاء، يهودًا أو غير يهود، ليجعلهم شركاء في ملكوت الله.

فى نسل ميلاد المسيح نجد الشمولية فى وجود راعوث المؤابية ورحاب الزانية، ميلاد المسيح شمل اليهودي والأممي، صاحب السمعة الجيدة والسمعة السيئة، فميلاد المسيح يشملنا كلنا رغم اختلاف أجناسنا ورغم سلوكيتنا. كتاب ميلاد يسوع يوضح لنا أن تجسد الله كان من أجل الجميع.

ثانيًا: نماذج لشمولية التجسد

١- المجوس:

نجم خاصٌّ وُجد ليعلن مجيء المسيح، ولم يكن الإعلان عن طريق النجم غريبًا، بل كان مناسبًا لطبيعة عمل المجوس. الله يتعامل مع كل شخص بما يناسب فهمه وإدراكه. اتبع المجوس هذا النجم وقطعوا المسافات الطويلة ليبحثوا عن الملك، وقد وجدوه وقدموا له هدايا. كان بحثهم من أجل شخص الملك ذاته وليس من أجل منافع شخصية. وهذا على النقيض مما يحدث في هذه الأيام، حيث ننتظر أن يبحث الله عنا ويعلن لنا عن ذاته وهويته ويقدم لنا الهدايا.

٢- الرعاة:

من المحتمل أن الرعاة كانوا يرعون قطعانًا مخصَّصة لذبائح الهيكل. وكان الرعاة قومًا لا يُعتَمَد عليهم، ولا يُسمَح لهم بالشهادة في المحاكم. وإذا كانوا من طبقة محتقرة، فالسؤال يطرح نفسه: لماذا اختار الله أن يخصهم بهذا الامتياز؟ هذا يعلمنا أن دعوة الله للجميع، وأن ميلاد المسيح شامل للطبقة المميزة (كما في حالة المجوس) والطبقة المحتقرة (كما في حالة الرعاة).

عندما ظهر الملاك للرعاة، أعطاهم علامة لتساعدهم في التعرف على الطفل: "وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ" (لوقا ٢: ١٢) ثم جاء صوت من السماء معلنًا مِن جند السماء: "مُسَبِّحِينَ اللهَ قَائِلِينَ: "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ." (لوقا ٢: ١٤).

من خلال هذا المشهد العظيم، تكريمًا وامتيازًا للرعاة، نرى أن دعوة الله تشمل الجميع، بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية أو خلفياتهم. اختار الله أن يعلن ميلاد المخلص لأولئك الذين قد يُعتبرون الأقل شأنًا في نظر البشر، ليؤكد أن الخلاص مفتوح للجميع، وأن الله يكرم كل شخص بشكل متساوٍ.

(٣)
(أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا)

"فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا." (متى ١: ١٩)

كانت مريم مخطوبة ليوسف، لكنهما لم يجتمعا بعد، ومع ذلك وُجدت حبلى من الروح القدس. ووفقًا للتقاليد اليهودية، كان يُعتبر هذا الأمر خطيرًا للغاية، إذ قد يؤدي إلى رجم الفتاة الحامل خارج إطار الزواج. وعندما علم يوسف بالأمر، صُدم بشدة. لكنه، لكونه رجلاً بارًا، لم يُرد أن يُشهرها أمام الناس، بل قرر أن يُطلِّقها سرًّا حفاظًا على كرامتها.

أولًا: الشريعة وعقوبة رجم المرأة في اليهودية

تتعلق شريعة رجم المرأة بالزنا وتشمل:

١- في الشريعة، الفتاة العذراء المخطوبة التي تُثبت عدم عذريتها وتُدان بالزنا

يُحكم عليها بالرجم "وَلكِنْ إِنْ كَانَ هذَا الأَمْرُ صَحِيحًا، لَمْ تُوجَدْ عُذْرَةٌ لِلْفَتَاةِ. يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ." (تثنية ٢٢: ٢٠- ٢١)

٢- إذا أُمسكت امرأة متزوجة أو مخطوبة في حالة زنا، كانت العقوبة تشمل كلا الطرفين (المرأة والرجل). "إِذَا وُجِدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةِ بَعْلٍ، يُقْتَلُ الاثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ." (تثنية ٢٢: ٢٢)

٣- "إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ." (تثنية ٢٢: ٢٣- ٢٤)

تطبيق العقوبة:

يُشترط وجود شهود على الجريمة وفق الشريعة، كما أن العقوبة لا تُنفذ إلا بعد التحقيق الدقيق وإثبات الجرم بشهادة اثنين أو ثلاثة شهود. "عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يُقْتَلُ الَّذِي يُقْتَلُ. لاَ يُقْتَلُ عَلَى فَمِ شَاهِدٍ وَاحِدٍ." (تثنية ١٧: ٦)

ثانيًا: ما الأسباب التي دفعت يوسف إلى التفكير في التخلي عن مريم سرًّا؟

١- برّ يوسف وتقواه: يوسف، "رجل بار" (متى ١: ١٩)، مما يعني أنه كان ملتزمًا بشريعة الله، لكنه أيضًا كان رحيمًا. وقد انعكس ذلك في تصرفه، حيث لم يُرد أن يُشهِّر بمريم، بل اختار أن يُطلِّقها سرًّا. بره جعله غير قادر على قبول الزواج بمريم إذا اعتقد أنها خائنة، لكنه لم يُرد فضحها أو تعريضها للعار.

٢- رغبته في حماية مريم: الحمل خارج إطار الزواج كان يُعتبر في المجتمع اليهودي القديم عارًا كبيرًا، وقد يؤدي إلى عقوبات قاسية مثل الرجم. يوسف، بحكم رحمته وطيبته، لم يُرد أن يجعل مريم عرضةً للقوانين الصارمة أو نظرة المجتمع القاسية.

٣- رغبته في تجنب الفضيحة: كان إعلان حمل مريم علنًا يعني فضح أمرها أمام الجميع، وهو ما كان سيؤدي إلى محاكمتها وربما تنفيذ العقوبة بحقها. بتخليها سرًّا، أراد يوسف إنهاء العلاقة بطريقة تحفظ كرامتها وتُجنبها الإذلال العلني.

٤- حيرته وصدمته: عندما علم يوسف بحمل مريم، قد يكون شعر بالحيرة والارتباك، خاصة أنه كان يعلم أن الحمل ليس منه.

لكونه لم يفهم بعد أن الحمل هو من الروح القدس، رأى أن أفضل خيار هو التخلي عنها بطريقة هادئة حتى يتمكن كلاهما من المضي قدمًا دون ضرر.

ثالثًا: التطبيق الروحي من تصرف يوسف

التطبيق الروحي من تصرف يوسف يمكن أن يقدم دروسًا عميقةً لحياتنا اليومية، ومن أبرزها:

١- الرحمة فوق الحكم: يُظهر يوسف أن الرحمة واللطف يجب أن تكونا الأساس في تعاملنا مع الآخرين، حتى عندما نشعر بأنهم قد أخطأوا أو خذلونا. يمكننا أن نتعلم أن نتجنب الحكم السريع على الآخرين وأن نبحث عن طرق تحمي كرامتهم، كما فعل يوسف مع مريم.

٢- التصرف بهدوء في الأوقات الصعبة: بدلاً من رد الفعل الغاضب أو التصرف المتهور، تعامل يوسف مع الموقف بهدوء وتروٍّ، محاولاً إيجاد حل يحمي الجميع. يُلهمنا ذلك بأن نكون صبورين ونتأنى في اتخاذ قراراتنا،

خاصة في المواقف الصعبة.

٣- الثقة بخطة الله: رغم أن الموقف كان مربكًا وصادمًا ليوسف، إلا أنه ترك المجال لله ليكشف له الحقيقة من خلال الملاك. يُذكّرنا هذا بضرورة أن نثق بالله في الأوقات التي تبدو فيها الأمور غير واضحة أو محيرة، وأن نطلب إرشاده قبل التصرف.

٤- حفظ الكرامة الإنسانية: تصرف يوسف يعلّمنا أن نحترم كرامة الآخرين ونعاملهم بمودة حتى في أصعب المواقف، مما يعكس قلب الله الرحيم.

(٤)

(تحرك الجنين في بطن أليصابات)

"فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ،" (لوقا ١: ٤١).

عندما سلمت السيدة العذراء على أليصابات، تحرك الجنين في بطنها بطريقة غريبة ومميزة. امتلأت أليصابات من الروح القدس، وبإرشاده فسرت حركة الجنين كتعبير عن الفرح والابتهاج. عندئذ، قالت للسيدة العذراء: "مباركةٌ أنتِ في النساء"، في تحية عظيمة تعني أنها أكثر النساء بركة على وجه

أليصابات تستقبل مريم العذراء في بيتها، رسم فيليب دي شامبين، القرن السابع عشر.

الأرض. كما أعلنت، بإرشاد الروح القدس، أن الطفل الذي تحمله السيدة العذراء مريم هو المسيح، المخلِّص المنتَظَر للبشرية .

ما هي معاني تحرُّك الجنين في بطن أليصابات عندما زارتها السيدة العذراء؟

تحرُّك الجنين في بطن أليصابات عندما زارتها السيدة العذراء يحمل عدة معانٍ روحيةٍ وعميقةٍ ومنها:

١- تحرك الجنين في بطن أليصابات لم يكن مجرد حدث عابر، بل كان إعلانًا إلهيًّا عن الفرح بحدث التجسد، فامتزجت فرحة الجنين مع احتفال أليصابات، ليشكلا معًا شهادة حية لعظمة المولود الذي جاء ليحقق وعد الخلاص.

٢- تحرك الجنين في بطن أليصابات كان إعلانًا إلهيًّا عن شخص يسوع المسيح باعتباره

المسيا المنتظَر، الذي جاء ليخلّص البشر من خطاياهم وأتعابهم. هذا الحدث الفريد امتزج بفرحة أليصابات، ليصبح شهادة حيّة لعظمة التجسد الإلهي وبدء تحقيق وعد الخلاص.

٣- تحرُّك الجنين في بطن أليصابات كان بمثابة تأكيد من الروح القدس على عظمة الحدث، مما عزَّز إيمان أليصابات ومريم بحضور الله في حياتهما وبمخططاته الإلهية العظيمة.

التطبيق الروحي على تحرُّك الجنين في بطن أليصابات:

التطبيق الروحي على تحرك الجنين في بطن أليصابات يحمل عديدًا من الدروس والمعاني التي يمكن تطبيقها في حياتنا الروحية اليومية:

١- كما تحرَّك الجنين في بطن أليصابات فرحًا بحضور المسيح، ينبغي لنا أيضًا أن نحيا بفرح حقيقي يعكس حضور المسيح في حياتنا.

٢- أليصابات امتلأت بالروح القدس، وكان تفسيرها لحركة الجنين مستندًا إلى إرشاده. ونحن أيضًا مدعوون للإصغاء إلى إرشاد الروح القدس في حياتنا اليومية، ليقودنا نحو اتخاذ القرارات الصائبة وتحقيق إرادة الله في مسيرتنا.

٣- كما كان يوحنا المعمدان مُمهدًا لمجيء المسيح، نحن أيضًا مدعوون لتمهيد الطريق لعمل الله في حياتنا وحياة الآخرين. نحن نُعتبر أدوات في يد الله لتنفيذ خطته في العالم، ويتطلب ذلك منا الاستعداد الروحي والإيمان بقدرة الله على العمل من خلالنا.

هل كان يوحنا المعمدان يدرك هذه الحقيقة بالفطرة؟

الحقيقة أن يوحنا المعمدان أدركها من خلال معرفته الشخصية التي تعمّقت مع مرور الوقت، حيث كانت قمة هذه المعرفة في لحظة المعمودية عندما اعترف بيسوع كمخلص وقال: "هوذا حمل الله الذي يحمل خطية العالم". لذا، معرفة يسوع ليست معرفة مفروضة أو تلقائية، بل هي نتيجة قناعة شخصية وإيمان حقيقي نابع من اختبارنا الروحي. وهذا يبرز في فهمنا العميق لدور المسيح في حياتنا، حيث إننا مدعوون جميعًا لعيش هذه القناعة الشخصية بشكل يومي، والسماح للروح القدس أن يوجهنا نحو الحقيقة التي تجلب الخلاص الحقيقي.

(٥)

(المجوس والهدايا)

"وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ، وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ. فَخَرُّوا

وَسَجَدُوا لَهُ. ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا." (متى ٢: ١١)

١- من هم المجوس؟

المجوس هم مجموعة من الرجال الحكماء الذين يُعتقد أنهم جاءوا من الشرق، وربما من بلاد فارس أو مناطق أخرى في الشرق الأدنى القديم. كانوا معروفين بمهاراتهم في علم الفلك، والتنجيم، والدراسات الدينية. غالبًا ما يُشار إليهم على أنهم كهنة أو علماء، وكانوا يراقبون النجوم ويبحثون عن إشارات سماوية تتعلق بالأحداث الكبرى. عندما جاءوا من الشرق إلى أورشليم بحثًا عن الطفل يسوع بعد ولادته. كانوا قد شاهدوا نجمًا مميزًا في السماء، واعتقدوا أنه يشير إلى ولادة "ملك اليهود".

٢- كيف وصل المجوس إلى إورشليم، وما هي المسافة والوقت الذي استغرقوه للوصول؟

لم يذكر الكتاب المقدس كيفية وصولهم أو الوقت الذي

استغرقوه، ولكن الوسائل المتاحة في ذلك الوقت كانت الخيول والجمال. بالنظر إلى المسافة البعيدة والوسائل المستخدمة، التي لم تكن كافية لقطع المسافات الطويلة في وقت قصير، نجد أن الرحلة كانت شاقة واستغرقت بضعة أشهر. هذه الرحلة الطويلة تعبّر عن تصميم المجوس وإصرارهم على تتبع النجم الذي أعلن عن ولادة المسيح، مما يبرز إيمانهم العميق ورغبتهم في تقديم الهدايا له. إلى ماذا تشير الهدايا؟

٣- ما المغزى من ورود قصة المجوس في قصة ميلاد يسوع؟

وجود قصة المجوس في ميلاد يسوع يشير إلى:

١. ظهور المجوس، الذين يُعتقد أنهم كانوا حكماء أو علماء فلك من بلاد بعيدة (ربما فارس أو بابل)، يرمز إلى أن ميلاد يسوع ليس مجرد حدث يخص الشعب اليهودي، بل هو رسالة خلاص لجميع الشعوب والأمم.

٢. المجوس جاءوا يبحثون عن "الملك الذي وُلد" وقدَّموا له هدايا ملكيَّة (ذهبًا، ولبانًا، ومرًّا). هذه الهدايا ترمز إلى صفات يسوع المسيح كملك (الذهب)، وككاهن (اللبان)، وكمن سيُضحِّي من أجل البشرية (المر).

٣. ظهور النجم الذي قاد المجوس إلى يسوع وذلك يعكس أن الله يستخدم الطبيعة لقيادة الناس إليه. النجم يمثل نور الله الذي يهدي البشر إلى الحق.

٤. المجوس كانوا من الأمم غير اليهودية، وهذا يشير إلى أن يسوع أتى ليكون نورًا للأمم كافة، وليس فقط للمختارين من بني إسرائيل.

٥. رحلة المجوس الطويلة تتحدث عن الإيمان العميق والسعي الدؤوب للوصول إلى الحق. رغم أنهم كانوا غرباء عن الشعب اليهودي، إلا أنهم استجابوا لنداء الله وأظهروا تكريمًا عظيمًا للمسيح.

٤- إلى ماذا كانت تشير الهدايا؟ هدايا المجوس الثلاث توضح لنا مستقبل هذا الطفل. الذهب هو الهدية التي تُقدَّم للملوك (المسيح ملك)، واللبان هو من أنواع البخور الذي يُقدَّم للآلهة في المعابد (المسيح إله)، أما المر فهو من مستلزمات الدفن (موت المسيح ودفنه وقيامته). أمام هذه الهدايا نجد صورة واضحة لمستقبل هذا الطفل وما ينتظره من ألم وصعوبات، بداية من ملكه السماوي، مرورًا بطبيعته الإلهية، وصولًا إلى موته وقيامته التي كانت جزءًا من خطة الخلاص.

٥- التطبيق الروحي من المجوس:

١. رغم مكانتهم العالية كحكماء وأصحاب علم، أظهر المجوس تواضعًا عظيمًا عندما انحنوا وسجدوا ليسوع الطفل، مقدمين له هداياهم الثمينة. يُعلمنا هذا الموقف أن العبادة الحقيقية تبدأ بالتواضع أمام الله، بغض النظر عن مكانتنا أو إنجازاتنا، وأن الاعتراف بسيادة الله وملكوته يتطلب قلبًا خاشعًا يُقدّم له الأفضل، مُدركًا أن كل شيء هو من الله وله.

٢. النجم الذي قاد المجوس يمثل النور الإلهي الذي يهدي الساعين إلى الله، ويُعلمنا أن الله يرشد كل من يطلبه بإخلاص، سواء من خلال كلمة الله، أو الصلاة، أو أحداث حياتية توجه المؤمن إلى طريق الحق.

٣. المجوس، رغم انتمائهم إلى أمم وثقافات مختلفة، قادهم الله إلى المسيح، مما يبرز أن دعوة الله تشمل الجميع بغض النظر عن خلفياتهم، ويدعو كل مؤمن لقبول الآخرين والتشارك معهم في النور الإلهي.

٤. استمع المجوس إلى تحذير الله في الحلم ولم يعودوا إلى هيرودس، بل سلكوا طريقًا آخر، مما يُظهر أهمية أن يكون المؤمن حساسًا لإرشادات الله في حياته، سواء من خلال الصلاة أو التأمل أو الإرشاد الروحي.

ملف العدد

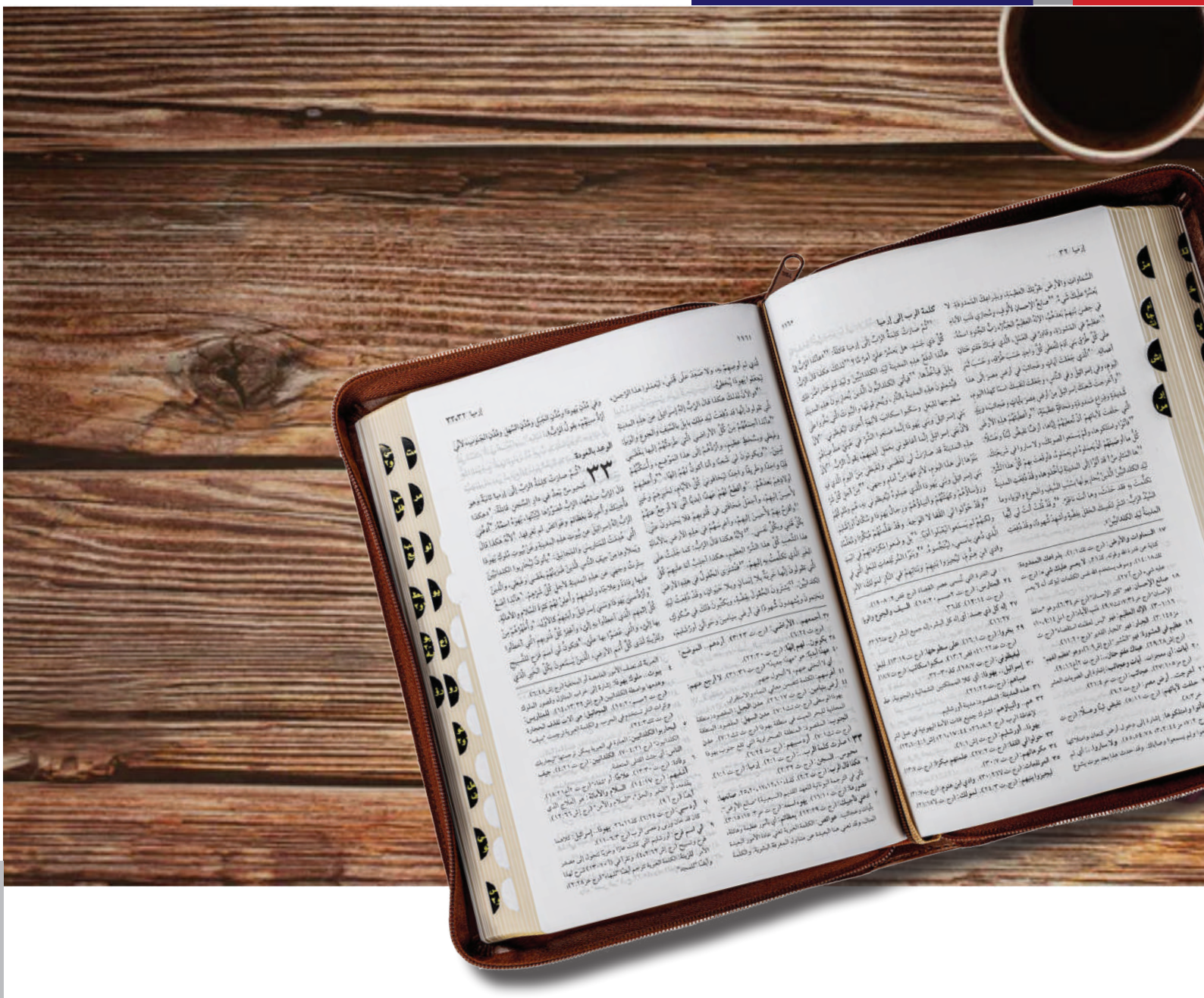

دراسات في
العهد القديم

كيف نقرأ العهد القديم اليوم؟

في مقدمة كتابه «قراءة العهد القديم وفقًا للكنيسة الأولى»، يكتب رونالد إي هاينه (Ronald E. Heine) عبارات يجدر بنا التوقف أمامها ونحن بصدد التعامل مع موضوع هذه المقالة:

د.ق. يوسف سمير

الكنيسة الإنجيلية في خطر أن يكون إيمانها منتَزَعًا من جذوره؛ لأن رسالتها عن المسيح منفصلة بشكل كبير عن جذورها في أسفار العهد القديم. وهذا نتيجة الإهمال أكثر من كونه نتيجة التعمد. أعتبر نفسي جزءًا من التقليد الإنجيلي الذي بدأ في القرن التاسع عشر مع حلم استرداد كنيسة العهد الجديد. وضع قادة هذا التراث تأكيدًا كبيرًا على أهمية العهد الجديد لكنهم أهملوا العهد القديم... كثير من الطوائف الإنجيلية وقعت في نفس الخطأ. وليس منهم كنيسة -بما فيهم كنيستي- تقدر أن تدعي أن العهد القديم غير موحى به أو أنه ليس جزءًا من الأسفار القانونية المسيحية. ومع ذلك فإننا نادرًا ما نفهم اليوم صلة العهد القديم الوثيقة بإنجيل الكنيسة عن يسوع المسيح، وقليلًا ما تعلَم الكنيسة عن هذا.[1]

تعبِّر الفقرة عن التحدي الذي يواجه الكنيسة في العصر الحالي بشأن علاقتها بالعهد القديم. فالواضح أن العهد القديم بأسفاره التسعة والثلاثين بما تحمله من ألوان أدبية وقضايا لاهوتية وخلفيات ثقافية مرتبطة بعصور سحيقة في القدم إنما لا يجد مساحة كافية اليوم ليخاطب إنسان القرن الحادي والعشرين بصورة ملائمة وبأسلوب مفهوم. فالعهد القديم في كثير من الدوائر الكنسية أصبح أقرب ما يكون من الكتابات المتغربة زمانًا ومكانًا عن السياق المعاصر، بل يصل البعض إلى سلبه من أهميته كوحيٍ إلهي والحط من شأنه كجزء من كلمة الله المعصومة للإيمان والأعمال. وكما تشير الفقرة، ينبغي الالتفات إلى أن مثل هذه التوجهات القاصرة بشأن العهد القديم إنما قد تكون نتيجة للصعوبة التي يواجهها الأفراد أو الكنيسة في التعامل مع نصوص العهد القديم بسبب التفافاتها اللغوية أو الصعوبات الفكرية التي تحتويها أو الغموض الذي يلف سياقاتها التاريخية والجغرافية والسياسية، والذي بدوره يجعل من الصعب التعاطي معها والوصول إلى معانيها المحددة التي تصلح لأن تكون أساسًا متينًا لبنية فكرية أو لاهوتية أو سلوكية أخلاقية تناسب العصر الحالي بكل تحدياته وتشابكاته.

يعبر يوحنا كتاشو عن هذه المعضلة في مجموعة من الأسئلة التي تترجم حيرة الإنسان في يومنا الحالي وهو يتعامل مع نصوص العهد القديم؛ إذ يراها غير قادرة على مخاطبته أو التأثير فيه: "هل أطيع النبي موسى كما أطاعه المحارب يشوع (تثنية ٧: ١-٢)؟... هل أتصرف مثل إبراهيم أو داود أو سليمان وأكون متزوجًا من عدد من النساء؟ هل أطيع قوانين الحلال والحرام في المأكل والملبس والمأوى وغير ذلك؟ هل أحصر القسم الأكبر من رسالة الله في العهد القديم في شعب بني إسرائيل؟ كيف يكتشف المسيحيون رسالة الله

١. رونالد إي. هاينه، **قراءة العهد القديم وفقًا للكنيسة الأولى: رحلة استكشافية لمراحل تشكيل فكر المسيحيين الأوائل**، ترجمة عادل زكري (القاهرة مكتبة دار الكلمة، ٢٠١٦)، ٧.

لهم في العهد القديم وكيف يطيعونها؟".[٢]

كما يكتب هنري سميث Henry Preserved Smith واصفًا المعضلة:

ما لم أكن مخطئًا، فإن المسيحي اليوم سوف يواجه صعوبة في أن يجد ما يستحثه روحيًّا في كل جزء من أجزاء العهد القديم. فبالتأكيد التفاصيل الطقسية في أسفار الشريعة، وقوائم الأنساب في سفر أخبار الأيام، والقصص الدموية في سفر يشوع لا تساهم في تدعيم حياتنا التقوية. كما أن أجزاء كبيرة من الأسفار النبوية غامضة ليس فقط على القارئ العادي، لكن أيضًا على الدارس المتخصص. وعلى الرغم من الأصالة التاريخية التي تحملها هذه النصوص، إلا أنه من الصراحة بمكان الإقرار بأنها لا تدعم بصورة مباشرة احتياجات المرء الروحية.[٣]

أضف إلى ما سبق أن

اللاهوتي أدولف هارناك

كثيرًا من الأصوات المعاصرة تحاول التقليل من قيمة العهد القديم مقارنةً بالعهد الجديد، وكأن مثل تلك المحاولة -في نظر تلك الفرق- تعلي من قيمة العهد الجديد وموثوقيته وجاذبيته. فعلى سبيل المثال نقرأ ما يقوله اللاهوتي أدولف هارناك: "أن يبقى العهد القديم في البروتستانتية حتى يومنا هذا وثيقة كنسية تعادل في قيمتها العهد الجديد، فهذا هو نتيجة إعاقة دينية وكنسية."[٤] أما هنا فولف فيستخدم عبارات أكثر حدة فيقول في معرض حديثه عن العهد القديم: "إن على الكنيسة أن تعيد العهد القديم إلى اليهود، لأننا نرفض أن نكون بعد اليوم يهودًا أفضل، فنحن مسيحيون بكل بساطة، علينا أن نكون نحن أنفسنا."[٥]

ولا يمكن في هذا المقام أن نغفل عن المحاولات المشابهة التي شهدتها الكنيسة في بداية نشأتها للتقليل من قيمة وفاعلية العهد القديم، بل ومحاولة تجنبه وإلغائه تمامًا من قانونية الأسفار المقدسة. ويبرز اسم ماركيون (أو مارسيون) كقائد لذلك التوجه في القرن الثاني الميلادي. فبسبب آرائه الغنوسية المنحرفة، رفض مارسيون العهد القديم بأكمله لأنه يعبر عن إله العهد القديم (الإله الخالق) الذي في رأيه يختلف عن إله العهد الجديد، الذي هو إله الرحمة والمحبة والغفران. وبالتالي "رفض مارسيون كل العهد القديم وأية أجزاء من العهد الجديد الحالي لم تتفق مع نظرته إلى إله يسوع الذي

٢. حنا كتاشو، **مقدمة إلى العهد القديم**، (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢٤)، ٤٣.

3. Henry Preserved Smith, "The Present Value of the Old Testament," *The Biblical World* 41, no. 1 (January 1913): 44 (40-46)

٤. مقتبسة في ميلاد جاويش، "**العهد القديم في حياة الكنيسة**" **الدستور العقائديّ في الوحي الإلهيّ**، سلسلة دراسات بيبليّة ٢٨، تحرير أيوب شهوان، (لبنان: الرابطة الكتابيّة، ٢٠٠٤)، ١٩٠.

٥. المرجع السابق.

هو محبة. وهكذا قبل مارسيون من العهد الجديد فقط عشر رسائل مُنقحة للرسول بولس ونسخة مشوهة من إنجيل لوقا."[٦] أمام هذه الصعوبات الحقيقية التي تقف حائلًا أمام استساغة الإنسان المعاصر -وخاصة جيل الشباب- لقراءة واستيعاب وتفهم رسالة العهد القديم، يُطرح السؤال البديهي: هل يمكن للعهد القديم أن يحمل معنى حقيقيًّا لعالمنا المعاصر؟ هل يمكن لنصوصه المختلفة أن تكون صدى للمعضلات التي تواجهها المجتمعات المختلفة في ظل نظام عالمي أقل ما يوصف به هو معاداته لكل ما هو إلهي وأخلاقي، وفي عديدٍ من السياقات، مسيحي؟ إن إعادة تقييم العهد القديم يتطلب منا البحث في إمكانية تكييف تعاليمه مع مفاهيم العصر الحديث. هل يمكن أن تقدم نصوصه حلولًا للتحديات الأخلاقية والاجتماعية التي نواجهها اليوم؟ وهل يمكن استخلاص دروس منه في سياق تغيراتنا الثقافية والتكنولوجية المستمرة؟ إن السؤال: كيف نقرأ العهد القديم اليوم؟ لا يتعلق فقط بتفسير معاني الكلمات أو الاستخلاص المباشر للتعاليم، بل يتطلب فهمًا معمقًا للسياقات التاريخية والدينية التي نشأ فيها النص، إضافة إلى تحديد العلاقة بين النصوص القديمة والواقع المعاصر من خلال أدوات النقد الأدبي والتاريخي.

التحديات التي تواجه قراءة وفهم العهد القديم اليوم

لا شك أن العهد القديم كواحد من أقدم النصوص المقدسة في العالم التي أثرت ومازالت تؤثر في رؤية البشر لله وطرائق تعامله معهم، وكذلك بأطروحاته اللاهوتية والأخلاقية التي يتفق أو يختلف معها الناس، فإنه يقابل يومًا بعد الآخر تحديات متزايدة في سبيل قراءته وفهمه واستنتاج ما يريد أن يقوله ليوجه به وجدان الإنسان في مسيرته الإيمانية. فالنصوص الموجودة في العهد القديم قد كتبت في سياقات تاريخية وثقافية ودينية تختلف تمامًا عن الواقع المعاصر، مما يجعل قراءتها وفهمها اليوم مسألة معقدة تتطلب تحليلًا نقديًّا عميقًا. فيما يلي رصد لبعض التحديات التي تلقي بظلالها على كيفية استقبالنا للعهد القديم واستجابتنا له وتجاوبنا معه:

١. التحديات اللغوية

كُتبت أسفار العهد القديم باللغتين العبرية والأرامية، وهما لغتان قديمتان حلت محلهما اليوم العبرية المعاصرة والسريانية، وهي النسخة المعاصرة من الأرامية القديمة. ويمثل إغراق هاتين اللغتين في القدم تحديًا لا يُستهان به أمام الشخص الذي يسعى للوصول إلى فهم دقيق للنصوص الكتابية في العهد القديم. يكتب الدكتور رياض قسيس: "وللبعد الزمني انعكاساته العديدة على فهم العهد القديم. يختلف أسلوب الكتابة في تلك الأزمنة عن الأساليب المتبعة في أيامنا، فاللغة في تطور مستمر من ناحية التعبير والصياغة، فهناك العديد من المصطلحات

6. Randall E. Otto, "The Problem with Marcion: A Second-Century Heresy Continues to Infect the Church," *Theology Matters* 4, no. 5 (September/ October 1998): 1. (1-16)

التي كانت مألوفة ومتداولة في أزمنة كتابة العهد القديم لم تعد مألوفة ومستعملة في أيامنا."[٧] وعائق اللغة ليس بأمر جديد في تاريخ التفسير، فنحن نعلم أن كثيرًا من الترجمات التاريخية قد تمت في فترات متباينة بسبب استشعار الشعب الاحتياج الشديد إلى قالب لغوي مفهوم يقرب إليه المعاني والأفكار الموجودة في اللغات الأصلية. فالترجومات (الترجمات المختلفة من اللغة العبرية إلى لغات معاصرة) كانت واحدة من المحاولات الكثيرة لوضع العهد القديم في قالب مفهوم.

تشير إحدى المقالات التي تعالج الموضوع إلى هذه الحقيقة بالكلمات التالية: "والمعروف أن الضرورة هي التي دعت إلى ترجمة أسفار العهد القديم للغة الأرامية، وذلك بعد أن أصبحت هذه اللغة هي لسان الشعب اليهودي بعد السبي، حيث تقلصت اللغة العبرية التي كُتب بها الناموس لتكون لغة الكتاب المقدس وحسب. وكنتيجة حتمية لذلك أمست الحاجة ماسة في المجامع والمدارس إلى مترجم أو مفسر حينما تُقرأ الكتب المقدسة على الشعب."[٨]

وهكذا كان الحال مع الترجمة السبعينية للعهد القديم إلى اللغة اليونانية؛ حيث "إن الضرورة ذاتها اضطرت المتكلمين باليونانية أن يطلبوا ترجمة يونانية لأسفارهم المقدسة، حتى يفهموا ما كان يُتلى عليهم من القراءات في المجامع، والتي بدأت طبعًا بواسطة مترجم يوالي الترجمة آية فآية أو فصلًا فصلًا كما بدأت الترجومات."[٩] ولا يقتصر هذا الأمر على مجرد صعوبة الكلمات أو التراكيب اللغوية في لغات قديمة مثل العبرية أو الأرامية، لكنه يمتد إلى الأساليب الأدبية/ الفنية التي كُتبت بها أسفار العهد القديم مثل الشعر والنبوة والأدب الرؤيوي أو أدب الحكمة وهي جميعها تتسم بخصائص تحتاج إلى معرفة قد لا يصل إليها القارئ العادي الذي قد يستسهل الابتعاد عن مثل هذه النصوص الصعبة. يلخص جوردون في ودوجلاس ستيوارت طبيعة هذه المشكلة في الكلمات التالية:

الترجمة السبعينية

ولكي يتمكن الدارس والقارئ من تفسير «آنذاك وهناك» في الكتاب المقدس تفسيرًا سليمًا، عليه لا أن يعرف بعض القواعد العامة التي تنطبق على كل كلمات الكتاب المقدس فقط،

٧. رياض قسيس، **لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟ نحو فهم أفضل للعهد القديم** (القاهرة: P. T. W للترجمة والنشر، ٢٠١٠)، ١٩.

٨. دار مجلة مرقس، **الكتاب المقدس: النصوص الأصلية- كيف وصلت إلينا أسفاره، أقدم المخطوطات التي تحوي الكتاب المقدس** (وادي النطرون: دير القديس أنبا مقار، ٢٠٠٣)، ٩٦.

٩. المرجع السابق، ٩٨.

بل عليه أيضًا تعلم القواعد الخاصة التي تنطبق على كل نوع من أنواع النصوص الكتابية المختلفة. لأن الطريقة التي يوصل لها الله كلمته إلينا «الآن وهنا» تختلف بين نوع نص وآخر، فعلى سبيل المثال نحتاج أن نعرف كيف يكون المزمور الموجه إلى الله، هو أيضًا كلمة الله لنا. وكيف تختلف المزامير عن الشرائع التي غالبًا ما كانت موجهة إلى الناس في ظروف بيئية لم تعد سارية الآن. أيضًا كيف يمكن لهذه الشرائع أن تتحدث إلينا؟ ما مدى اختلافها عن الشرائع الأدبية التي تصلح لكل الأحوال وفي كل البيئات؟[١٠]

لمواجهة هذا التحدي الكبير والتقليل من آثاره التي تباعد بين الإنسان المعاصر ونصوص العهد القديمة، وفي سبيل توضيح المعنى الأقرب إلى النصوص الأصلية، تسعى الترجمات المختلفة إلى جميع اللغات للالتزام بمعيارين شديدي الأهمية لتحقيق ذلك الهدف.[١١] المعيار الأول هو

ما يطلق عليه المتخصصون "المعادل الشكلي"، وهو معيار يولي اهتمامه الأساسي باللغة الأصلية التي يتم الترجمة منها إذ يسعى إلى الحفاظ بقدر الإمكان على الخصائص والقواعد اللغوية للغة الأصلية. ويمكن أن يؤدي هذا الالتزام في بعض الأحيان إلى ترجمة تبدو متكلّفة وخالية من المرونة. أما المعيار الثاني فهو "المعادل الديناميكي"، وهو المختص باللغة التي يتم الترجمة إليها. والهدف من هذا المعيار هو إنتاج ترجمة تبدو طبيعية ومستساغة بقدر الإمكان من جانب المتلقي سامعًا كان أو قارئًا. ولهذا المعيار مخاطره كذلك إذ أن الجهد المبذول لتقديم ترجمة سهلة إلى أقصى حد يمكن أن ينتهي إلى تشويه المعنى الذي يحمله النص الأصلي.

وعندما نقترب من الترجمة الأساسية للكتاب المقدس في اللغة العربية، وهي ترجمة البستاني- فانديك نرى أنها على قدر كبير من الدقة والاحترافية في الترجمة. بيد أنها -وعلى الرغم من الجوانب الممتازة التي تتضمَّنها- إلا أنها، وبسبب قِدَمِها النسبي -إذ أنها تعود إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر- تحتوي على بعض المآخذ التي يجب الالتفات إليها. المأخذ الأول هو غموض بعض الكلمات والمصطلحات فيها. فبعض الكلمات العربية التي تحتويها هذه الترجمة أصبحت قديمة وغير متداولة، وبالتالي غير مستساغة لإنسان القرن الحادي والعشرين. على سبيل المثال في ميخا ٧: ٣ نجد كلمة (يعكّشونها): "اَلْيَدَانِ إِلَى الشَّرِّ

١٠. جوردن في ودوجلاس ستيوارت، **خطوات عملية لفهم النصوص الكتابية** (القاهرة: دار الكتاب المقدس، ٢٠٠٩)، ١٨.

11. John Kaltner, *Reading the Old Testament Anew: Biblical Perspectives on Today's Issues* (Winona, MN: Anselm Academic, 2017), 17.

مُجْتَهِدَتَانِ. الرَّئِيسُ وَالْقَاضِي طَالِبٌ بِالْهَدِيَّةِ وَالْكَبِيرُ مُتَكَلِّمٌ بِهَوَى نَفْسِهِ فَيُعَكِّشُونَهَا." والكلمة، كما هو واضح، غير دارجة أو مُستَخدَمة في لغة اليوم. وهي في معجم الوسيط تشير إلى نسج العنكبوت لمصيدته للإيقاع بفرائسه، وهو المعنى الذي يحمله النص[١٢] لكن الترجمة تستخدم كلمة عربية غير متداولة وبالتالي يغمض المعنى بالنسبة للقارئ. نموذج آخر نجده في أمثال ٢٩: ٢١: "مَنْ فَنَّقَ عَبْدَهُ مِنْ حَدَاثَتِهِ فَفِي آخِرَتِهِ يَصِيرُ مَنُونًا." والآية تحمل كلمتين غامضتين: (فَنَّق) و(منونًا) والاثنتان ليستا متداوَلَتَيْن في العربية المعاصرة. وكلمة "فنق" في المعجم الوسيط تعني "نَعَّمَ" شخصًا أو "دلَّله" إلى حد الإفساد؛ أما كلمة "منون" فهي في معجم اللغة العربية المعاصرة تأتي من الفعل "منا" أو "اختبر" أو "ابتلى" والمقصود أن العبد الذي تم تدليله في الصغر يصير عندما يكبر ابتلاءً وسبب ضيق بالنسبة لسيده. ترد الآية بأكثر وضوحٍ في الترجمة العربية المُشتَرَكة: "مَنْ دَلَّلَ عبدَهُ في صِغَرِهِ ابْتُلِيَ به في كِبَرِهِ"، وفي الترجمة اليسوعية: "مَن دَلَّلَ عَبدَه مُنذُ صِباه، وَجَدَه في آخِرِ الأمرِ عاصِيًا"، وفي الترجمة العربية المبسطة: "إِذَا دَلَّلَ الرَّجُلُ عَبْدَهُ وَهُوَ صَغِيرٌ سَيُصبِحُ عَنِيدًا عِنْدَمَا يَكْبُرُ."

٢. التحديات التفسيرية

لا يتوقف الأمر عند الترجمة فقط، بل يتعلق أيضًا بتفسير النصوص الكتابية بصورة تعبِّر عن المعاني التي أراد كتبة الأسفار توصيلها للقارئ أو المستمع الأول. فتفسير أسفار العهد القديم هو عملية معقَّدة تتطلب مزيجًا من المهارات اللغوية، التاريخية، الثقافية والدينية. على الرغم من التحديات الكبيرة التي تواجه المفسرين، فإن التفسير الجيد لهذه النصوص يمكن أن يقدم فهمًا أعمق للإيمان والروحانية وللتاريخ البشري. ربما يكون التحدي الأكبر الذي يواجهه قارئ العهد القديم هو كيفية التفريق بين النصوص التي ينبغي التعامل معها رمزيًّا وفهمها من خلال التفسير الرمزي، وتلك التي ينطبق عليها التفسير الحرفي/التاريخي، وتلك التي ينطبق عليها التفسير الأخلاقي. يسري الأمر على جميع أنوع النصوص وخاصة النصوص الشعرية والنبوية والتشريعية.

على سبيل المثال هنالك صعوبةٌ في تفسير النبوات المختلفة وأسلوب تحقيقها التاريخيّ. فالنبوة الكتابية بصورة عامة، باستثناء نبوات قليلة، لها أكثر من تحقيق في أكثر من عصر وبأكثر من صورة. نموذج لهذه الصعوبات التفسيرية نجده في نص نبوي شهير يستخدمه كثيرون بصورة غير صحيحة؛ حيث يقصرون تفسيره على الواقع المعاصر وكأنه لم يجد أي تحقيق له في عصور سابقة. هذه الآية ترد

١٢. ترد ترجمة الآية في الترجمة العربية المشتركة كالتالي: "إِنَّما اليَدانِ لإتمام الشَّرّ. الرَّئيسُ مُتَطَلِّب والقاضي يَقْضي بالأُجرَة، والكَبيرُ يَتَكَلَّمُ بهَوى نَفسه، وكُلُّهم يَحوكونَه." أما في الترجمة الإنجليزية القياسية (English Standard Version) فنقرأ:
"Their hands are on what is evil, to do it well; the prince and the judge ask for a bribe and the great man utters the evil desire of his soul; thus *they weave it together*".

في إشعياء ١٩: ٢٣-٢٥ "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ سِكَّةٌ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَشُّورَ فَيَجِيءُ الأَشُّورِيُّونَ إِلَى مِصْرَ وَالْمِصْرِيُّونَ إِلَى أَشُّورَ وَيَعْبُدُ الْمِصْرِيُّونَ مَعَ الأَشُّورِيِّينَ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ إِسْرَائِيلُ ثُلُثًا لِمِصْرَ وَلأَشُّورَ بَرَكَةً فِي الأَرْضِ بِهَا يُبَارِكُ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ." الحديث في هذه الأعداد يدور حول العلاقات الطيبة التي سوف تربط بين الدول الثلاث؛ مصر وأشور وإسرائيل، وهو ما تحقق بالفعل في تلك الحقبة التاريخية؛[١٣] حيث نمت العلاقات المشتركة بينها حتى إنه عُرف في الفترة بين الإسكندر والمسيح أن اليهود ثلاثة أقسام: الأول يعيش في اليهودية، والثاني في أشور، والثالث في مصر. لكن من الواضح أنه كانت هنالك تحقيقات تاريخية أبعد لهذه النبوة في إطار العمل الإلهي وفي سياق الكنيسة المسيحية:

● فالمخلِّص الذي يأتي إلى مصر كان المسيح الطفل الذي لاذت عائلته بالفرار من بطش هيرودس الكبير لتأتي في رحلة طويلة إلى مصر استغرقت قرابة العامين وزارت خلالها كثيرًا من المدن المصرية شمالًا وجنوبًا.

● والمدن التي تتكلم لغة كنعان تشير إلى وصول الإنجيل وانتشاره في ربوع مصر. فسفر الأعمال يخبرنا أن عددًا من المصريين كان متواجدًا في يوم الخمسين في أورشليم وشاهدوا وسمعوا ما حدث (أعمال الرسل ٢: ٧-١١)، كما أننا نقرأ عن أبلوس الإسكندري الجنس الذي كان خبيرًا في طريق الرب (أعمال الرسل ١٨: ٢٤- ٢٨).

يوم الخمسين في أورشليم

● يرتبط بذلك أن الفكر المسيحي قد انتشر بقوة بين المصريين في القرون الميلادية الأولى، وربما واحد من دلائل ذلك هو وجود مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي يعتبرها كثيرون المعقل الأكبر للفكر المسيحي والدفاع عنه خلال القرون الميلادية الأولى وقد أفرزت هذه المدرسة كثيرًا من أبطال الإيمان مثل القديس أثناسيوس أكبر المدافعين عن الإيمان ضد هرطقة أريوس.

● أما العلاقات بين مصر وإسرائيل وأشور فهي لا شك تشير من الوجهة النبوية -الكتابية- الروحية إلى عالمية الإنجيل، بمعنى انفتاح باب الخلاص من خلال موت المسيح وقيامته أمام جميع البشر يهودًا وأممًا. ولعلنا هنا نستطيع أن نصل إلى فهم أفضل لعبارة "مبارك شعبي مصر" عندما نضعها في السياق الذي قيلت فيه: "مُبَارَكٌ شَعْبِي مِصْرُ وَعَمَلُ يَدَيَّ أَشُّورُ وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلُ." فالمعنى هنا أن كل العالم، المتمثل آنذاك في تلك الكيانات الدولية العظمى، قد أصبح يتمتع ببركات الإنجيل؛

١٣. انظر حمدي سعد، **أشهر النبوات** (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٨)، ٤٦-٤٨.

فالرب يقول عن مصر "شعبي" وعن أشور "عمل يدي" وهي عبارات لم تكن تطلق سوى على شعب إسرائيل. وهكذا يخطئ قارئ هذا النص كثيرًا عندما يقصر تحقيق مثل هذه النبوة على تمنيه أن يبارك الرب بلادنا مصر اليوم، وكأن هذا التحقيق الأوحد الذي ما زلنا ننتظره لهذه النبوة متغاضين عن عصور من البركة شهدتها بلادنا في القديم.

نموذج آخر على صعوبة تفسير نصوص العهد القديم نراه في الوصايا العشر مثلًا. يُعَد تفسير الوصايا العشر مُعقَّدًا لأن بعض الوصايا تتعلق بممارساتٍ ثقافيةٍ ودينيةٍ قد لا تكون مفهومة في سياقنا المعاصر. هناك جدل حول ما إذا كانت هذه الوصايا يجب أن تُفهم حرفيًا في العصر الحالي، أم أنها كانت جزءًا من تشريع ديني خاص بشعب إسرائيل في تلك الفترة. فوصية مثل: "لا تقتل" من العسير فهمها في سياق تاريخ إسرائيل الذي لم يخلُ من حروب وعنف واضح، وبالتالي يجب فهمها في إطار تفسيري وتطبيقي أوسع من سياق معين ومجتمع بعينه. وهذا جزء من صعوبة حقيقية يجابهها الدارس في تعامله مع نصوص العهد القديم.

٣. تحديات أخلاقية

لا يخفى على أي دارس للعهد القديم أنه يحتوي على إشكالية ضخمة في بعض النصوص التي تتضمن أمورًا تبدو في ظاهرها متناقضةً مع طبيعة الله كما يعلن عنها الكتاب المقدس بصورة عامة.[١٤] يندرج تحت هذا الأمر نصوص تدعو لاستخدام العنف في الحرب ضد الأمم الأخرى، وخاصة الأمم الكنعانية، وكذلك بعض النصوص التي يصلي فيها بعض من رجال الله طالبين أن يُنزل الله بعقابه الشديد على أعدائهم. كما أن هنالك نصوصًا تُظهر الله كإله يندم على ما يصنع أو بما أقدم على صنعه (تكوين ٦: ٦؛ ١صموئيل ١٥: ١١؛ يونان ٣: ١٠؛ مزمور ١٠٦: ١١-٤٥... إلخ)، ونصوص غيرها ترسم لنا إلهًا انتقائيًا يحب بعضًا ويكره آخرين (ملاخي ١: ٢-٣) ويقسي قلب فرعون حتى يستمر في ظلمه وشره (خروج ٤-١٤)، ومجموعة ثالثة من النصوص يبدو فيها الله -الذي هو الإله الحق- وكأنه يخدع البشر بأن يضع رسائل مضلِّلة على لسان الأنبياء (إرميا ٤: ١٠؛ حزقيال ١٤: ٩). ولا شك أن مضامين كهذه تمثل عثرةً في فهم القارئ لأسفار العهد القديم كوحي إلهي ومصالحتها مع اللاهوت الكتابي بصورة عامة. ولأن المجال لا يسمح لمعالجة كل تلك القضايا الشائكة فإنني أكتفي بالإشارة إلى الاتجاه الذي يرى أنه "لا يمكن فهمها بصورة حرفية نتعامل فيها مع تلك النصوص القديمة بنفس المفاهيم والرؤية التي نتعامل بها مع اللغات العصرية... فمفاهيم اللغة -كلمات وأفعالًا- يتغير استخدامها مع تغير العصور والأزمنة، وبالتالي ينبغي دراستها في ضوء العصر الذي استخدمت فيه الكلمة أو الفعل المعيَّن."[١٥]

14 . See Walter C. Kaiser, *Toward Old Testament Ethics* (Grand Rapids, MI: Zondervan Publishing House, 1983), 249-261.

١٥ . يوسف سمير، **السلطة والعنف في الكتاب المقدس: قراءة تحليلية في سياق الصليب** (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢٤)، ١٥٧.

هل من طريق وطريقة لفهم العهد القديم اليوم؟

ليس معنى وجود التحديات التي سبقت الإشارة إليها أن ينزع المسيحيون -كما هو حادث بالفعل- إلى الابتعاد عن العهد القديم والاكتفاء منه ببعض النصوص القريبة إلى القلب والفهم مثل سفر المزامير أو بعض الأجزاء من الأنبياء؛ فالعهد القديم هو بلا شك جزء لا يتجزأ من إيمان الكنيسة المسيحية في كل العصور، وفهمه ودراسته والالتزام بتعاليمه إنما مطلب من مطالب الروحانية الفردية والجماعية كما نراها في كل عصور الكنيسة. وهكذا نحن مُطالَبون بأن نبحث عن سبل تفتح أمامنا آفاقًا جديدة لفهم العهد القديم بصورة تخاطب عصرنا. إن فهم العهد القديم اليوم يتطلَّب مقاربةً متعدِّدة الأبعاد تأخذ في اعتبارها التغيرات الثقافية، الفلسفية، والعلمية التي حدثت منذ كتابة هذه الأسفار. ولتحقيق ذلك، يمكن استخدام مجموعة من الأساليب المختلفة التي تساعد على ربط النصوص القديمة مع التحديات والاحتياجات المعاصرة.

١. القراءة الموضوعية

المقصود بالقراءة الموضوعية هي تلك القراءة ومحاولة الفهم التي تنحِّي جانبًا كل العوامل الشخصية التي تؤثر على الوصول للمعنى الأصيل الذي أراد الكاتب أن يعلنه للقارئ أو السامع الأول بوحي الروح القدس. والعوامل الشخصية يمكن أن تكون عوامل لغوية مثل عدم الإلمام بلغات الكتاب المقدس الأصلية وقواعدها التي ربما تكون مختلفة عن النسخة المعاصرة لهذه اللغة. فقواعد اللغتين العبرية واليونانية القديمتين ومفرداتهما ربما تكون قد اندثر كثيرٌ منها اليوم، وبالتالي لا يمكن التعامل مع نصوص العهد القديم بقواعد ومفردات اللغة العبرية الحديثة التي طرأ عليها الكثير من التحديث والتطوير على مدى الزمن.

وعلى نفس المنوال لا يجب أبدًا النظر إلى نصوص من العهد القديم بنظرة ومعطيات إنسان القرن الحادي والعشرين. ففي عصر يشوع والأمم الكنعانية لم تكن مواثيق حقوق الإنسان قد أبرمت، ولم تكن القواعد التي تحكم الحروب الحديثة اليوم قد ظهرت، وبالتالي لا يمكن بأي حال من الأحوال الحكم على أخلاقية ممارسة ما بصورة منفصلة عن المعطيات التي كانت تحكم ذلك العصر وليست تلك التي تحكم عصرنا الحالي. يقول عيسى دياب في عبارة تلخص هذا الاتجاه: "لا يجوز أن نفهم نصًّا كُتب منذ ثلاثة آلاف سنة في سياق حضارة القرن الواحد والعشرين والمفاهيم الدينية والأخلاقية السائدة فيه."[١٦] من جهة أخرى على قارئ العهد القديم أن يكون حياديًّا عند تفسير الرموز والأمثال. ففي أحيانٍ كثيرة تؤثر القناعات اللاهوتية والعقائدية والكتابية الشخصية على رؤية المرء للرموز والإشارات الواردة في

١٦. عيسى دياب، **العهد القديم وعالمه وتحدياته: العهد القديم: مدخل ومسح شامل**، الجزء الأول (من خمسة أجزاء)، (منصورية، المتن، لبنان: دار منهل الحياة، ٢٠١٤)، ٢٠٥.

الأسفار المختلفة. والتحدي هنا هو محاولة فهم الرسائل العميقة دون فرض تأويلات شخصية أو ثقافية حديثة.

أما البعد الأكثر إشكالية في هذه النقطة فهي أنه في أكثر الأحيان يميل القارئ إلى قراءة أفكار شخصية ليست موجودة أصلًا في النص. فهو ببساطة يقرأ في النص أفكاره الشخصية من خلال نظارته الفكرية ولا يقرأ ما يقوله النص بالفعل. فهو يأتي إلى النص محمَّلًا بسنوات من العظات والتأملات والترانيم التي تعرض لها فيما يختص بهذا النص. ومن دون أن يُعمل نقده ومراجعته الشخصية لهذه الموروثات فهو يقبلها على علاتها ليسقطها بالتالي على فهمه للنص.[١٧] يشرح جوردون في ودوجلاس ستيوارت هذه النقطة بقولهما: "... علينا ملاحظة أن تعلم التفسير الاستنتاجي ليس المهمة «الوحيدة» إنه بكل بساطة المهمة الأولى؛ لأن المشكلة الأولى في التفسير الاستنتاجي «الانتقائي» هي في أن القارئ أو الدارس كثيرًا ما يرى في النص الذي يقرأه أفكاره الشخصية التي لا وجود لها بالفعل، وبالتالي يجعل من كلمة الله أمرًا يختلف عما تقوله في الواقع... إن استعمال النص الكتابي بحيث يعني شيئًا لم يقصد الله قوله هو في الواقع سوء استعمال للنص."[١٨]

٢. القراءة الواعية

القراءة الواعية هي تلك القراءة التي تضع في الاعتبار دائمًا نوعية السفر الذي يُقرَأ أو يُدرَس أو يُفسَّر من حيث نوعيَّته وخصائصه الأدبية التي قد تختلف عن غيره من النصوص. إن أسفار العهد القديم تندرج تحت أكثر من فن أدبي مثل القصة (السردية) والشعر والنبوة والرؤيا والحكمة وغيرها من الأنواع الأدبية. ومن الأهمية بمكان أن يفطن القارئ لنوعية الفن الأدبي الذي يتعامل معه عند قراءة سفر معين لأن المعنى الذي يريد أن يقوله الوحي لا يمكن فهمه بمعزل عن القالب الأدبي الذي جاء فيه هذا الوحي. في دراسة خاصة بمبادئ التفسير الكتابي[١٩] يشير العالم الكتابي لويس بركهوف إلى أكثر من مستوى من مستويات التمييز الواعي ينبغي أن يتوفروا في كل قارئ للنصوص المقدسة:

١- التمييز بين العهدين القديم والجديد من حيث المحتوى. فالعهد القديم يحوي الوعود والعهد الجديد يحوي تحقيقها. العهد القديم يشير إلى مجيء المسيح ويقود إليه والعهد الجديد يتخذ من يسوع نقطة انطلاقه. وكذلك التمييز بينهما من حيث الشكل. فالعهد القديم نبوي أما العهد الجديد فرسولي. كما أن العنصر الرمزي الذي ينتشر في العهد القديم يقل جدًّا في العهد الجديد.

٢- التمييز بين الأسفار الكتابية المختلفة؛ إذ إن كل

١٧. يشبه الأمر ما يقوله الشاعر الفلسطيني محمود درويش في قصيدته "أرى ما أريد،" إذ يقدم في رباعيات شعرية جميلة أمنياته التي يريد ويتمنى أن يراها في العالم المحيط لكنها غير موجودة في الواقع.

١٨. جوردون في ودوجلاس ستيوارت، **خطوات عملية**، ١٩-٢٠.

19. Louis Berkhof, *Principles of Biblical Interpretation: Sacred Hermeneutics* (Grand Rapids, MI: Baker Book House, 1950), repr. 1969, 55-60.

كاتب من كتبة الوحي وضع طابعًا خاصًا للسفر الذي يحمل اسمه. فكل كاتب من كتبة الأسفار قدَّم الأفكار التي أوحى بها الروح القدس في صورة متميزة عن غيره من الكُتَّاب. فهنالك اختلاف في المفردات والأسلوب والسياقات التاريخية بين كاتب وآخر، كما أن كل واحد منهم يقدم الحق من وجهة نظر مختلفة عن غيره. بمعنى أن كل سرٍّ كتابي له طابعه الخاص الذي يميزه.

٣- التمييز بين الأشكال المختلفة للإعلان الإلهي المكتوب. فالله استخدم القصص السردية التاريخية كأهم شكل من الأشكال الأدبية التي تقدم عرضًا لقصة الله الفدائية مع شعبه. وكذلك أعلن الله عن إرادته من خلال استخدام ما نسميه بالأدب التشريعي، مثل أسفار الشريعة وأسفار الحكمة. وهنالك أدب النبوة الذي نرى من خلاله تفسيرًا لطرق الله في الماضي وإعلانًا لمشيئته في الحاضر واستنارة بشأن تدخلاته المستقبلية لتعزية وتشجيع شعبه. وأخيرًا أعلن الله عن نفسه في الكتابات الشعرية التي فيها نرى محبة وقدرة وإحسان وقدرة الله، ونرى فيها الإنسان وهو يتفاعل مع هذا الإعلان الإلهي في وسط أزماته ومعاناته التي لا تنتهي.

ومع كل هذا، لا ينبغي أبدًا أن نغفل أن العهد القديم -كجزء من الكتاب المقدس- إنما هو أولًا، وقبل كل شيء، كلمة الله الموحى بها والمعصومة من الخطأ. وبالتالي لا يجب أبدًا التعامل معها فقط على كونها مؤلَّفًا أدبيًا نُخضعه لأدوات التفسير والبحث، لكنها أصلًا كلمة الله الحية التي من المفروض أن تخضعنا نحن لتفسيرها ونورها لتغيير حياتنا وسلوكياتنا وأخلاقياتنا لنصير مشابهين صورة المسيح.

٣. القراءة المتضعة

وهنا نصل إلى النقطة الأخيرة في هذه المقالة، ألا وهي ضرورة القراءة المتَّضعة لأسفار العهد القديم. فمن المؤسف أن كثيرًا من الكنائس اتخذت مسارًا غير منضبط فيما يختص برؤيتها للعهد القديم، لتراه غير جدير بأن يكون جزءًا أصيلًا من كلمة الله، وهي في ذلك ترتدُّ بتفكيرها ومُعتَقَدها إلى ما نادى به مارسيون الهرطوقيِّ في فجر تاريخ الكنسية برفضه للوحي الإلهي المسجَّل في العهد القديم. فالإيمان المسيحيُّ لا يمكن أن يكتمل دون التصديق الكامل لإعلان الله عن ذاته في أسفار العهد القديم التي تشير في جملتها وتفصيلها للرب يسوع المسيح الذي تجسَّد في ملء الزمان. فلا يخفى على الشخص العادي أن الرسول بولس وهو يتحدث عن وحي الكلمة المقدسة في ٢تيموثاوس ٣: ١٦ "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ"، وكذلك عندما يكتب الرسول بطرس عن نفس الموضوع في ٢بطرس ١: ٢١: "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ"، إنما كانا يقصدان بالكتب المقدسة أو بالنبوة أسفار العهد القديم؛ إذ لم تكن

قانونية العهد الجديد قد أُقِرَّت بعد. وهنا نرى أبرز الرسل يعلنان بوضوح مصدر أسفار العهد القديم الإلهي وضرورة النظر إليها بهذا الاعتبار. يكتب واين جرودم معلقًا: "إن كتابات العهد القديم يُنظر إليها ككلمة الله في صيغتها المكتوبة؛ فبالنسبة إلى كل كلمة في العهد القديم، الله هو الذي تكلم بها (ولا يزال)، مع أنه تعالى استخدم أدوات بشرية لكتابة هذه الكلمات."[٢٠]

تستلزم القراءة المتضعة أمرين على الأقل:

١- لا يمكن فصل القراءة المتضعة للعهد القديم عن رؤية يسوع المسيح في أسفاره المختلفة؛ ففي قراءتنا للعهد القديم يجب أن يكون كل الجهد الذي نبذله في سبيل فهمه يهدف في المقام الأول إلى رؤية مركز العهد القديم، ألا وهو المسيا المُنتَظَر. فنحن في تنقيبنا في العهد القديم إنما نريد أن نصل دائمًا إلى رؤية اللؤلؤة الكثيرة الثمن. إن مركزية يسوع في أسفار العهد القديم تُعد دون ريبٍ من المفاهيم الجوهرية في الفهم المسيحي للكتاب المقدس. فالعهد القديم ليس فقط تاريخًا لشعب إسرائيل، بل هو أيضًا كشفٌ تدريجيٌّ عن خطة الله لخلاص البشرية من خلال شخص يسوع المسيح. فمن خلال النبوءات، الرموز، والطقوس، نجد أن كل جزء من العهد القديم يشير بطريقة ما إلى مجيء يسوع، مما يجعله حجر الزاوية في الفهم المسيحي للكتاب المقدس. في دراسته عن تاريخ العقيدة المسيحية يشير برنارد لوز إلى قناعة الكنيسة الأولى الراسخة بمركزية يسوع المسيح في العهد القديم فيكتب: "... كانت قناعة الكنيسة الأولى هي أنه إذا فُهم العهد القديم بصورة صحيحة فإنه يكون كتابًا مسيحيًا يشهد في مجمله ليسوع المسيح... وبالطبع، فإنه حتى لاهوتيي الكنيسة الأولى كانوا على دراية بأن العهد القديم لا يشهد بصورة مباشرة فقط للمسيح. فقد كانوا مقتنعين بأن معنى العهد القديم لا يمكن إدراكه فقط بصورة حرفية، إنما هنالك بالإضافة لذلك معنى أكثر عمقًا لنصوص العهد القديم يمكن فهمها فقط عندما يُقرَأ العهد القديم من وجهة نظر تحقيقه في يسوع المسيح".[٢١] إن شهادة يسوع -كما يقول الرائي- هي روح النبوة (رؤيا ١٩: ١٠)، وبالتالي فإن المهمة الأساسية لكل قارئ للعهد القديم هو أن يصل إلى الشهادة التي تقدمها هذه الأسفار عن يسوع في تجسده وحياته وكفارته وقيامته وسر عمله الروحي في حياة الكنيسة. فالكنيسة عليها أن "تقرأ العهد القديم على ضوء الحدث الفِصْحِيّ (موت وقيامة المسيح) الذي يعطي المعنى النهائي للكتب."[٢٢]

تحمينا رؤية يسوع في العهد القديم من أن تتحول قراءتنا للعهد القديم إلى مجرد البحث عن قواعد أخلاقية أو سلوكية في النصوص المقدسة، وكأنها مصادر لأفكار عن التنمية البشرية يمكن العثور عليها

٢٠. واين جرودم، **بماذا يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي: رؤية معاصرة في ضوء كلمة الله**، جزء ١، ترجمة مجموعة من اللاهوتيين، تحرير رياض قسيس، (الأردن: برنامج التعليم اللاهوتي بالامتداد، القاهرة، مصر: مطبوعات إيجلز، ٢٠٠٢)، ٥٩.

21. Bernhard Lohse, *A Short History of Christian Doctrine: From the First Century to the Present*, trans. F. Ernest Stoeffler (PA: Fortress Press, 1966, repr. Revised American Edition, 1985), 24.

٢٢. نعمة الله خوري، "تفسير الكتاب المقدس في الكنيسة،" في **أعمال الرسل عنصرة كل العصور**، تحرير بولس الفغالي، سلسلة دراسات بيبلية ١٠ (لبنان: منشورات الرابطة الكتابية، ١٩٩٥)، ٤٦١.

في مئات الكتب والمقالات المعاصرة. قراءتنا للعهد القديم ليست قراءة أنثروبولوجية تضع الإنسان في البؤرة، إنما هي قراءة لاهوتية/ مسيحانية تضع يسوع المسيح (الكلمة المتجسد) في بؤرة النصوص المقدسة (الكلمة المكتوبة). وفقط عند رؤيتنا ليسوع على صفحات العهد القديم وربط ذلك بما تم في العهد الجديد في روح الصلاة والتعبد المتضع، أقول إنه فقط عندما نمارس هذه القراءة الروحية العميقة يحدث التغيير في كياننا لتنطبع صورة يسوع الموجودة في الحروف والكلمات على قلوبنا وأفكارنا وسلوكياتنا.

٢- يرتبط بالنقطة السابقة نقطة مهمة وأخيرة سبقت الإشارة السريعة إليها وهي أن قراءتنا المتضعة للعهد القديم ينبغي أن تنفتح نفوسنا وعقولنا وكياننا كله من خلالها لأن تفسِّرَنا الكلمةُ التي نقرأها وليس العكس. فما اعتدنا عليه هو الشعور بأن دراستنا للكلمة تضعنا في موضع نكون فيه فوق الكلمة، وهذا وضع مقلوب ومرفوض تمامًا. إن العهد القديم جزء من كلمة اللّٰه التي يقول عنها إقرار الإيمان الإنجيلي إنها: "قانون معصوم للإيمان والأعمال والمرجع الأعلى ذو السلطان للحق الإلهي الروحي."[٢٣] يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن كلمة اللّٰه في العهد القديم[٢٤] إنها "حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ." (عبرانيين ٤: ١٢). تبيِّن هذه الآية التأثير الفعال لكلمات العهد القديم في حياة الإنسان؛ فهي تحمل قوة اللّٰه ذاته التي تغيِّر حياة الإنسان الداخلية لتجعل منه شخصًا أفضل. يكتب أ. م. ستبس في تعليقه على هذه الآية: "فهذه الكلمة هي كلمة اللّٰه ولها صفات اللّٰه نفسه. إنها حية ومفعمة بالنشاط والقدرة على العمل. اللّٰه نفسه فعّالٌ فيها، ولذلك لا يمكن أبدًا أن ترجع فارغة، فهي تحمل إما الخلاص أو الدينونة. وهي تخترق أعماق كيان الإنسان وتُحدِث، كمبضع التشريح، فصلًا وتمييزًا جذريَّيْن بين الأمور المتخالفة في الحياة البشرية، وتصدر الحكم على الأفكار والآراء الدائرة في عقول البشر ونيّات إرادتهم. إنها الناقد أو «المميز» الذي يُحكَم على كل شيء بمعياره. وعند مواجهة الإنسان لها، فهو يواجه اللّٰه الذي لا يخفى عليه شيء."[٢٥]

وكذلك يكتب ستيوارت أوليوت عن النص نفسه: "إنه ليس كتابًا ميتًا، لكنه حيٌّ جدًا. إنه لا يتركك دون تأثير، لأنه فعَّالٌ وقويٌّ. إنه ينخس، ويجرح، ويفتك، بفاعلية أكثر بكثير من أحدِّ وأمضى سيف. إنه يخترق إلى حيث لا يستطيع أي شيء آخر أن يصل. إنه يفصل ما لا يمكن فصله!"[٢٦] كلمة اللّٰه في العهد القديم هي كلمة اللّٰه التي تحمل نوره الذي يستطيع -إن أعطى الإنسان المساحة والفرصة باتضاع- أن يغمر قلب الإنسان الذي أظلمته الخطية ليصنع منه كيانًا جديدًا.

٢٣. دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر (القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ١٩٨٥)، ٢٠.

٢٤. علينا أن نتذكر أن كل الآيات التي تتحدث عن كلمة اللّٰه في العهد الجديد كانت تقصد العهد القديم لأن أسفار العهد الجديد لم تكن قد أُعلنت قانونيتها حتى القرن الثالث الميلادي. وبالتالي يكون حديث الكاتب هنا منصبًا على أسفار العهد القديم التي هي كلمة اللّٰه.

٢٥. أ. م. ستبس، "الرسالة إلى العبرانيين،" في تفسير الكتاب المقدس، تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسس دافدس، جزء ٦ (بيروت، لبنان: دار منشورات النفير، ١٩٨٨)، ٥٢١-٥٢٢.

٢٦. ستيوارت أوليوت، فهمني الرسالة إلى العبرانيين، ترجمة جويس فيكتور صموئيل (الرابطة الإنجيلية بالشرق الأوسط، ٢٠١٢)، ٥٤.

مُقدِّمةٌ إِلَى العَهْدِ القَدِيمِ

قراءة نقدِيَّة في كتاب حنَّا كتناشو

م. جورج إسحق

يخوض الكتاب بحر العهد القديم، ذاك البحر المُتّسع المضطرم بأمواج المُعضلات التّاريخيَّة والسِّياقيَّة والجدليَّة، التي دفعت بعضٌ إلى رفضه جزئيًا أو كُليًا،[1] لكنّ الكاتب هُنا يقدِّم زاوية متفرِّدة للنَّظر إليه، تضعه في صفِّنا لا ضدَّنا، زاوية تفتح للمسيحيِّ العربيِّ اليوم في سياقه مُصالحةً مع نصوصه وقابليَّة للتَّطبيق العصريِّ، تقوم هذه الزَّاوية والآليَّة على نموذج المسيح. يعرض الكتاب إلى منظومة العهد في أسفار العهد القديم بدءًا من آدم ومرورًا بنوح وإبراهيم وموسى، ثم يُشير لنا إلى ذاك الذي سيأتي مُحقِّقًا للوعد ومُتمِّمًا للعهد، ابن داود يسوع النَّاصري، الكاهن على رتبة ملكي صادق، الذي هو الرَّابط الجامع بين العهد القديم والعهد الجديد.

عن الكتاب والكاتب

صدر هذا الكتاب أولًا في نشرة محدودة داخل فلسطين التّاريخيَّة عام ٢٠٢٣ عن كلية لاهوت النّاصرة. وعن غرض الكتاب يقول كتناشو: "يساعد الكتاب الإنسان العربيِّ المسيحيِّ على فهم العهد القديم بصورة تقودنا إلى المسيح، ويعالج المحطات الرَّئيسة في العهد القديم مع الأخذ بعين الاعتبار الخلفيّة التَّاريخيَّة والأدبيَّة ووضعها في حوار مع القضايا المحليَّة في الشَّرق الأوسط." يهدف الكتاب إلى تقديم العهد القديم، وليس إلى الإجابة عن كل الأسئلة الشَّائكة المرتبطة بدراسته. ويسعى إلى رؤية الخريطة أو الصُّورة الكبيرة من منظورٍ مسيحيٍّ عربيٍّ. يقول كتناشو إنَّ الكتاب يتحدث عن أهمية العهد القديم للإنسان المسيحيِّ العربيِّ. يقترح الكتاب أنَّ العهد القديم كله ينتظر شخصيَّة مستقبليَّة تُنهي مشاكل البشريَّة وتتحقق فيها أحلام العهد القديم. وحسب المؤلف، يقدِّم الكتاب هذه الشخصيَّة في عدَّة محطات وهي: العهد مع آدم؛ العهد مع نوح؛ العهد مع إبراهيم؛ العهد موسى؛ العهد مع داود؛ السّبي الآشوريِّ؛ السَّبي البابليِّ؛ العودة من السّبي، وفي كل محطة يشرح الكاتب الخلفيَّات التّاريخيَّة والأدبيَّة ويقدِّم طرحًا يربط من خلاله النَّصّ مع المسيح والمسيحيِّ العربيّ في القرن الحادي والعشرين. ولأجل توسيع دائرة الاستفادة من الكتاب لصالح القارئ العربيِّ، عاود المؤلف نشر الكتاب في مصر مع دار الثَّقافة عام ٢٠٢٤ ليضمن له أكبر توزيع في الوطن العربيِّ، فما زالت غالبيّة الكتب التي تصدر في فلسطين لا تتجاوز حدودها، ما أنشأ تحديًا أمام الكُتّاب الفلسطينيين ليُخرجوا إنتاجهم خارجها.

الدكتور القس حنّا كتناشو، من مواليد القدس، درس الكيمياء في جامعة بيت لحم ثم تفرَّغ لاحقًا للخدمة اللّاهوتيَّة فتابع دراسته في أمريكا في جامعتي ويتن وترينتي في شيكاغو، ثم درس للدكتوراه في جامعة ترينتي في العهد القديم. خدم القس حنّا كتناشو كمحاضر وعميد أكاديميّ لسنين طويلة في كلية بيت لحم للكتاب المقدّس. سِيْمَ الدكتور القس حنّا قسًّا في كنيسة الاتحاد المسيحيّ في القدس، ويسكن اليوم مع

عائلته في النَّاصرة، ويحاضر ويعمل كعميد أكاديميّ في كلية النَّاصرة الإنجيليَّة، كما أنَّه يخدم في فريق من الشُّيوخ والرُّعاة في الكنيسة المعمدانيَّة المحليَّة في النَّاصرة. نشر القس الدكتور حنَّا عدَّة كتب في العربيَّة والإنجليزيَّة. في عام ٢٠٢٢ اختارت مجلة كريستيانتي تودي **Christianity Today** المعروفة كتابه "**إنجيل يوحنا بأعين فلسطينيَّة**" كأحد أفضل خمسة كتب لاهوت في العالم. مؤسس ومُشارك رئيس في وثيقة "**كايروس فلسطين**" والمؤتمر السَّنوي "**المسيح خلف الحاجز**." الدكتور القس حنَّا متزوج من دينا خوري مديرة جمعية الكتاب المقدَّس العربيَّة في فلسطين ولهم ثلاثة أبناء.

استعراض الكتاب

يقع الكتاب في ٢٥٢ صفحة من القطع الصَّغير، وينقسم إلى ثلاثة عشر فصلًا مع مقدِّمة ولائحة للمراجع العربيَّة والأجنبيَّة. خُصِّصَت الفصول الثَّلاثة الأُوَلُ منه كمدخل تمهيديّ للقارئ العربيّ، يكسر الحاجز السِّياقيّ بينه وبين نص العهد القديم من زاوية التَّاريخ والسِّياق أيضًا، واختار الكاتب عناوينها بذكاء ووضعها في صيغة أسئلة، هي عين الأسئلة التي يفرضها السِّياق العربيُّ ويطرحها على المسيحيين العرب في واقعنا المُعاصر. تلتها عشرة فصول ألقى فيها المؤلف الضَّوء على منظومة العهد الكتابيَّة بدءًا من آدم ومرورًا بنوح وإبراهيم وموسى وداود، ثم خاض مرحلة السَّبي الآشوريّ وسقوط السَّامرة، والسَّبي البابليَّ وسقوط أورشليم، ثم انتهى بالعودة من السَّبي.

الفصل الأوَّل: هل العهد القديم كتاب لنا أم ضدّنا؟

عنوان هذا الفصل هو سؤالٌ سياقيٌّ عربيٌّ بامتياز، ربما يكون سؤالًا غير مطروح في السِّياق الغربيِّ، أو لا يتحدى المسيحيِّ الغربيِّ كما يتحدانا نحن العرب. طُرح هذا السُّؤال مِرارًا وتكرارًا في السِّياق العربيِّ اعتراضًا على تعاليم وأخلاقيَّات العهد القديم. ظهر هذا السُّؤال منذ بواكير ظهور علم الكلام الإسلاميّ والمُجادلات التي جرت في العصر الوسيط بين المتكلمين المسلمين ونظرائهم المسيحيين العرب، وربما أوسع توثيق له نجده في الكتابات التي عنونت بـ "**الرَّد على النَّصارى**."[٢] وهو سؤال يتحدانا لدراسة أكثر قُربًا من العهد القديم لعدّة أسباب، لخّصها المؤلف في: شُبهة التّحريف التي دفع بها المعترضون المسلمون، وغذَّتها أطروحات النَّقد النَّصِّي؛[٣] الرِّواية الصهيونيَّة المزعومة التي تُشَرْعِن سلب الأراضي الفلسطينيّة، والتي تُنشر مدعومة بنصوص العهد القديم، ما وضع العهد القديم في عداءٍ مباشرٍ مع السِّياق العربيّ إذ يظهر كأنّه حليفٌ

٢ يُعد أشهرها كتاب أبي عيسى الورَّاق، والذي تصدى له في القرن التّاسع اللّاهوتيّ العربيّ يحيى بن عَدِي، وكتاب أبي القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرَّسي، نشرته دار الآفاق العربيّة، من تحقيق إمام حنفي عبد الله، والجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية، والأجوبة الفاخرة للأسئلة الفاجرة للقرافي، وغيرها.

٣ للمزيد عن علوم النّقد النّصي، راجع:
F. F. Bruce, *Understanding Biblical Criticism* (Nashville: Kingsley, 2017); Mark Gignilliat, *A Brief History of Old Testament Criticism* (Grand Rapids: Zondervan, 2012); Richard Soulen and Kendall Soulen, *Handbook of Biblical Criticism* (Fourth Edition, Louisville: Westminster John Knox Press, 2011).

للصهيونيَّة؛ تصنيف العهد القديم على أنَّه كتاب لتاريخ اليهود؛ وَصْمُ العهد القديم بالخرافيَّة؛ الجدل المسيحيّ-المسيحيّ حول قانونيّة أسفاره.[٤] يشرح الكاتب كيف يترابط العهد القديم مع خصوصيَّة ثقافتنا العربيَّة ويُجيب كتناشو في هذا القسم بالإيجاب عن سؤال مهم هو، هل العهد الجديد يصلح أن يكون كتابًا للمسيحيِّ العربيِّ، أو كتابًا للكنيسة في كلِّ العالم، ويخلُص كتناشو لإجابة السُّؤال عنوان الفصل أنّ العهد القديم ليس كتابًا لليهود وحدهم، بل هو كتاب لنا نحن المسيحيين ولمنفعتنا.

الفصل الثّاني: كيف ندعو العهد القديم؟[٥] يناقش كتناشو في هذا الفصل قضية تسمية العهد القديم وهل هذا أفضل مُصطلح وما دلالته؟ ويعرض أوّلًا للتَّسميات اليهوديَّة المختلفة للعهد القديم، ويذكر أن **مِقرا** استخدمت في المشنا وهي مرتبطة بالقراءة الصوتيَّة، أما **تناخ** فهي اختصار لـ توراة-كتوبيم-نبييم. وفي حين ترتبط التّسميات الأخرى (هسفريم – كتبي هقدوش – هبريث) بإشارة إلى قدسية الكتب، فإن **ك.د هسفريم** ترتبط بالقانونيَّة حيث يمثل العدد ٢٤ قانونيَّة العهد القديم. في السِّياق الإسلاميّ، التسمية الشَّهيرة هي التَّوراة، واستخدمت إما للإشارة إلى أسفار موسى الخمسة، أو للعهد القديم كله. ونضيف إلى ما سبق أن سفر المزامير وحده معروف في السِّياق الإسلاميّ بـ الزَّابور أو زابور داود، وهي تسمية لم تكن مرفوضة من المسيحيين العرب في العصر الوسيط، ولدينا عديد من المخطوطات تحمل هذه التّسمية. أمَّا في المسيحيّة، فتتعدد التّسميات: (تناخ- الأسفار العبريّة- العهد الأوّل- العهد الأقدم- التّوراة- أسفار الشريعة- مِقرا- النّاموس) وتستخدم هذه التّسميات بحسب السِّياق والخلفيَّة اللَّاهوتيَّة. غير أن كتناشو -ونوافقه الرَّأي- لا يميل إلى تسمية "الأسفار العبريَّة"، لأنها تختزل النّظرة في اللُّغة، على أنَّه، ليست كل أسفار العهد القديم مكتوبة بالعبريَّة،[٦] كما

زابور داود

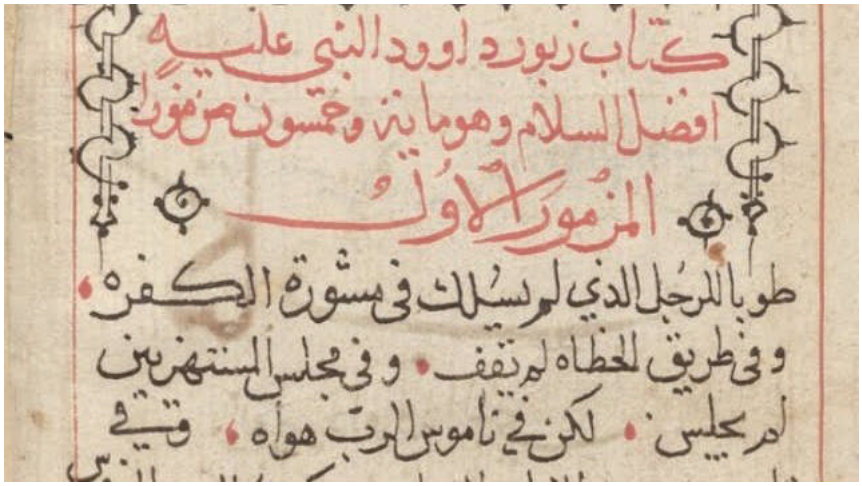

٤ للمزيد عن الجدل حول القانونيّة، راجع:
Stephen Dempster, "Canons on the Right and Canons on the Left: Finding a Resolution in the Canon Debate," *Journal of Evangelical Theological Society 52* (2009): 47-77; Lee McDonald and James Sanders, *The Canon Debate: On the Origins and Formation of the Bible* (Peabody: Hendrickson, 2002).

٥ للمزيد راجع: باسم أدرنلي، "**هل كناية -العهد القديم- تعبير سليم؟**" على الرابط التالي:
https://www.linga.org/varities-articles/MTEwMTQ.

٦ للمزيد حول هذا الأمر، راجع:
James Edwards, "What's in a Name?," *Christianity Today 43* (1999): 59-61; Amy-Jill Levine, "What is the Difference Between the Old Testament, the Tanakh, and the Hebrew Bible?," n.p. (cited 27 Apr 2024). Online: https://www.bibleo-dyssey.org/en/tools/bible-basics/what-is-the-difference-between-the-old-testament-the-tanakh-and-the-hebrew-bible.

أن النُّصوص العبريَّة الماسوريَّة لا تمثل كلَّ العهد القديم. ولا تسمية التَّوراة والنَّاموس أيضًا، إذ ترتبط الأولى بأسفار موسى الخمسة والثَّانية بالشَّرائع، وهذا اختزال للنّوع الأدبيّ لنصوص العهد القديم. يتطرّق بعدها المؤلف إلى **مفهوم العهد** موضّحًا أنّه يشير إلى المفهوم والمضمون، لذلك استخدمه المسيحيون إشارةً إلى الأسفار التي تقدِّم مضمون علاقة الله مع شعبه.

الفصل الثّالث: كيف أطيع العهد القديم؟[٧] يتمحور هذا الفصل حول سؤال واحد هو، كيف يكتشف المسيحيون رسالة الله لهم في العهد القديم وكيف يطيعونها؟ يبدأ كتاشو حديثه بالتأكيد على فكرة المعنى الواسع والمعنى الضّيق للنَّصِّ، ويشرح كيف أن المعنى الضَّيق مرتبط بالسِّياق التَّاريخيِّ، أما المعنى الواسع فمرتبط بقراءة العهدين. ونقطة الجدال في الموضوع أنَّه إن تطلب الأمر عدم طاعة المعنى الضَّيق في سبيل المعنى الأوسع، فهذا مقبول. ثم يعرض كتاشو إلى العهد القديم في ضوء نقاش بولس عن الحرف والرُّوح، فيقول إنَّ المعنى الأوسع للنَّصِّ يظهر عندما يكون المسيح غاية النَّاموس. المشكلة ليست في الحرف، بل في أهل الحرف الذين رفضوا العهد الجديد وعمل الرّوح القدس، لا نطلب إلغاء أو تجاهل العهد القديم، بل تفسيره بنظرة مسيحانيَّة بعيدة عن التّهود. ونحن نعيش في سياق يُسيء التَّعامل مع العهد القديم، عندما نتمسك بالحرف دون المدلول الأعمق الذي يربطنا بالمسيح نفقد البوصلة اللّاهوتيَّة. وللتَّدليل على هذا يقدم كتاشو نموذجين: الأوّل هو الصهيونيَّة المسيحيَّة التي تقبل العهد القديم وتقدم من خلاله تبريرًا للاستيطان الإسرائيليّ في فلسطين وسلب الأرض وتهجير الشَّعب، وهذا ما دعا بعضًا إلى الدّعوة لإزالة العهد القديم من لائحة الأسفار القانونيَّة. وعلى الناحية الأخرى يوجد الرّفض التّام للعهد القديم مثلما فعلت النّازيَّة عندما اقترح فريدريك ديليتش رفض العهد القديم تمامًا في بداية القرن العشرين قائلًا إنّ الحضارة البابليَّة أسمى من العهد القديم، وإنّها من أصول آريَّة وإنّ سكان الجليل والسّامرة أيضا من أصول آريَّة، ولهذا فيسوع نفسه آريٌّ وليس يهوديًّا![٨] في ضوء ما سبق، يقدم كتاشو طريقة قياسيَّة للإجابة على سؤال: كيف نُطيع العهد القديم اليوم؟ تتلخص الإجابة في مراقبة نموذج المسيح في تعامله مع العهد القديم.

الفصل الرّابع: في البَدء خلق الله. يفتتح كتاشو الفصل بتوجيهه للشَّباب والآباء الذين يصارعون مع أسئلة الإلحاد. يتناول هذا الفصل تحدِّيَيْن من التَّحديات التي تظهر عند قراءة الفصل الأول من التَّكوين وهما: **التّحدي العلميّ المرتبط**

٧ للمزيد راجع مقال كتاشو بعنوان: **لماذا أقرأ العهد القديم**، وهو في الأصل حوار مع القس نعيم عتيق. منشور في: https://www.comeandsee.com/ar/post/3002068. اطُّلع عليه في ١٠ مايو ٢٠٢٤.

٨ للمزيد حول إساءة الاستعمال السّياسيّ للكتاب المقدّس، راجع: نعيم عتيق، **الصّراع من أجل العدالة: لاهوت التحرر الفلسطينيّ** (فلسطين: دار الكلمة، ٢٠١٢)، ٧٨- ٩٤؛ ميشيل صبّاح، **قراءة الكتاب المقدّس اليوم في أرض الكتاب المقدس** (القدس: دار الكلمة، ١٩٩٣) تحت عنوان: "تحرير التّوراة من كل استغلال سياسيّ".

بالعلوم الطبيعيَّة، فبين الإقرار بوجود خالق للكون أو إنكاره، تظهر عدَّة آراء ومدارس في نظريَّة الخلق والنُّشوء ما بين "خلقويو الأرض الفتية والمُسنَّة"[٩] و"خلقويو التّطور والملحدين".[١٠] تفرعت الآراء حول أسئلة عن عمر الأرض، وتاريخيّة آدم، والحيّة، وغيرها.[١١] ويقدم كتاشو هنا التَّفسيرات السَّبع المطروحة لتفسير الأصحاح الأوّل من سفر التّكوين، وهي: نظرية الفجوة الزَّمنية، والمرحلتان، واليوم الإعلانيّ، واليوم الحرفيّ المتقطّع والمتسلسل، واليوم الرَّمزيّ،[١٢] وأخيرًا نظرية الإطار[١٣] -التي يعتمدها كتاشو ويقول بأرجحيتها- والتي تقول أنّ التّرتيب ترتيبٌ لاهوتيٌّ وليس زمنيًّا، وأنّ النّص يركّز على دور ما له أهمية، وليس على الكينونة الماديّة للخليقة. يؤيد والتون نظرية الإطار، ويرى أنَّ تكوين ١ يركّز على وصف وظيفة الكون حسبما عيّنها الله، بغض

العهد مع آدم

النّظر عن الكيفيّة التي خرج بها هذا الكون إلى حيز الوجود.[١٤] يشرح كتاشو التَّوازي بين أيام الخلق الأوّل والرّابع والثّاني والخامس والثّالث والسّادس، وكيف تقدم هذه القراءة فكرة تناسب الشّكل مع المضمون، فقبل أن يخلق الله أي كائنٍ، هيأ له ما يحتاجه. تفتح هذه النّظرية في رأينا أفقًا أوسع وغنى لاهوتيًّا أعمق، وهو ما يؤيده أيضًا يوجين هـ. ميلر في كتابه "**العالم والكلمة**."[١٥] التَّحدي الثَّاني، **التَّحدي الأركيولوچيّ**، حيث دفعت زيادة الكشوف الأثريَّة لحضارات الشَّرق الأدنى بعضًا للتّرويج لأسطورة نص التَّكوين عن سرديَّة الخلق التَّوراتيَّة، بل ذهب بعضٌ مثل فلهاوزن، إلى الادعاء بشبحيّة الآباء البطاركة، غير أن ك. أ. كيتشن في كتابه "**مصداقيّة العهد القديم**،"

9H. Ross, *A Matter of Days: Resolving a Creation Controversy* (Colorado Springs, CO: Navpress, 2004).

١٠ انظر الشَّكل التَّوضيحيّ في: يوجين ميلر، **العالم والكلمة** (القاهرة: - رابطة الإنجيليين، ٢٠٢٢) ط٢، ٢٦٧.

11Matthew Barret and Ardel Caneday, eds. *For views on the historical Adam* (Grand Rapids: Zondervan, 2013); Mortenson, Terry, ed. Searching for Adam: Genesis & the Truth About Man's Origin. New Leaf Publishing Group, (2016); Collins, C. John. "Adam and Eve as Historical People, and Why It Matters." Perspectives on Science & Christian Faith 62.3 (2010).

١٢ للمزيد راجع: رياض قسيس، **فكر أم كفر؟ نظرية التّطور في الميزان** (بيروت: دار منهل حياة ٢٠٢١).

١٣ للاطلاع على نقد لنظرية الإطار من منظور أصحاب نظرية الأرض الفتيّة، راجع:
R. V. McCabe, "A Critique of the Framework interpretation of the creation week", in: *Coming to grips with Genesis: Biblical Authority and age of the earth*, 49- 211.

١٤ يوجين ميلر، **مرجع سابق**، ٢٦٨ حاشية رقم ٦٦.

١٥ **المرجع سابق**، ٢٦٧- ٢٦٩.

يناقش هذا الادعاء ويُفنِّده.[16] تقدَّم هذه الادعاءات عادة في إطار التّغافل عن أنَّ مفهوم الخلق في الشّرق الأدنى مرتبط بالدّور والعمل، وليس بالماديّة.

الفصل الخامس: العهد مع آدم. يستهل كتناشو الفصل بالجَدل حول آدم في هوشع ٦: ٧، إذ تتفرع الاحتمالات حول قراءة هذا النّص إلى ثلاثة احتمالات هي: **مكان؛ البشر عمومًا؛ آدم سفر التّكوين.** يُرجح كتناشو الاحتمال الأخير، وينتقل منه لسؤال آخر عن حقيقة آدم فيشرح التّيارات الأربعة المطروحة للإجابة عن هذا السّؤال، وهي: **آدم شخصيَّة أسطوريَّة:** يقبل هذا المنهج الخلق مع التّطور؛ **آدم ليس بالضّرورة تاريخيًا:** في هذا المنهج، آدم نموذج للجنس البشريّ؛ **آدم تاريخيّ:** في هذا المنهج آدم هو أول مخلوق بشريّ، والإصحاحات من ١- ١١ جزء من سرديّة الخلاص، ولا ضرورة للتّفسير الحرفيّ، والأرض ليست مُبكرة النّشأة، والتّشكيك في سرديّة آدم تشكيكٌ في سرديّة الخلاص والكتاب المقدّس؛ **تاريخية آدم:** في هذا المنهج آدم أول مخلوق بشريّ ولم يكن هناك بشرٌ قبله، وعمر الأرض مبكِّر، وكلمة يوم تعني ٢٤ ساعة حرفيًّا. ويذهب كتناشو -ونوافقه الرأي- إلى دعم الرَّأي الثَّالث.

يفتح بعدها كتناشو الحديث عن عهد الله مع آدم، حيث أعطى الله آدم **عالمًا وعملًا وعائلة.** فعاش آدم الذي يعكس صورة الله مع الله وحواء يتمّم رسالته، وبسقوطه بدأت معاناة الخليقة كلها، فتدخل الله واضعًا العداوة بينه وبين الحيّة وبين نسله ونسلها، وبدأت النّعمة منذ اليوم الأوّل في انتظار ذاك الذي سيسحق رأسها ويهب الحياة. لكنَّ الآراء انقسمت حول تكوين ٣: ١٥ إلى ثلاث فرق: النَّصُّ يتحدث عن مجموعات وليس أفراد؛[17] أفراد وليس مجموعات؛[18] أفراد ومجموعات. ويؤيد كتناشو ونحن الرّأي الثَّالث، ويقدِّم في هذا أربعة أسباب، هي: العداوة في النّص تنقسم إلى عداوة فرديّة وجماعيّة؛ حيث العداوة الأولى بين المرأة والحيّة، والعداوة الثانية بين نسلهما؛ النُّصوص الكتابيَّة التي تتحدث عن المخلص المستقبليّ في توافق مع تكوين ٣: ١٥؛ تعليقات العهد الجديد على النّص مثل: يوحنا ٨: ١٤؛ متى ٢٣: ٣٣ – رومية ٦: ٢٠؛ رؤيا ١٢.

الفصل السّادس: العهد من نوح. تُنشئ سرديّة الطّوفان جدلًا لثلاثة أسباب على الأقل، وهي: الفيضانات المُعاصرة والتزام الله بعهده مع نوح؛ معنى كلمة ارتص אֶרֶץ هل تصف الكرة الأرضيّة أم جزءًا منها؟ علاقة العلم بالإيمان. في الأوساط المسيحيّة، لدينا اليوم أربع وجهات نظر حول الطّوفان: الطّوفان كان شاملًا وغطى الكرة الأرضيّة كلها؛ الطّوفان

١٦ لتفصيل أكثر لرأي كيتشن راجع: كيتشن، **مصداقيّة العهد القديم** (القاهرة: بناريون، ٢٠١٩)، ٥٢٩- ٦٢٦.

١٧ للمزيد حول وجهة النظر هذه، راجع مثلًا:
H. C. Leupold, *Exposition of Genesis* (Grand Rapids: Baker, 1942), 70-163; Geerhardus Vos, *Biblical Theology: Old and new Testaments* (Carlisle: Banner of Truth, 1975), 41-44.

١٨ للمزيد حول وجهة النّظر هذه، راجع مثلًا:
C. J. Collins, "A syntactical Notes (Genesis 3: 15): Is the woman's seed singular or plural?" *Tyndale Bulletin 48* (1997), 139- 148.

كان محليًّا، غطى قسمًا كبيرًا من الكرة الأرضيَّة؛ يستخدم سفر التّكوين لغة مبالغة لأهداف لاهوتيّة؛ سرديّة الطّوفان سرديّة لاهوتيّة لا علاقة لها بالتّاريخ. جدير بالذّكر أنَّه قد قدَّم والتن ولونجمان نظريّة توفيقيّة بين رأي العلم ونص الكتاب المقدس عندما قارنا طوفان نوح بطوفان أترا-حاسيس وجلجامش[١٩] واستنتجا أن طوفان نوح لم يكن مرتبطًا بالخطيّة فحسب، بل بالنّظام الإلهي وإعادة ترتيب الأرض التي فسدت بالمعصية وعودة النّظام الإلهي للسّيطرة.[٢٠] وعليه، يرتبط العهد مع نوح بكل ما سبق، يمتد إلى الخليقة كلها.

يقدِّم كتناشو في هذا الفصل الجوانب اللّاهوتية المرتبطة بالعهد مع نوح وارتباطها بالمسيح في ثلاثة أوجه: **قال الله لنوح** ٦: ١٣ إعلان دينونة البشريَّة؛ **ذكر الله نوحًا** ٨: ١خلاص اللّه؛ **بارك الله نوحًا** ٩: ١ بركة اللّه في الأرض الجديدة. يُظهر العهد الجديد التّرابط بين نوح والمسيح في متى ٢٤: ٣٧؛ لوقا ١٧: ٢٢- ٣٧؛ عبرانيين ١١: ٧ ويتعلّق هذا التّرابط بنجاة البشريّة وإعادة ترتيب الخليقة والبركة العهديّة. يعرض كتناشو في الخاتمة، لقضية تكوين ٩: ٢١ عن حام وعورة أبيه، ويميل إلى تفسير **الكشف والسَّتر** عن تفسير **سِفاح القُربى** الذي تبناه ف. و. بَاسِت،[٢١] ونراه قد أصاب في هذا.

الفصل السّابع: العهد مع إبراهيم. يقدِّم كتناشو في مطلع هذا الفصل بعض الاستخدامات العصريّة لكلمة الإبراهيميّة، فيستعرض على سبيل المثال الاتفاقات الإبراهيميّة التي أبرمتها إدارة ترامب في ٢٠٢٠،[٢٢] وقضية الدّين الإبراهيميّ التي أثارها شيخ الأزهر.[٢٣] ولأهمية إبراهيم[٢٤] الكتابيّة يقدِّم كتناشو نظرة مختلفة لإبراهيم من خلال ثلاث نقاط، هي: **خلفيات ضروريّة:** تظهر السرديّة في تكوين ١- ١١ سرديّة البشريّة مع اللّه، التي اتّسمت بعلاقة غير جيدة بين اللّه والبشر، وبين البشر وبعضهم، وبسبب تلك العلاقة المكسورة دخل الموت واللّعنة إلى البشريّة، ثم يظهر اللّه ثانية في المشهد ليضع حدًّا للّعنة والموت؛ **متطلبات عهديَّة:** يتطور الحديث عن العهد الإبراهيميّ في تكوين ٢١، ١٥،

---

١٩ يركز مؤيدو الرأي الأسطوري لتكوين ١- ١١ على أوجه الشبه بين أساطير الشّرق الأدنى وسرديّة الخلق، غير أن الاختلاف تبدو أكثر من التّشابهات، وهذا ما استعرضه يوجين هـ. ميلر مثلًا عن المقابلة بين سرديّة الخلق وأسطورة إنوما إليش، في: يوجين ميلر، **مرجع سابق**، ٢٦٤.

20John Walton and Tremper Longman, *The lost world of the flood* (Downers Grove: IVP, 2018).

21F. W. Basset, "Noah's nakedness and the curse of Canaan. A case of incest?" VT 21 (1971): 232–37.

٢٢ الاتفاقيات الإبراهيميّة أو اتفاقيات إبراهيم (بالعبريّة: הסכמי אברהם) (بالإنجليزية: Abraham Accords) ويُشار إليها أيضًا باسم اتفاق إبراهيم أو الاتفاق الإبراهيميّ؛ اسم يُطلق على مجموعة من اتفاقيات السلام التي عُقِدت بين إسرائيل ودول عربيّة برعاية الولايات المتّحدة. استخدم الاسم أوّل مرة في بيان مشترك لإسرائيل والإمارات العربيّة المتّحدة والولايات المتّحدة، صدر في ١٣ أغسطس ٢٠٢٠، واستخدم لاحقًا للإشارة بشكل جماعيّ إلى اتفاقيات السّلام الموقعة بين إسرائيل والإمارات العربيّة المتّحدة وبين إسرائيل والبحرين. كانت هذه هي المرة الأولى التي توقع فيها دولة عربيّة اتفاقيّة للسّلام مع إسرائيل منذ أن وقع الأردن اتفاقية للسّلام مع إسرائيل عُرفت باسم معاهدة السّلام الأردنيّة الإسرائيليّة عام ١٩٩٤.

٢٣ بيان هيئة البحوث الإسلاميّة بشأن "الدّيانة الإبراهيميّة" منشور على موقع الأزهر:
https://www.azhar.eg

٢٤ الذّكر الوحيد غير الكتابيّ المقترح عن إبراهيم في القائمة الطبوغرافيّة (٧١- ٧٢) التي لشيشنق الأول ملك مصر في ٩٢٥ ق.م. والتي تذكر ما يمكن قراءته على النحو التالي: "منطقة أبرام"، وهي قراءة مقبولة على نطاق واسع. كيتشن، **مرجع سابق**، ٥٢٩.

١٧، ٢٢ ويقدَّم إبراهيم بوصفه حلًّا لمُشكلتي اللّعنة والموت في كلمتي البركة والنّسل. في طاعة اللّه، تحوّل إبراهيم إلى قناة ناقلة للبركة والحياة؛ **نظرة مُستقبليّة:** كانت المشيئة الإلهيّة أن يكون إبراهيم بركة لكل العالم، لكنه عقيم وابنه الوحيد على وشك أن يقدِّمه ذبيحةً (تكوين ٢٢)، لذا يجب قراءة سرديّة إبراهيم في ضوء طفل الرّجاء الموعود به في تكوين ٣: ١٥. الطفل هو بركة الشّعوب وهو الذي سيسترد بركة البشريّة وعلاقتها مع اللّه.

الفصل الثّامن: العهد مع موسى. لكي نفهم هذا العهد علينا أن ننتبه للسّياق التّاريخيّ والأدبيّ واللّاهوتيّ الأوسع، فالعهد الموسويّ ليس شرائع فحسب، بل يمثل دور الإيمان في الصراع السّياسيّ، وبناء مجتمعٍ عادلٍ، وإنصاف المظلومين، فأسفار موسى كلها وحدة واحدة تبدأ بالتّكوين حتى التّثنية موضوعها سرديّة اللّه مع شعبه وعهده معهم. جوهر العهد في خروج ١٩- ٢٤ هو الوصايا العشر (مركز العهد الموسويّ)، ويظهر العهد الموسوي مرة أخرى في سفر التّثنية مع الجيل الثّاني، ولا يمكن أن يغفل القارئ وحدة أسفار موسى، حسب التّقسيم التُّساعيّ،[٢٥] فيظهر آدم في بداية التّاريخ التُّساعي ونرى فشل شعب إسرائيل. ويظهر مرة أخرى في بداية أخبار الأيام الأوّل، حيث يُكتب التّاريخ من منظور الرجاء في الملك الآتي، ثم يظهر آدم في إنجيل لوقا وتتحقق الأحلام في كتابة التّاريخ مرة أخرى من منظور مجيء المسيح.

في اللّاهوت التَّثنوي الطّاعة هي طريق الثّبات في أرض الموعد وفي البركة الإلهيَّة، أما العصيان فيقود إلى السّبي. العبارة المركزيَّة لفهم العهد الموسويّ والكتاب المقدّس هي تثنية ٦: ٤- ٥: «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ.» يميز كتاشو سمات العهد الموسويّ إلى ثلاث سمات، هي: **عهد ولاء:** يطالبنا اللّه بالتّكريس الكامل له وحده. حقًّا، لو كان إسرائيل قد نجح في أن يكون أمّة مقدّسة وكهنوتًا ملوكيًّا لتغير شكل العالم! **عهد إخاء:** لا نستطيع فهم العهد الموسويّ بحصره بين اللّه والإنسان، بل يجب أن يشمل جميع العلاقات البشريّة. هذه قراءة بديعة، وتدعم بشدة دور المؤمنين والكنيسة في العالم. يتجلى هذا الدّور في تحدٍّ للكنيسة العربيّة المُمزقة بين براثن الاحتلال السّياسيّ والتّمييز الطائفيّ؛ **عهد دماء:** ارتبط خروج شعب اللّه من مصر بخروف الفصح، إذ صار الدّم علامةً امتدت بعدها إلى الذبائح (خروج ٢٤: ٨). فشلت إسرائيل، فزاغت البشريّة، لكن المسيح نجح وصنع بدمه غفرانًا للخطايا يُنادَى به في كلِّ الأرض. إذا نجحت الكنيسة في دورها المرسليّ للعالم، ستقود العالم إلى دم الحمل فتعبر عنه الدّينونة.

الفصل التّاسع: العهد مع موسى والنّبي المُستقبليّ. يقترح كتاشو -ونوافقه- أنّ سفر التثنية يرجو عهدًا مستقبليًّا، ويدعم رأيه بأنَّ:

٢٥ التّقسيم التّساعي هو: (٥ موسى + يشوع + قضاة + صموئيل + ملوك).

العهد مع موسى

الصّورة النّهائية لأسفار موسى الخمسة تتضمن ترتيبًا لاهوتيًا لغرض معين، فيه يرد ذكر التّوراة في بداية كل قسم من الأنبياء والكتب (يشوع ١: ٧-٨، ١٢؛ مزمور ١: ٢)[٢٦]. ينتهي التقسيم الماسوري بأخبار الأيام الثّاني وبانتظار أورشليم التي سيبنيها شخص مُنتَظَر بمعيّة اللّه، هكذا يظهر أن العهد القديم ينتظر شخصًا مستقبليًا، الأمر ذاته في التقسيم المسيحيّ في نهاية نبوة ملاخي؛ **الأقسام الشّعريَّة**، تقدم الأقسام الشّعريّة محطة لاهوتية تتكاتف فيها المواضيع وتتطور لترشد القرّاء إلى الغاية المنشودة، وتلمِّح إلى شخصيّة ملوكيّة من سبط يهوذا ستحكم إسرائيل والأمم، وهو ما ربطه المفسّرون بالمسيح؛[٢٧] **الأقسام التّشريعيّة**، الوصايا العشر (خروج ٢٠: ١- ١٧) وصايا العهد (خروج ٢٠: ٢٢- ٢٣: ٣٣) وصايا الكهنوت (خروج ٢٥؛ لاويين ١٦) وصايا القداسة (لاويين ١٧- ٢٦). يلعب سفر التثنية دورًا مركزيًّا في فهم هذه الوصايا عندما يتحدث عن أن أهم وصيّة هي أن تحب

٢٦ يدعم جواشيم كراوس هذا الرأي في:
Joachim Krause, "The book of the Torah in the so called Deuteronomistic history", *zeitscchrift fÜr die alttestamentliche wissenschaft 127* (2015), 412-428.

٢٧ للمزيد حول هذا الربط، راجع:
R. Cole, *Numbers* (The new American commentary 3B, Nashville: Broadman & Holman publisher, 2000), 426.

الرب إلهك من قلبك (تثنية ٦: ٤- ٥)، وتُظهر أسفار موسى فشل الشّعب في حفظ العهد مع اللّه، أي حفظ محبّته.

يقدّم كتناشو بعدها، النّموذج الموسويّ بوصفه طريقة الوصول إلى محبّة اللّه الكاملة من خلال فحص النّص في تثنية ١٨، حيث يوزِّع اللّه السلطة على أربع فئات: القضاة، لنشر العدالة؛ الملوك، لتجسيد سلطان اللّه على الأرض؛ الكهنة، ليكونوا وسطاء بين اللّه وشعبه؛ الأنبياء، للتواصل مع الشعب وتعليمهم. المُلاحظ هنا، أن موسى وحده كان يمتلك كل تلك السُّلطات، التي وزِّعت بعد موته. يعرض كتناشو لتفسير نص تثنية ١٨: ١٥- ٢٢، الذي يتحدث عن النّبي المستقبليّ، فيتناول التّفسير الإسلاميّ، والتّفسير اليهوديّ، والتّفسير المسيحيّ، الذي يفهم هذا النبوّة بوصفها نبوّة عن المسيح.

الفصل العاشر: العهد مع داود. باختصار، يقدِّم كتناشو في هذا الفصل داود النّموذج الجلي للمسيح. داود هو أعظم وأهم ملك في العهد القديم، وهو مرجعيّة لا يمكن الاستغناء عنها لفهم النّظام الملكي لشعب إسرائيل، ولإدراك أهميّة الملك الدّاوديّ في خطة اللّه. يقول كتناشو في هذا الفصل إن تطوّر مفهومنا للعهد قد تطوّر من علاقة اللّه مع آدم وحواء ونسل المرأة الذي سيسحق رأس الحيّة، إلى نوح والخليقة الجديدة التي تخرج من الدّينونة، ثم إبراهيم وبركة الأمم في نسله، إلى موسى والذّبيحة التي ستجعل الإنسان مقبولاً أمام اللّه، إلى وضوح أكبر في الملك الدّاوديّ، الصّورة التي تحققت في شخص ربنا يسوع المسيح الذي يلقبه العهد الجديد بابن داود. التّطور الحادث في العهد الدّاوديّ يجعل الصّورة والرّبط مع نصوص العهد الجديد أكثر وضوحًا وتطبيقًا في شخص المسيح.

الفصول الحادي عشر إلى الثّالث عشر: السّبي والعودة من السّبي. في الفصول السّابقة تناول كتناشو أهم محطات العهد القديم وقسّمها إلى سبع محطات هي آدم، نوح، إبراهيم، موسى، داود، وهنا يتحدث عن آخر محطتين وهما السّبي والعودة من السّبي. جادل كتناشو أن هذه المحطات ترتبط بالمسيح. واستعرض كتناشو في هذا الجزء من الكتاب السّبي الآشوريّ وسقوط السّامرة وأهم الأحداث في الفترة الآشوريَّة والبابليَّة، وناقش نبوءة إشعياء عن عمانوئيل، وتحقيق الحلم الدّاوديّ، ومصير صهيون، والشخصيّة الدّاوديّة واختلاف المفسرين حول تحديد هوية عمانوئيل وأمه؛ ويظهر كتناشو أن الإيمان الذي يجسده عمانوئيل هو طريق الأمان والإرساليّة التي تقود إلى العلاقة الصحيحة مع الرّب ومع الواقع من حولنا، فيجب أن نتجنب حصر منظورنا في نطاق الجرائد والإعلام وحديث السياسيين. وعن السّبي البابليّ وسقوط أورشليم التي ربطها كتناشو ببراعة

العهد مع داود

واختبار يتفق مع مُعاصرٍ من قلب الحدث، بنكبة فلسطين عام ١٩٤٨ و١٩٦٧ رغم عدم تطابق سرديّة الكتاب المقدّس مع سرديّة الشّعب الفلسطيني المُعاصر، إلّا أنَّه ثَمَّ تشابه يشكل مساحة لاهوتيّة خصبة للتفكير اللّاهوتيّ. يعرض كتناشو في هذا الجزء إلى الأباطرة البابليين وترحيب يهوذا بهم في البداية من مبدأ عدو عدوي صديقي، ثم يتحدث عن سقوط أورشليم. ويجادل كتناشو –ونوافقه الرَّأي– أنَّ التّسلسل التّالي: إبراهيم، الحصول على الأرض، الشخصيّة الدّاوديّة التي ترعى الشعب في مرعى جيد، والقيامة؛ تتكرر مرة أخرى بالتّسلسل ذاته في إنجيل يوحنّا الفصول ٨– ١١ يؤكد هذا لنا أن السيد المسيح هو هذه الشخصيّة ومن خلاله تتأسس مملكة أبديّة تمتد في كل الأرض.[٢٨]

٢٨ كتناشو، إنجيل يوحنا بنظرة مختلفة (فلسطين: كلية لاهوت النّاصرة، ٢٠١٧)، ٦٥ – ٦٩.

خُلاصة

هذا كتابٌ عربيٌّ، بقلم عربيٍّ، من رَحِم مُعاناةٍ عربيّةٍ؛ هذا كتاب أقربُ إليك من جِلدِك، فهو خارج من واقعنا ليُجيب على تحدياتنا، ويمُد يدَ العون لكل أبٍ وأمٍّ أو شابٍّ تائه بين إيمانه وقوميته. ربط العهد القديم مع المنظور المسيحيّ والسّياق العربيّ المعاصر من منظور فلسطينيّ، أفاد القارئ العربيّ الذي يواجه أسئلة تتهم العهد القديم أنَّه الذَّريعة التي شرعنت سلب الأرض والحقوق، ويضعه في خيار صعب أن يتخلى عن قوميته أو إيمانه. من هذا المعترك خرج كتاشو بمنظومته الخاصّة لقراءة العهد القديم من خلال نموذج المسيح، والتّمييز بين الفهم الأضيق والفهم الأوسع للوصيّة. صيغَ الكتاب بلغة بسيطة لا تُهمل الأكاديميّة ولا تُفرط فيها فتفصله عن المتلقي غير الأكاديميّ. لا يحتاج الأمر لجهد لتكتشف أنك أمام أستاذ بارع متمرّس، فلغة الكتاب بسيطة بساطة الوعظ، رصينة رصانة الأوراق البحثيّة، وهذه مهارة لا تتأتى إلا لمخضرم. هذا الكتاب يعكس هوية مؤلفه، المُحاضر، البَاحث، الأكاديميّ، القّس، الرّاعي، المُناضل الحقوقيّ، القارئ السّياسيّ، الذي استطاع بمهارة أن يصل إلى أكبر شريحة من القراء، ربما لأنه يكتب أول كتاب مقدمات للعهد القديم مشحون بقلم أكاديميّ بارع، وعاطفة راعٍ يئنُّ على رعيته.

إحدى أبرز نقاط القوّة في هذا الكتاب، هي توجيه وربط العهد القديم مع العهد الجديد، بحيث يقودنا إلى المسيح مباشرة. يقودك كتاشو طيلة الكتاب عبر كلِّ الأبواب ليوقفك مباشرة أمام المسيح، الهدف، الغاية، الوسيلة، السَّبيل، الحلّ، الخلاص، الاسترداد، الأبديّة. وكأنّه يكرِّر بأعلى صوته شعار الإصلاح الإنجيليّ "**المسيح وحده.. المسيح وحده**"، ويردد مع بولس الرّسول: "لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا." (١كورنثوس ٢:٢). كما أنَّه على بساطة الكتاب وصغر حجمه، إلّا إننا لا نستطيع أن نخفي إعجابنا بالمسح الأكاديميّ الرّائع الذي غطاه بمهارة الكاتب في الكتاب، حيث يظهر سعة اطلاعه على الدِّراسات العديدة الحديثة والقديمة المرتبطة مع موضوع الكتاب الواسع، إذا تُغطي لائحة المراجع الدِّراسات خلال ٤٠ عامًا من ١٩٨٢ حتى ٢٠٢٢، وهذا أمر لا يطيقه إلّا الخبراء، ولا يخفى عليك من مجرد نظرة إلى لائحة المراجع.

تجربة توسيع النّظرة اللّاهوتيَّة لمسيحيّي الوطن العربيّ من خلال النّموذج الفلسطينيّ، تُعدُّ نموذجًا يُحتذى به. فليس المسيحيّ الفلسطينيّ وحده الذي يحتاج إلى أن يُوجِدَ آليةً لفهم وطاعة العهد القديم في سياقه العربيّ. إنّ المسيحيين المصريين -على سبيل المثال- يحتاجون لتطوير نموذج شبيه، يُصالح القوميّة المصريّة مع نصوص العهد القديم التي تُجافي المصريين القدماء، وتَصُفُّهم في مَصَافِ الجبابرة العُتاة، فالمسيحيّ المصريّ مشدودٌ بين انتمائه لمصريّته وحضارة أجداده التي يُحاكي بها العالم كلّه، وحادثة الخروج والضّربات العشر، فإلى أي صفٍّ تراه يقف؟!

لائحة المراجع

أدرنلي، باسم. "**هل كناية -العهد القديم- تعبير سليم؟**" على الرابط التالي:

https://www.linga.org/varities-articles/MTEwMTQ.

بيان هيئة البحوث الإسلاميّة بشأن "الدّيانة الإبراهيميّة" منشور على موقع الأزهر:

https://www.azhar.eg

صبّاح، ميشيل. **قراءة الكتاب المقدّس اليوم في أرض الكتاب المقدَّس**. القدس: دار الكلمة، ١٩٩٣.

عتيق، نعيم. **الصّراع من أجل العدالة: لاهوت التّحرر الفلسطينيّ**. فلسطين: دار الكلمة، ٢٠١٢.

قسيس، رياض. **فكر أم كفر؟ نظرية التّطور في الميزان**. بيروت: دار منهل حياة ٢٠٢١.

كتناشو، حنّا. **لماذا أقرأ العهد القديم**. أُطلع عليه في ١٠ مايو ٢٠٢٤. منشور في:

https://www.comeandsee.com/ar/post/3002068.

_____. **إنجيل يوحنا بنظرة مختلفة**. فلسطين: كلية لاهوت النّاصرة، ٢٠١٧.

كيتشن، ك. أ. **مصداقية العهد القديم**. القاهرة: بناريون، ٢٠١٩.

ميلر، يوجين. **العالم والكلمة**. القاهرة: EIS رابطة الإنجيليين، ٢٠٢٢.

Barret, Matthew and Ardel Caneday eds. *For views on the historical Adam*. Grand Rapids: Zondervan, 2013.

Basset, F. W. “Noah’s nakedness and the curse of Canaan. A case of incest?”. VT 21 (1971): 232–37.

Bruce, F. F. *Understanding Biblical Criticism*. Nashville: Kingsley, 2017.

Cole, R. *Numbers*. The new American commentary 3B, Nashville: Broadman & Holman publisher, 2000.

Collins, C. John. "A syntactical Notes (Genesis 3: 15): Is the woman's seed singular or plural?" *Tyndale Bulletin 48* (1997): 139- 148.

_____. "Adam and Eve as Historical People, and Why It Matters." Perspectives on Science & Christian Faith 62.3, 2010.

Dempster, Stephen. “Canons on the Right and Canons on the Left: Finding a Resolution in the Canon Debate”. *Journal of Evangelical Theological Society 52* (2009): 47-77.

Edwards, James. “What’s in a Name?”. *Christianity Today 43* (1999): 59-61.

Gignilliat, Mark. *A Brief History of Old Testament Criticism*. Grand Rapids: Zondervan, 2012.

Ross, H. *A Matter of Days: Resolving a Creation Controversy*. Colorado Springs, CO: Navpress, 2004.

Soulen, Richard and Kendall. *Handbook of Biblical Criticism*. Fourth Edition, Louisville: Westminster John Knox Press, 2011.

Stanley, Andy. *Irresistible: Reclaiming the New that Jesus Unleashed for the World*. Grand Rapids: Zondervan, 2018.

Terry, Mortenson ed. Searching for Adam: Genesis & the Truth About Man's Origin. New Leaf Publishing Group, 2016.

Vos, Geerhardus. *Biblical Theology: Old and new Testaments*. Carlisle: Banner of Truth, 1975.

Walton, John and Tremper Longman. *The lost world of the flood*. Downers Grove: IVP, 2018.

Krause, Joachim. "The book of the Torah in the so called Deuteronomistic history". *zeitschrift fÜr die alttestamentliche wissenschaft 127* (2015): 412-428.

Leupold, H. C. *Exposition of Genesis*. Grand Rapids: Baker, 1942.

Levine, Amy-Jill. “What is the Difference Between the Old Testament, the Tanakh, and the Hebrew Bible?,” n.p. (cited 27 Apr 2024). Online: https://www.bibleodyssey.org/en/tools/bible-basics/what-is-the-difference-between-the-old-testament-the-tanakh-and-the-hebrew-bible.

McCabe, R. V. "A Critique of the Framework interpretation of the creation week". in: *Coming to grips with Genesis: Biblical Authority and age of the earth:* 49- 211.

McDonald, Lee and James Sanders. *The Canon Debate: On the Origins and Formation of the Bible*. Peabody: Hendrickson, 2002.

التنوع الأدبي في الكتاب المُقدّس

ق. بيتر وديع

المقدمة

يعتبر الكتاب المقدس أحد أهم النصوص في تاريخ البشرية، ليس فقط لمحتواه الروحي واللاهوتي، بل أيضًا لتنوعه الأدبي الرائع. فالكتاب المقدس يضم ٦٦ كتابًا، كتبها مؤلفون مختلفون على مر القرون في سياقات تاريخية وثقافية متنوعة، ويعرض مجموعة واسعة من الأشكال الأدبية. هذه الأشكال تثري النصّ، مما يسمح له بمخاطبة عدد كبير من الجماهير، وتوصيل الحقائق الإلهية بطرق عميقة. ولذلك فإن فهم هذا التنوع أمر بالغ الأهمية للدراسات الأدبية واللاهوتية، ومن غير إدراك هذا التنوع لا يُمكن تفسير الكتاب المُقدّس بدقة، وبالتأكيد سنضل بعيدًا عن الرسالة اللاهوتية الأصيلة له.

التنوع الأدبي في العهد القديم

يتكون العهد القديم من أشكال أدبية متنوعة وأهمها هي السرد التاريخي، الشعر العبري، أدب الحكمة، والنصوص النبوية، ويوجد أيضًا أجزاء تنتمي للأدب الرؤيوي. ولكي نكون أكثر تدقيقًا يجب وأن نوضع أنه لا يوجد دائمًا بالضرورة نوع أدبي واحد خالص، بل أحيانًا كثيرة نجد تداخل بين الأنواع الأدبية المختلفة، فمثلًا نجد أدبًا شرائعيًا مرتبطًا بذكر الشرائع بداخل السرد التاريخي، ونجد أدب حكمة بطريقة شعرية، ونجد نصوصًا رؤيوية بداخل النصوص النبوية وهكذا. ولكن هذه دراسات أدبية كتابية متنوعة ومتخصصة للغاية، لا نستطيع التعرض لها بالتفصيل في هذا المقال، فهذه دراسات أكاديمية خالصة. ولكنني سأعرض تعريفًا بسيطًا ومختصرًا لكل نوع من هذه الأنواع حتى يتسنَّى للقارئ أن يتعرف على الأشكال الأدبية المتنوعة والمختلفة للعهد القديم.

أولًا: السرد التاريخي

تعتبر الأسفار الـ١٧ الأولى في العهد القديم -بحسب الترتيب المسيحي الذي بين أيدينا الآن- كلها تنتمي بشكل رئيسي إلى أسلوب السرد التاريخي. فالسرد التاريخي يهيمن على الكثير من أسفار موسى الخمسة (سفر التكوين إلى سفر التثنية)، والكتب التاريخية (يشوع إلى أستير)، وأقسام أخرى من العهد القديم. لا تسرد هذه السرديات الأحداث فحسب، بل تتضمن تأملات لاهوتية ومفاهيم عن عهد الله مع شعبه عبر العصور والحقب المختلفة. على سبيل المثال، قصة الخروج هي رواية تاريخية، ولكنها أيضًا، بيان لاهوتي لخلاص وفداء الله لشعبه بالطريقة التي حددها هو، فهي تكشف عن تدبيرات الله لاسترداد الإنسان.

ولكي نكون أكثر دقة وموضوعية، يجب أن نذكر أنها تُسمَّى تاريخية لأنها تتبع أسلوبًا أدبيًا تاريخيًا، ولكنها ليست تأريخًا بالمفهوم العلمي الحديث، فالكتاب كانوا يكتبون بحسب السقف المعرفي آنذاك، وبحسب الطرق المتبعة وقتها. فهي ليست تأريخًا دقيقًا للأحداث والمواقف والشخصيات، بل مجرد إعلان الحقائق اللاهوتية والروحية عن شخص الله والعلاقة معه، من خلال هذا السرد التاريخيّ. فسوف نجد خلال دراسة هذه الأسفار فجوات تاريخية عديدة، وسوف نجد أحيانًا تكثيفًا تاريخيًا لفترات قصيرة، وهذا يؤكد أن الهدف لاهوتي وليس تأريخيًا.

ثانيًا: الشعر العبري

يُعَد الشعر العبري أحد أبرز الأشكال الأدبية في العهد القديم، ويظهر بشكل أساسي في كتب مثل المزامير ونشيد الأنشاد. والسمة المميزة له هي التوازي، حيث تتردد الأسطر أو تتناقض مع بعضها البعض في المعنى بدلًا من القافية أو الوزن اللذين نجدهما في الشعر العربي. ويساعد هذا البناء الشعري في تعزيز الحقائق اللاهوتية مع إمكانية الوصول إليه للعبادة والتأمل. كما يستخدم الشعر العبري الصور والاستعارات الحية من الواقع، ولكن في أحيان كثيرة يستخدمها بطريقة مجازية، مما يجعله عاطفيًا للغاية وقابلًا للتواصل.

والنصوص الشعرية كُتِبَت من خبرات الكتاب ومن واقعهم اليومي، ولكن بكل تأكيد هدفها روحي ولاهوتي بامتياز، فهي جزء أصيل من الكتاب المُقدّس -كلمة اللّه- ولكن لا بد وأن نعرف أن كثيرًا من التصورات بداخل هذه الأسفار كُتِبَت من منظور الكاتب في إطار تدرُّج الإعلان الإلهي عن نفسه لشعبه، وبالتالي لكيلا نضل التفسير وفهم القصد الأصيل من النص، لا بد وأن نفهم كل النصوص في الإطار اللاهوتي العام للكتاب المُقدس، ولا يجوز إطلاقًا اقتطاع جزء مِن هذه النصوص وفهمه باستقلال عن باقي السياق الكتابي.

ثالثًا: أدب الحكمة

تمثل كتب مثل الأمثال والجامعة وأيوب أدب الحكمة، حيث تقدم رؤى ثاقبة حول الأسئلة الوجودية والفلسفية في الحياة. وتستخدم هذه النصوص الأمثال والحوارات التأملية لاستكشاف موضوعات مثل: العدالة والمعاناة ومعنى الحياة. فهذا النوع مِن الأدب يعتبر بشكلٍ رئيسيٍّ هو فلسفيّ وجوديّ، يتكلم من منظور خبرة الحياة، ويطرح الأسئلة، ويتفاعل بجدية مع تعقيدات الحياة في جوانبها المختلفة. ما يميز هذا النوع أنه إنساني جدًّا، وهذا يجعل هذه النصوص قريبة للقارئ حتى مع البعد الزمني والمكاني له. لا بد وأن نؤكد أيضًا أن هذا النوع متقارب ومتداخل جدًّا مع الشعر العبري، فكثير مِن أجزائه مكتوبة بالشعر العبري وبحسب خصائصه.

رابعًا: الأدب النبوي

تتميز الكتب النبوية، مِن إشعياء إلى ملاخي، بأسلوبها الشعري والنبوي. فهي تنقل رسائل الدينونة والرجاء، من خلال الصور الحية، والأسئلة البلاغية والأفعال الرمزية. ولا بد مِن التأكيد هنا أنها تُسمى نبوية لأنها تتنبأ عن اللّه ورسالته، فهي كتابات تُخبر -أي تُعلن- عن رسالة اللّه لشعبه، سواء في جانب الدينونة أو جانب الأمل والرجاء. ولكن للأسف ضل كثيرون التفسير عندما ظنوا أنها بالضرورة تحمل رسائل للمستقبل فقط، وكأنها نصوص تنجيمية تحوي أسرار مستقبل العالم ونهاية الزمان؛ فهي نصوص مُشفرة يجب فك رموزها لمعرفة ما تقصده الشفرة.

لذا هذه النصوص لا بد وأن تُفهم في إطار سياقها التاريخي والحضاري، وتقرأ بمرعاه الأسلوب الشعري الممزوج بداخلها وما يحتويه من استعارات وتشبيهات ولغة أدبية بلاغية بديعة. فالخطر -كل الخطر- إذا استُخدمت هذه النصوص بطريقة حرفية مجتزأة، وطُبِّقت على الواقع الحالي، أو طُبِّقت على المستقبل.

التنوع الأدبي في العهد الجديد

أولًا: الأناجيل

تُمثل الأناجيل (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) مزيجًا فريدًا من السيرة الذاتية والسرد واللاهوت؛ فهي تروي حياة يسوع المسيح وخدمته وموته وقيامته، مع التأكيد على هويته الإلهية ودوره الفدائي. كل إنجيل له أسلوبه المميز وجمهوره الموجه إليه، فنحن نرى أن متى يهتم بتعليم مُنظم لليهود، ونجد في مرقس يسوع الخادم وهو ما يريد مرقس تقديمه للرومانيين، ونرى السرد التفصيلي في لوقا والذي يقُدم لليونانيين، ونجد

العمق اللاهوتي ليوحنا والذي يخاطب كل العالم.

ومن الواضح أن الأناجيل تحتوي في داخلها عديدًا من الأنماط الأدبية المتنوعة، فهي تُعتَبَر نوعًا أدبيًّا في ذاتها، ولكنها أيضًا تحتوي أنماطًا مثل القصص الرمزية، والأمثال التوضيحية، والعظات، وبعض التشبيهات الاستعارية. لذلك يجب أن نتعامل حتى داخل الأناجيل بوعي شديد وتمييز دقيق لكل نوع أدبي تفصيلي.

ثانيًا: الرسائل

الرسائل هي نوع أدبي مختلف عن الأنواع الأخرى، وهو يُعتَبَر خاصًّا بالعهد الجديد، وكانت هذه الرسائل بالأساس موجَّهة إلى مجتمعات أو أفراد محدَّدين، وذلك بحسب طبيعة هذا الزمان؛ فهي لم تكن نوعًا أدبيًّا حصريًّا على الكتاب المُقدس أو الكُتاب المسيحيين، بل كانت نوعًا معروفًا آنذاك. والرسائل تمزج بين التفسير العقائدي وشرح الإيمان المسيحي، ولكن أيضًا تُقدّم المشورة الرعوية سواء لأفراد أو كنائس، وذلك باستخدام أساليب بلاغية للإقناع والتعليم. وتتكون الرسائل دائمًا من افتتاحية ثم مقدمة، وبعد ذلك موضوعات الرسالة، ثم الخاتمة. لذلك يجب مراعاة هذا النسق ونحن نقرأ ونفهم الرسائل.

ثالثًا: الأدب الرؤيوي

نرى هذا النوع بوضوح في سفر الرؤيا، فهو يجسِّد الأدب الرؤيوي بصورة حية، ويوضح الصراع الكوني، والاستعادة النهائية. وكُتب هذا السفر بهذا النوع الأدبي لتقديم الأمل للمؤمنين المضطَهَدين، من خلال التأكيد على سيادة اللّه، وانتصار الخير على الشر في النهاية. وهذا النوع لم يكن شفرة أو لغزًا، بل هو أسلوب ظهر في فترة ما بين العهدين وكُتبت به عديدٌ من الكتابات التي هي خارج الكتاب المُقدّس. هذا النوع هو من أكثر الأنواع التي حيَّرت الجميع في التفسير وذلك بسبب التعامل الحرفي المُباشر مع النصوص، ولكن لا بد وأن نتعرف على الخصائص الأدبية لهذا النوع الأدبي، حتى نفهم الرسالة اللاهوتية والروحية ببساطة دون الخوض في تعقيدات رمزية غيبية.

وأخيرًا، بعد أن عرضنا أهم وأبرز الأنواع الأدبية في الكتاب المُقدَّس، أريد أن أؤكد أن هذا التنوع له أهداف في غاية الروعة والجمال. فيضمن تنوع الأشكال الأدبية أن يتحدث الكتاب المقدس إلى الناس عبر ثقافات وأزمنة وظروف مختلفة. فالشعر يحرك المشاعر، والسرديات تتصل بتجارب الحياة، والنصوص النبوية تتحدى الرضا الأخلاقي. كما إن الثراء الأدبي للكتاب المقدَّس يعكس طبيعته المزدوجة باعتباره وحيًا إلهيًّا وتكوينًا بشريًّا.

إن التنوع الأدبي للكتاب المقدّس هو شهادة على عمقه وعالميته. فمن الجمال الشعري في المزامير إلى الرؤى العميقة في سفر الرؤيا، يتحدث الكتاب المقدس بأصوات عديدة، يساهم كلٌّ منها في رسالته الشاملة عن محبة اللّه وعدله وفدائه. ومن خلال تقدير هذا التنوع، يمكن للقراء التفاعل مع الكتاب المقدس بشكل أكثر اكتمالًا، وكشف طبقات المعنى التي يتردد صداها عبر الزمن والثقافات.

قانونية أسفار
الكتاب المقدس

معنى كلمة قانونيَّة:

كلمة قانونية هي ترجمة للكلمة اليونانيَّة κανων وهي كلمة تعني في الأصل عصا أو مسطرة وكان يقصد بها المسطرة أو القامة المدرجة التي كانت تستخدم لقياس المسافات الأفقية والرأسية. وبمرور الزمن أصبحت الكلمة تستخدم مجازيًا للإشارة إلى الأعمال الأدبية أو الفلسفية التي يمكن اعتبارها أعمالًا عظيمة أو أعمالًا قياسية في مجالها (standard or normative) مثل كتابات أرسطو وأفلاطون في الفلسفة أو كتابات شكسبير في الأدب.

د.ق. عاطف مهني

ربما هذا المعنى هو نفسه المستَخدَم والوارد في عدد من كتابات العهد الجديد، لا سيما في رسائل الرسول بولس، والتي فيها يتكلم الرسول بصور متعددة عن القانون أو المعيار الذي يقيس به عمله وحياته، وفيما يلي بعض الأمثلة:

- "فكل الذين يسلكون بحسب الإنجيل حسب هذا **القانون** κανων عليهم سلام ورحمة". أي أن الذين يسلكون بحسب الإنجيل باعتباره مقياس للحياة الجديدة، عليهم سلام ورحمة (غلاطية ٦: ١٦).

- "وَلكِنْ نَحْنُ لاَ نَفْتَخِرُ إِلَى مَا لاَ يُقَاسُ، بَلْ حَسَبَ قِيَاسِ **الْقَانُونِ** الَّذِي قَسَمَهُ لَنَا اللهُ، قِيَاسًا لِلْبُلُوغِ إِلَيْكُمْ أَيْضًا (٢كورنثوس ١٣: ١٠).

- "غَيْرِ مُفْتَخِرِينَ إِلَى مَا لاَ يُقَاسُ فِي أَتْعَابِ آخَرِينَ، بَلْ رَاجِينَ إِذَا نَمَا إِيمَانُكُمْ أَنْ نَتَعَظَّمَ بَيْنَكُمْ حَسَبَ **قَانُونِنَا** بِزِيَادَةٍ، لِنُبَشِّرَ إِلَى مَا وَرَاءَكُمْ. لاَ لِنَفْتَخِرَ بِالأُمُورِ الْمُعَدَّةِ فِي **قَانُونِ** غَيْرِنَا" (٢كورنثوس ١٣: ١٥-١٦).

ثم تطور المعنى لكلمة κανων بعد ذلك لتشير إلى قائمة بالأعمال الصحيحة المشهود لها بأنها قياسية. هذا يشبه مفهوم عصا القياس؛ حيث إنها ليست أي عصا، لكنها مسطرة تتميز بأن لها طول وتدريج خاص، هذا التدريج وما يحويه من كتابة جعلها تختلف عن باقي العصي لتصبح مسطرة قياس، لذلك فعندما نشير مثلًا إلى قائمة موراتوري (Muratori Canon) للأسفار القياسية، والتي تُعَدُّ الوثيقة الأقدم التي تتضمن معظم أسماء أسفار العهد الجديد المتَّفق على قانونيَّتها، فنحن حينئذٍ لا نتكلم عن أية ورقة أو وثيقة عادية، بل عن ورقة قياسية تحوي أسماء مجموعة من الكتب، هذه الكتب هي وحدها المشهود لها بأنها صحيحة وقياسية.

الخلاصة

إذًا الكلمة اليونانية المترجمة بالعربية في فانديك دائمًا بـ"**قانون**" والتي استخدمها آباء الكنيسة للإشارة لأسفار الكتاب المقدس التي آمنوا أنها الأسفار الموحى بها من الله، تعني حرفيًّا "عصا قياس مُدرّجَة"، وتعني مجازيًّا مقياسًا دقيقًا أو معيارًا تُقيَّم به الأعمال، أو قاعدةً، أو مبدأً، أو قانونًا. وهي كلها معانٍ تشير إلى شيء كامل، وأن سلامة أي شيء غيره تتحدد بمدى تطابقها معه. لذلك فإننا في دستور كنيستنا نطلب من المتقدم للعضوية والمرتسم أن يتعهد بإيمانه أن الكتب المقدسة هي "القانون الوحيد المعصوم للإيمان والأعمال"، أي أن صحة معتقداتنا وسلامة سلوكنا وأعمالنا تتحدَّد بناء على مدى تطابقها مع كلمة الله وليس شيء آخر.

أهمية القانونية وتزايد الحاجة إليها:

تنبع أهمية القانونية أولًا من إدراك شعب الله لأهمية كل كلمة تخرج من فم الله، فيقول موسى النبي للشعب عن شرائع الله: "لأَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرًا بَاطِلاً عَلَيْكُمْ، بَلْ هِيَ حَيَاتُكُمْ. وَبِهذَا الأَمْرِ تُطِيلُونَ الأَيَّامَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَيْهَا

لِتَمْتَلِكُوهَا" (تثنية ٣٢: ٤٧). ويوصي الرب الشعب في القديم أن يحفظوا الكلمة ويعيشوا بها في كل أمور حياتهم: "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ" (تثنية ٦: ٤-٩). كما يصفها داود النبي في عديدٍ من مزاميره بأنها "ترد النفس" و"تصيِّر الجاهل حكيمًا"، وأنها "أحلى من العسل وقطر الشهاد..." (انظر مزموري ١٩: ١١٩). كما قال الرب يسوع نفسه عنها أن "بها يحيا الإنسان" كما بالخبز بل وأفضل منه (لوقا ٤: ٤).

أيضًا تكمن أهمية تحديد قانونية الأسفار من إدراك قادة شعب الله إلى خطورة زحف تعاليم ووصايا الناس، مهما كانت جيدة، واختلاطها بأقوال الله ووصاياه. لذلك يقول الكتاب في أكثر من موضع "لاَ تَزِيدُوا عَلَى الْكَلاَمِ الَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلاَ تُنَقِّصُوا مِنْهُ، لِتَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا" (تثنية ٤: ٢؛ متى ٥: ١٧-٢٠؛ رؤيا ٢٢: ١٨).

لذلك فأهمية القانونية تكمن في الوصول إلى قائمة جامعة مانعة لما تؤمن الكنيسة وتعتقد أنه كلمة الله الموحى بها. ولا بد أن نذكر أن في التاريخ المبكر لم يكن الكتاب المقدس مُجمَّعًا

ومطبوعًا في نسخة واحدة واضحة معتمدة كما هو الحال في أيامنا هذه، وربما لم يدرك الكثيرون من جماعة المؤمنين الأولين حقيقة الوحي بالصورة التي نفهمها نحن الآن. وبالطبع، فإن قبل أن تتبلور قانونية الأسفار، يمكننا أن نتصور كيف كان من الممكن أن يستخدم المؤمنون الكتابات الدينية المختلفة على أنها كتابات مقدسة.

ويبدو من العهد القديم كيف نما عند الشعب اليهودي إدراكهم لما هي "الكتب المقدسة"، وحدث هذا النمو على مر الزمن وليس دفعة واحدة. ففي زمن عزرا ونحميا مثلًا يتضح أن أسفار الشريعة الموسوية فقط هي ما اعتبرت آنذاك "الكتب المقدسة". أما في القرن الأول الميلادي فمن الواضح أن المعتقد لما يُعتبر كتبًا مقدسة ازداد اتساعًا، الأمر الذي يظهر جليًا في كم الاقتباسات من، والإشارات إلى كتابات الأنبياء والمزامير، والكتب التاريخية، وليس كتب الشريعة فقط (رومية ١: ٢٢؛ ١كورنثوس ١٥: ٤؛ تيطس ٣: ١٥).

ويؤيد التدرج في إدراك وإقرار القانونية أن أقدم محاولات جمع العهد الجديد مثلًا في مخطوط واحد لم تظهر إلا في القرن الرابع الميلادي كما هو الحال في المخطوط السينائية والمخطوطة الفاتيكانية.[١]

المعايير التي أقرَّت عليها قانونية أسفار العهد القديم:

رغم عدم وجود نصٍّ قديمٍ مكتوب يوضح هذا الأمر، إلا أن المعايير التالية يمكن استنتاجها بعد فحص وملاحظة الكيفية التي قُبِلَت بها كتاباتٌ دينيةٌ قديمةٌ وعومِلَتْ كأسفار مقدسة، صارت فيما بعد تشكل الأسفار القانونية للعهد القديم:

١. القناعة بأن الكتاب/السفر موحى به من الله بناءً على ما يحمله ملامح نبوية أو رؤيوية تثبت تحققها.

٢. أن يكون الكاتب مشهودًا له تاريخيًا أنه كان نبيًا أو يمثل قيادة كانت قريبة من الله وسارت في طرقه مثل موسى، يشوع، إشعياء، صموئيل... إلخ).

٣. أن يكون الكتاب قد استُخدِم من الآباء في التعليم أو العبادة، وأن يكون هناك قبول واسع من الجماعات اليهودية المختلفة مثل الكتبة والفريسيين.

٤. توافق السفر، لا سيما النبوي، مع أحداث تاريخية موثقة دون أن يكون السفر كتب بعد وقوع الأحداث ويدَّعي زورًا التنبؤ بها.

٥. توافق السفر فكريًا ولاهوتيًا مع أسفار أقدم في اعتبارها قانونية، مثل قبول الكتابات النبوية التي لا تتعارض مع أسفار الشريعة.

المعايير التي أُقِرَّت عليها قانونية أسفار العهد الجديد:

هذه المعايير لن تختلف كثيرًا عما ذكرناه أعلاه بشأن معايير قانونية أسفار العهد القديم ويمكن تلخيص هذه المعايير فيما يلي:

---

١ Codex Sinaiticus: هي واحدة من أهم أربع وثائق متكاملة لنص الكتاب المقدس، وهي مكتوبة على رقوق من جلد بأحرف كبيرة capital مفردة من دون مسافات ما بين الكلمات، وهذا النوع من الكتابة يُسمَّى uncials وهذه المخطوطة تتضمن العهدين القديم والجديد ويعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي. أما *Codex Vaticanus* فهي ربما أقدم مخطوطة متكاملة باللغة اليونانية (تنقصها أجزاء من التكوين، والرسائل الرعوية، والعبرانيين، وسفر الرؤيا)، ويعتقد أن من جمعها هو يوسابيوس القيصري في أوائل القرن الرابع الميلادي.

١. التأكد من الكاتب صحة الكاتب (أي أنه ليس شخصًا منتحل الاسم) وكونه من رسل المسيح أو من تلاميذهم حتى يُطمَأنَّ أن التعليم المتضمن هو من شهود عيان عاصروا الرب يسوع أو عايشوا تلاميذه.

٢. ملاءمة مضمون السفر لروح المسيح الموثوق منها وعدم تناقض هذا المضمون مع أيٍّ من الكتب الأخرى الموحاة. ومن هنا نجد أن الكنيسة لم تنخدع بمجرد إسناد بعض الأسفار إلى بعض الأسماء من تلاميذ المسيح مثل إنجيل توما وإنجيل بطرس وإنجيل برنابا.

٣. شهادة آباء الكنيسة الأوائل لهذه الأسفار واعتمادهم عليها في التعليم واقتباسهم منها في كتاباتهم (سنعطي أمثلة لذلك فيما بعد).

٤. قبول المجامع الكنسية الأولى لهذه الأسفار.

٥. تأثير السفر على قارئه: وعلى الرغم من مجادلة البعض بعدم موضوعية هذا المعيار إلا أنه لا يمكن إهمالها تمامًا، فإن كان سفر مُوحًى به من الروح القدس لا بد أن يكون له تأثير خاص على قارئه أو مستمعه.

حصر للأسفار القانونية للعهد القديم:

نعلم أن أسفار العهد القديم التي تعترف الكنائس البروتستانتية بقانونيتها هي ٣٩ سفرًا، وهي ذاتها الأسفار القانونية التي كانت عند اليهود، ولكن اليهود اعتبروا عدد الأسفار القانونية ٢٤ سفرًا، بسبب ضمهم الأسفار التالية معًا باعتبار كلٍّ منها سفرًا واحدًا:

- صموئيل الأول والثاني.
- ملوك الأول والثاني.
- أخبار أيام الأول والثاني.
- عزرا ونحميا.
- أسفار الأنبياء الصغار.

أما يوسيفوس فقد تضمنت قانونيته ٢٢ سفرًا من حيث العدد، بسبب رغبته في مساواة عدد الأسفار مع عدد حروف الأبجدية العبرية، وقد تبنى يوسيفوس التقسيم السابق، ثم ضم سفر راعوث إلى القضاة واعتبرهما سفرًا واحدًا، كذلك ضم مراثي إرميا إلى إرميا.[2]

وقد قسم اليهود الأسفار إلى وحدات كثيرة من المهم معرفتها لأنها تختلف بعض الشيء عن تقسيمات المسيحيين للأسفار. فشملت أقسامهم **التوراة** وتتضمن أسفار موسى الخمسة؛ و**الأنبياء الأولين**، ويقصد بهم يشوع – قضاة – صموئيل (الأول والثاني) – ملوك (الأول والثاني)؛ ثم **الأنبياء المتأخرين وهم** إشعياء – إرميا – حزقيال – الأنبياء الصغار الاثني عشر؛ وأخيرًا **الكتوبيم (أي الكتب)** وتشمل باقي أسفار العهد القديم التي نعرفها مثل عزرا – نحميا – أستير–أيوب – مزامير.... إلخ.

العهد القديم عند الكنيسة الكاثوليكية:

بالإضافة للأسفار القانونية الـ ٣٩ المتعارف عليها من اليهود والمعترف بقانونيتها من الكنيسة البروتستانتية، يضم الكاثوليك عددًا من الكتب التي ظهرت خلال فترة ما بين العهدين مثل: طوبيا– يهوديت– حكمة سليمان– حكمة يشوع بن سيراخ– باروخ– المكابيين

2 Josephus, Against Apion, 1,8 (38-41).

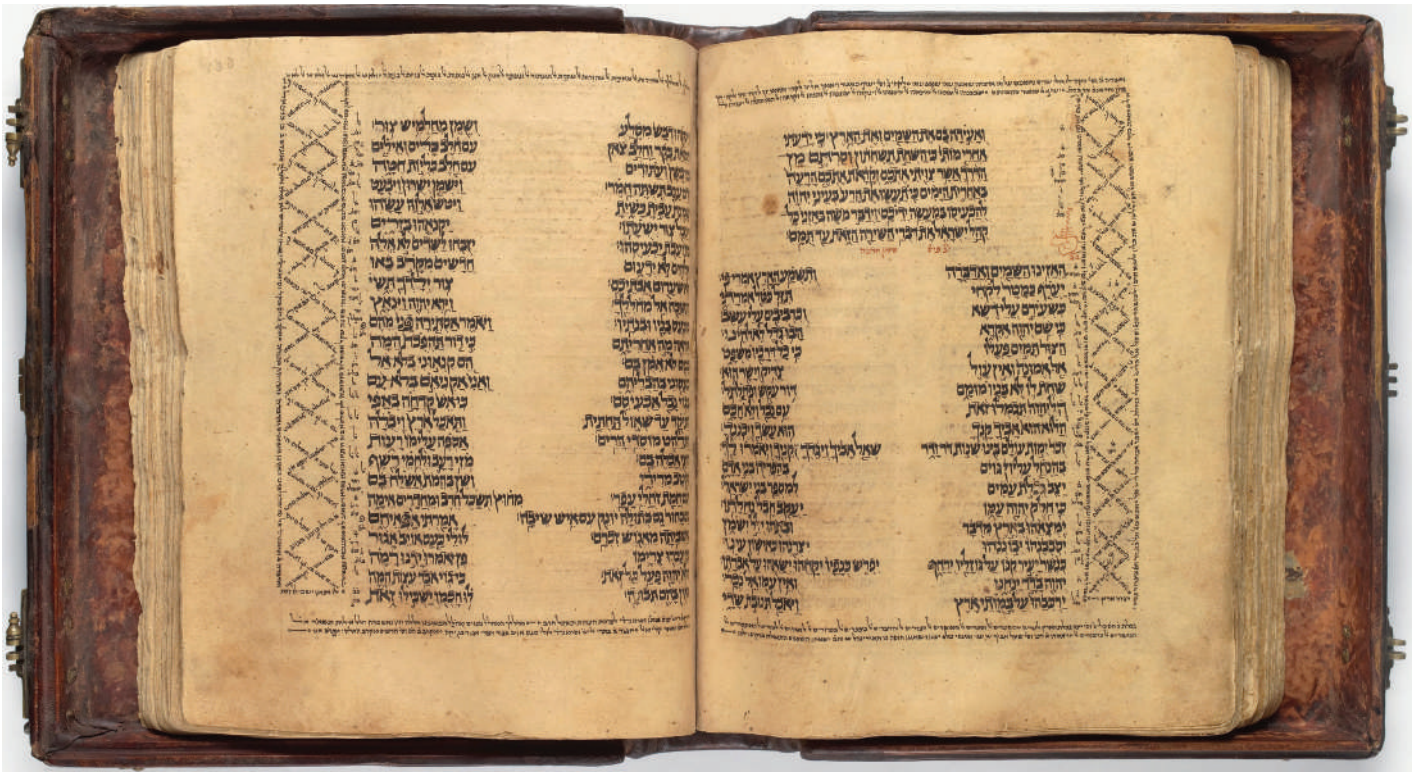

الأول– المكابيين الثاني– تتمة دانيآل– تتمة أستير.

أما القديس جيروم (ق. ٤م) والمشهور بترجمته المعروفة بالفولجاتا للكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية، فعلى الرغم من احتواء ترجمته على بعض أسفار القانونية الثانية، إلا أنه أكد قناعته فقط بقانونية الأسفار العبرية، أما الأسفار القانونية الثانية، والمُترجَمة من اليونانية السبعينية، فقد كان رأي جيروم بشأنها أنها كتابات يمكن قراءتها باعتبارها مفيدة للسلوك في الحياة اليومية، دون أن تُبنَى عليها عقيدة أو تعليم مسيحي، ولا تُعتَبَر أسفارًا قانونية. وهذا هو الرأي الذي تبناه المصلحان لوثر وكلفن فيما بعد.

تطور قانونية أسفار العهد القديم:

- لا شك أن الإيمان اليهودي كان موجودًا بغير سجل مكتوب أي دون أي كتاب لأكثر من ٤٠٠ سنة على الأقل، وهي الفترة ما بين إبراهيم وموسى.
- يُعتَبَر موسى هو أول يهودي يسجل أحداث تعاملات الله مع شعبه، على الرغم من أن الكتابة كانت معروفة جيدًا أيام إبراهيم وفي منطقته (ما بين النهرين) حيث كانت الكتابة المسمارية للحضارة السومارية البابلية معروفة جيدًا.
- كانت أسفار موسى الخمسة أول الكتب التي عُومِلَت ككتب مقدسة جاءت مباشرة من الله ونُسِبَت بكاملها في التقليد إلى موسى، ونعلم كيف كان الملوك الصالحون في مملكة يهوذا يعودون إلى الشريعة (أي كتب موسى). لذا فيعتقد العالم H. E. Rayle أن كتب موسى أصبحت قانونية (بصورة غير رسمية) منذ عام ٤٣٠ ق.م.[٣]

3 11 Herbert Edward Ryle, *The Canon of the Old Testament* (London: Macmillan and Co., 1892). p. 93.

- في عام ٢٠٠ ق. م. هناك دلائل شبه مؤكدة أن أسفار الأنبياء صارت أيضًا تُعامَل ككتابات مقدسة جنبًا إلى جنب مع أسفار موسى حيث كانت تستخدم في التعليم في المجامع.[4]
- ربما مع عام ١٠٠ ق.م. كانت أسفار الكتوبيم، بالإضافة إلى كتب موسى والأنبياء كلها معروفة (وهي جملة الأسفار المعروفة لنا اليوم) والمتعارف عليها ككتابات مقدسة.
- اعتُقِد في فترة ما أن مجمع يامينا (Jamina) والذي عقد عام ٩٠م، هو أول محاولة رسمية من اليهود قادت إلى تقنين الكتابات القانونية. لكن معظم الدراسات الحديثة تنفي ذلك، وترى أن ما حدث في يامينا عام ٩٠م لم يكن مجمعًا مسكونيًا، وأن الحوار في ذلك التجمع لم يتطرق لحسم قضية القانونية، ولكن كان هناك جدل كبير بين مدرستي شمعي وهليل بشأن مدى جواز اعتبار سفري نشيد الأنشاد وأخبار الأيام ضمن الأسفار المقدسة على قدم المساواة مع كتب موسى والأنبياء، الأمر الذي ربما فتح الباب فيما بعد لاعتبار عدد غير قليل من الكتوبيم أسفارًا قانونية مثل أسفار القضاة، راعوث، ١صموئيل، ٢صموئيل، ١ملوك، ٢ملوك...).[5]
- أما أقدم قائمة لدينا لقانونية أسفار العهد القديم فهي تعود لسنة ١٧٠م وذلك في مخطوطة تعود إلى أسقف ساردس، المدعو ميليتو Melito of Sardis ويسجل التاريخ أنه قام برحلة إلى فلسطين لمعرفة الأسفار التي يعتبرها اليهود مقدسة وأقسامها وترتيبها[6]. وقد جاءت قائمة ميليتو متشابهة كثيرًا مع الـ ٣٩ سفرًا التي نؤمن بها الآن، إلا أنه استبعد سفر أستير من قائمته، ولكنه لم يقبل الأسفار التي تعتبرها كنيستنا اليوم أبوكريفا، والتي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية قانونية ثانية.
- واضح أن الكتب الـ ٣٩ هي مختارة من بين قائمة أطول من الكتب الدينية التي كانت معروفة في زمانها والتي ذُكِر بعضها في متن العهد القديم نفسه مثل كتاب حروب الرب (عدد ٢١: ١٤)، سفر ياشر (يشوع ١٠: ١٣)، أعمال سليمان (١ملوك ١١: ٤١)، أسفار أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي (١أخبار الأيام ٢٩: ٢٩)، سفر باروخ (إرميا ٤٥: ١).
- إذًا فالقائمة البروتستانتية للـ ٣٩ كتابًا تتفق في المضمون مع الكتاب العبري، وتتفق في الترتيب مع الفولجاتا، والاحتمال الأكبر أنها هي ذاتها التي كانت تُستَخدَم في العبادة والتعليم أيام المسيح، ولكن لم تظهر قائمة موثقة بتلك الأسفار القانونية إلا في العصر

4 Ibid., p. 113.
5 Bruce, F. F. The Canon of the Scripture. Kjkkj: IVP, 1988, p. 34.
6 See, *The Evangelical Dictionary of Theology* pp. 140 – 141

المسيحي على يد الأسقف ميليتو كما ذكرنا.

- لعل السبب في كون قانونية أسفار العهد القديم جاءت في تاريخٍ متأخِّرٍ يرجع إلى أن الزمن بين كتابات موسى والأسفار التي كتبت بعد السبي البابلي يزيد عن ١٠٠٠ سنة، وخلال هذه الفترة لم يمتنع اليهود بالطبع عن العبادة وقراءة الكتابات المقدسة لكنهم لم ينشغلوا كثيرًا بمسألة القانونية.
- أصبحت فكرة القانونية مهمة في فترة ما بين العهدين؛ إذ تعددت الكتابات الدينية من مجموعات دينية مختلفة مثل مجموعة وادي قمران وغيرها، فكان لا بد من محاولة التفريق بين ما يعتقد أنه نبوة أو وحي من الله، وبين كتابات دينية أخلاقية طيبة لكنها من تأليف البشر.

تطور قانونية أسفار العهد الجديد:

لعله من المفيد أن نقدم خلفية تاريخية سريعة عن أسفار العهد الجديد من حيث أسبقية كتابتها أولًا، ثم تطور الدراية بها والاقتباس منها حتى قبولها في القانونية:

١. رسائل بولس:

يجمع علماء العهد الجديد الآن أن رسائل الرسول بولس هي أول مجموعة أسفار كتبت. فما بين عامي ٤٩م، ٥٨م كان عديد من رسائل بولس قد كُتِبَت بالفعل بل وصارت معروفة بين الكنائس مثل رسائل غلاطية، تسالونيكي الأولى والثانية، كورنثوس الأولى والثانية، ورسالة رومية. أما رسائل السجن (أفسس، فيلبي، كولوسي، فليمون)، والرسائل الرعوية (١، ٢ تيموثاوس، تيطس) فيُرجّح كتابتها فيما بين ٦١-٦٨م. وواضح من ٢بطرس ٣: ١٥ معرفة الكنيسة بكتابات بولس، ودراية الرسل بها: "كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا". كما يتَّضح أيضًا لنا من خارج الكتاب المقدس أن أغناطيوس الأنطاكي (١٠٧-١١٧م) استشهد بمعظم رسائل الرسول بولس. أما بوليكاربوس، أسقف سميرنا (٧٠-١٥٦م) فمن المؤكد أنه كان على دراية برسالتي فيلبي وتسالونيكي. أما

القديس أكليمندس الروماني، أسقف روما، فقد كتب رسالة إلى كورنثوس سنة ٩٥م أبدى معرفته بعديدٍ من رسائل بولس، من خلال إشاراته لها واقتباساته منها.

٢. الأناجيل:

هناك جدل كبير حول تاريخ كتابة الأناجيل وترتيب كتابتها، والرأي يتراوح عادة بين عام ٥٠-٩٠. وأن كان معظم العلماء الآن يقبلون تاريخًا ما بين آواخر الستينات (مع أولوية لإنجيل مرقس) وعام ٩٠ ميلادية لإنجيل يوحنا. ومع إن الأناجيل كُتِبَت غالبًا بعد معظم رسائل بولس، إلا أنها قُبِلَت في القانونية من دون أي جدل، وهذا منطقي بسبب كون الأناجيل معنيَّة بحياة وأعمال وتعاليم السيد المسيح مركز إيماننا. وفيما يلي بعض الملاحظات حول تاريخ كتابة الأناجيل واستخدامها ككتب مقدسة حتى قبل إقرار قانونيتها.

- لم يُشِر الرسول بولس في كتاباته إلى أيٍّ من الأناجيل المكتوبة ممَّا يؤكِّد صحة الاعتقاد بأنها لم تكن قد كُتِبَت بعد، لكن هناك العديد من المواضع في كتاباته تؤكد درايته بتعاليم المسيح، من التقليد الشفهي غالبًا (١كورنثوس ١١: ٢٣-٢٥// متَّى ٢٦: ٢٦-٢٩؛ لوقا ٢٢: ١٧-٢٠؛ ١تسالونيكي ٥: ٢-٦// متَّى ٢٤: ٤٣؛ لوقا ١٢: ٣٩).
- يعتقد معظم العلماء الآن أن مرقس هو أول الأناجيل وعرفه واستخدمه لوقا ومتى.
- البردية P52 تؤكد أن إنجيل يوحنا كان معروفًا في مصر قبل عام ١٥٠م.
- انتشرت في مصر أناجيل الطفولة (وهي غنوصية وغير قانونية)، ويرجع أقدمها إلى القرن الثاني، ومن المؤكد أنها جميعًا كانت على دراية بالأربعة أناجيل القانونية، مما يوضح أن كل الأناجيل القانونية كانت معروفة في مصر ربما من أواخر القرن الأول الميلادي.
- هيرابوليس (مات سنة ١٣٠) عرف إنجيل متى، مرقس، يوحنا. وان كانت شهادته تؤكد أن قانونية هذه الأسفار لم تكن تحددت؛ حيث إنه كان يفضل السؤال المباشر لأتباع المسيح عن التعامل مع الأسفار المكتوبة.
- رسالة إكليمندس (حوالي سنة ١٤٠م) يقتبس فيها الكاتب من الأناجيل على أنها كتب مقدسة، فعندما يقتبس الكاتب من سفر إشعياء ثم يقتبس من متى يقول: "وكتاب مقدس آخر يقول: لم آتِ أدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة" (قارن: ٢ أكليمندس ٤ مع متى ٩: ١٣).
- يتضح من كتابات جاستن مارتير (استشهد ١٦٥م) أنه عرف الأناجيل الأربعة ويشير إليها باسم الذكريات.
- مارسيون الهرطوقي (١٤٠م)، كان على دراية بالأناجيل كلها وعدد من رسائل بولس، وقد قبل إنجيل لوقا بالإضافة إلى ١٠ من رسائل بولس بعد أن حذف منها كل ما يتفق مع العهد القديم، لاعتقاده أن

إله العهد القديم هو أقل من إله العهد الجديد (الآب).

- قائمة موراتواي Mura-tori Canon/Lid تعود كما ذكرنا لسنة ١٧٥م وهي بالطبع ذات قيمة عظيمة لتاريخها المبكر، وقد اكتشفت في ق. ١٨ وهي مكتوبة باللغة اللاتينية ومُتَرجَمة عن اليونانية. لكن المخطوط المُترجَم ليس في حالة جيدة، وربما تكون قد كتبت لتقف ضد مارسيون الهرطوقي، وهي تقر بمعظم أسفار العهد الجديد المعروفة لنا الآن ما عدا: العبرانيين، ويعقوب، ورسالتي بطرس، ورسالة ليوحنا.[٧]
- أول قائمة كاملة تشمل الـ٢٧ سفرًا صدرت سنة ٣٦٧م من القديس أثناسيوس (من آباء كنيسة الإسكندرية ق. ٤م) ويُعَدُّ أحد المدافعين العظماء عن الإيمان، وهي تُعتَبَر وثيقة فردية.
- كان مجمع قرطاج (٣٩٧م)[٨] هو أول مجمع يُقِرُّ قانونية نفس الأسفار الـ٢٧ التي شملتها قائمة القديس أثناسيوس. وشمل إقرار القائمة أمرًا للكنائس بألا يُقرَأ للتعليم من غير هذه الأسفار (مع أن الأمر في الأساس كان أكثر لكنائس قرطاج).

ومن هذا يمكننا ملاحظة التالي:

١. هناك أسفار شهد لقانونيتها أولًا بلا جدال، وهي العشرون سفرًا التالية:

- الأناجيل الأربعة ٤
- رسالة يوحنا الأولى ١
- أعمال الرسل ١
- رسالة بطرس الأولى ١
- رسائل بولس ١٣
- إجمالي (٢٠) سفرًا

٢. هناك أسفار كان عليها جدل للأسباب التالية:

- **العبرانيين:** ترددت الكنيسة الغربية في قبولها بسبب عدم معرفة كاتبها. لكنها قُبِلَت أخيرًا في مجمع قرطاج سنة ٣٩٧م من سائر الآباء الغربيين والشرقيين بسبب مضمونها.
- **رسالة يعقوب:** تردَّدت الكنيسة في قبولها لعدم التأكد من الكاتب، أي يعقوب؟ وربما ساهم التناقض الظاهري مع كتابات بولس في التبرير بالإيمان. وقد قُبلت رسالة يعقوب مع العبرانيين في آخر القرن الرابع ولكن لوثر كان يهاجمها.
- **رسالتا بطرس الثانية ويهوذا:** ترددت الكنيسة في قبولهما نظرًا للتشابه الكبير بينهما لدرجة يصعب معها معرفة الأسبقية التاريخية بينهما، وتفسير سر هذا التشابه. ثم قُبلت الرسالتان في أواخر القرن الرابع أيضًا ولكن لوثر ظل معارضًا لهما![٩]

٧ تنص قائمة موراتوري أن يوحنا كتب رسالتين دون تحديد أيهما، ويظن بعض العلماء أن الرسالة الأولى ليوحنا هي التي سقطت من إقرار قانونيتها، بينما يعتقد البعض أن الرسالة الثالثة هي التي لم يشهد بقانونيتها، كما يعتقد بعض العلماء أن رسائل يوحنا الثلاث ربما كانت مُتَضَمَّنة في الرسالتين المشهود لهما.

٨ قرطاج هي مدينة في تونس الحالية وكان بها أحد المراكز المسيحية المهمة، وهي المنطقة التي كان منها القديس العظيم أوغسطينوس.

٩ فهيم عزيز، **المدخل للعهد الجديد**، ص ١٥٥.

- **رسالتا يوحنا الثانية والثالثة:** كان التردد بسبب عدم اقتباس آباء الكنيسة منهما. لكن قُبِلتا فيما بعد وكان السبب إدراك أن عدم الاقتباس منهما قد يرجع إلى قصرهما.
- **سفر الرؤيا:** ترددت فيه الكنيسة الشرقية خوفًا من أنه يناصر بدعة Chilias (سابقو الألف سنة) والتي تبناها بعض آباء الكنيسة مثل ترتليانوس والتي اعتبرتها الكنيسة آنذاك بدعة، ثم قُبل السفر في القرن الثالث من كل الكنيسة بعد التغلب على هذه البدعة.

خلاصة قصة تطور القانونية من العهد القديم إلى العهد الجديد:

لا بد أن نتذكر أن أيام السيد المسيح ثم الرسل، كان الكتاب المقدس المعروف لشعب الله اليهودي، ثم الكنيسة الوليدة، هو العهد القديم فقط. فما الذي حدث حتى يُضاف ٢٧ سفرًا اصطُلِح على تسميتها العهد الجديد، إلى الكلمة المقدسة؟ لا بد أن نتتبع التطور التاريخي الذي حدث ونرى المنطق وراء هذا التطور.

١. العهد القديم:

مثل سيدها، كان من الطبيعي أن تعتبر الكنيسة العهد القديم هو كتابها المقدس الموحى به من الله؛ حيث نرى الرب يسوع نفسه يستخدمه مرارًا عديدة، سواء في مواجهة تجارب الشيطان (لوقا ٤: ٣-١٣)، أو للإشارة إلى نفسه كالمسيا، ابن داود، وأيضًا في الاقتباس منه عند الدفاع عن أفعاله مثل الشفاء في السبت: "أني أريد رحمة لا ذبيحة" (متى ٩: ١٣) أو في قصر الطلاق على علة الزنا: "أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما..." (متى ١٩: ٤) أو في دفاعه عن بعض أفعال تلاميذه كالأكل بأيد غير مغسولة: "حَسَنًا تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ! كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا" (مرقس ٧: ٥).

٢. التعليم الشفهي للمسيح:

بعد أن عرفت الكنيسة أن يسوع الناصري ليس مجرد أحد المعلمين البارعين ولا مجرد نبي، بل هو كلمة الله المتجسد وابن الله، كان لا بد أن تعامل تعاليمه بصورة مختلفة وأن توضع موازية للكتب المقدسة للعهد القديم بل حتى أسمى منها. وهنا نلاحظ أن حتى العهد القديم، بالنسبة للرسل وأتباعهم أصبح يُقرأ في ضوء الفهم الجديد لماهية المسيح، ولعمله وكذلك في ضوء تعاليم المسيح نفسه.

٣. تعاليم الرسل:

لعل الكنيسة لم تجد حاجة ملحة بعد صعود المسيح مباشرةً لتسجيل تعاليم المسيح، حيث كان التعليم الشفهي لتعاليم المسيح محفوظًا جيدًا وحيث كان تلاميذ المسيح، شهود العيان الذين عايشوه وسمعوا منه مباشرةً، لا يزالون على قيد الحياة. لكن فيما بعد أصبح من الواضح بل والضروري الحاجة لتدوين تعاليم المسيح حتى يمكن أن تغطي التوسع الجغرافي للمسيحية، وحتى يمكن أن تغطي احتياج الأجيال التالية، لا سيما بعد موت شهود العيان.

أصبح واضحًا أن الروح القدس الأزلي قد بدأ حقبةً جيدةً من عمله المتميِّز في

الكنيسة من يوم الخمسين حيث تحققت النبوة "أني أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى" وعليه فقد قبلت الكنيسة سلطانًا خاصًّا للرسل وكان من الواضح أن الكنيسة مؤسّسة على المسيح حجر الزاوية، وأيضًا على تعليم الرسل الذين عايشوا المسيح وأعطوا بالروح القدس فهمًا لإرساء تطبيقات وقرارات مهمة مع بداية حياة الكنيسة وفي مواجهتها لعديدٍ من المشاكل والبدع (يوحنا ١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣، ١٤؛ أفسس ٢: ٢٠).

إذًا فقد أصبح هناك ٣ مصادر للسلطة والإعلان في حياة الكنيسة هي: العهد القديم، وتعاليم المسيح وتعاليم الرسل، إلا أن أعظمهم هو تعاليم المسيح، بمعنى أننا نفهم العهد القديم وتعاليم الرسل الآن في ضوء تعاليم المسيح. وهنا ظهرت الحاجة إلى قبول ما كُتِبَ عن حياة وتعاليم المسيح (الأناجيل)، ثم التعاليم العملية للرسل (باقي أسفار العهد الجديد).

ملحوظات ختامية:

- إن دراستنا لقانونية الأسفار تذكِّرنا بأن كتابنا المقدس لم يكن إقرارًا لكتاب واحد منزل أو موحى به لنبي واحد. لذلك فلا عجب أن إقرار قانونية الأسفار كانت خطوات في تاريخ الكنيسة وليست حادثة واحدة تاريخية.
- هنا رسل المسيح، كتاب العهد الجديد، يعادلون أنبياء العهد القديم (لاحظ السلطان الرسولي أفسس ٢: ١٩-٢٠؛ كولوسي ٤: ١٨؛ ٢بطرس ٣: ١٥، ١٦). لكن أنبياء العهد الجديد والمشار إليهم في سفر الأعمال وكتابات بولس، هم وعاظ ومعلمون، ومفسرون للكلمة المقدسة، بإرشاد الروح القدس وموهبة منه.
- يمكننا التيقن مِنْ أنَّ مَنْ أشرفوا على إقرار القانونية كانت لديهم قناعة، أن ليس من حقهم إضافة أو حذف شيء من كلمة الله الموحى بها، وهذا يطمئن الكنيسة إلى صحة وصدق ما لديها (رؤيا ٢٢: ١٨-١٩// تثنية ١٢: ٣٢).

خلاصة:

إن تحديد الأسفار القانونية، التي يمكن أن تُستَخدَم في العبادة وتعليم شعب الرب، مرَّت خلال رحلة طويلةٍ تراكمية، شهدت عمل الروح القدس وإرشاده لقادة الكنيسة وآبائها الذين استخدموا فكرهم ودراستهم، وضميرهم، لاتخاذ قرارات مصيرية في التمييز بين ما هو موحى به من الله وما هو نتاج فكر البشر فقط. إن هذه العملية الصعبة، هي شهادة رائعة، مكملة لما حدث في الوحي، وما يجب أن يحدث في التفسير الصحيح للكلمة المقدسة، وكذلك في الوعظ والتعليم المؤثرين والمثمرين، من تضافر عمل الروح القدس مع وفي الإنسان. لقد كانت مسرة الله أن يعمل أعماله العظيمة من خلال الإنسان وبالإنسان، وإقرار القانونية هي أحد أعظم هذه الأمثلة.

قانونية

العهد القديم

في اللاهوت المسيحي، تشير كلمة قانونية الكتاب المقدس إلى قائمة الكتب المقدسة التي تعمل كقاعدة أو معيار للإيمان والحياة المسيحية. وبحلول نهاية القرن الرابع الميلادي، اجتمعا عنصرا المفهوم المسيحي لـ"القانونية" معًا: القانونية كقاعدة أو معيار للإيمان والحياة المسيحية، والقانونية كقائمة الكتب المقدسة لدى المسيحيين. تتفق الطوائف المسيحية على القانونية الأساسية التي تشمل الـ٣٩ سفرًا إلا أن الكنائس التقليدية أضافت بعض الأسفار في مرحلة لاحقة والتي اعتبرتها قانونية ثانية.

د.ق. مجدي صديق

يقول الدكتور كتناشو: "إن اختيارات جماعة الإيمان وتفسيرها المصاغة في صورة النص النهائية هي الإطار اللاهوتي لاكتشاف الله وإرادته لأي إنسان ينتمي إلي جماعة الإيمان". وقد قبلت الكنيسة الإنجيلية ما يُسمَّى بالقانونية الصغرى والموجودة في ترجمة فانديك إلا أن الكنائس التقليدية قبلت ما يعرف عندها بالقانونية الكبرى والتي تحتوي الأسفار القانونية الثانية أو ما يسميها الإنجيليون بأسفار الأبوكريفا".

وقد أجمع علماء الدراسات الكتابية على أن كلمة "قانونية" مُشتَقَّة من كلمة يونانية تعني مسطرة للقياس أو عصا مستقيمة. ثم استُخدِم هذا التعبير للدلالة على قائمة الأسفار المقدسة أو الموحى بها سواء للعهد القديم أو العهد الجديد منذ أن استخدمها القديس أثناسيوس سنة ٣٦٧م، كتعبيرٍ عن الأسفار التي تقبلها الكنيسة أسفارًا موحى بها. وبالتالي فالأسفار القانونية هي الأسفار التي قبلتها الكنيسة كأسفار موحى بها تمييزًا لها عن بعض الكتب التي كانت موجودة آنذاك والتي اعتبرها البعض كتبًا مقدسة، مثل التلمود وغيرها من الكتابات اليهودية أو كتابات آباء الكنيسة الأولين. وبالتالي عندما يقال بأن هذ السفر قانوني؛ يعني أنه من ضمن القائمة القانونية للأسفار المقدسة والموحى بها من الله. ويجب أن نذكر بأن ظهور المسيحية كان عاملًا مساعدًا في تحديد الأسفار القانونية اليهودية خوفًا من جذب المسيحية للكثير من اليهود وتحولهم إلى المسيحية.

شكل القانونية في الوقت المعاصر

في التقليد اليهودي المعاصر، فالأسفار القانونية هي ما يُسمَّى بالتناخ، وهي اختصار للأقسام العبرية لما يسميه المسيحيون بالعهد القديم. وكلمة تناخ هي اختصار للحروف الأولى للتوراة والأنبياء والكتب. وقد ذكر هذا التعبير يشوع بن سيراخ وحفيده في القرن الثاني قبل الميلاد. أما بقية الترجمات للعهد القديم فهي تتبع الترجمة السبعينية والتي قسمت أسفار العهد القديم إلى تسعة وثلاثين سفرًا كما هو واضح في ترجمة فانديك. عند الكنائس التقليدية أضافوا بعض الأسفار في مرحلة لاحقة وسُمِّيت بالأسفار القانونية الثانية ليس لأنها أقل ولكن لأنها أضيفت في مرحلة ثانية.

مخطوطات البحر الميت

مراحل تطور القانونية للعهد القديم

يقول بعضٌ إن أسفار موسى الخمسة أو التوراة قُبِلَت على أنها أسفار قانونية أيام عزرا ونحميا. ثم حدث الانفصال بين اليهود والسامريين والذين اعترفوا بأسفار موسى الخمسة فقط دون بقية أسفار العهد القديم. ويقبل معظم الباحثين بأن أسفار الأنبياء قُبِلت أسفارًا قانونيةً ربما في القرن الثاني قبل الميلاد. أما الكتب وهي الجزء الثالث من القانونية العبرية فقد قُبِلَت ربما في القرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول المسيحي.

مع ظهور المسيحية واستخدام المسيحيين للتناخ (العهد القديم) تخوف يهود فلسطين وعقدوا مجمع جامنيا (حوالي سنة ٩٠م هو مجمع غير معروف عنه كل التفاصيل) وقبلوا فقط أسفار تكوين إلى ملاخي ورفضوا أي كتابات أخرى من طوبيا إلى مكابيين.

قانونية العهد القديم مع ظهور المسيحية

١. الترجمة السبعينية

تمت هذه الترجمة في الإسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد وهي ترجمة العهد القديم (التناخ) من اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية حتى يتمكن يهود الشتات من قراءة العهد القديم. وقد شملت الترجمة اليونانية على أسفار الأبوكريفا. ويجب أن نعترف بأن معظم اقتباسات كتاب العهد الجديد من العهد القديم هي من الترجمة السبعينية. وتختلف الترجمة السبعينية عن النص العبري في أسماء بعض الأسفار وترتيب بعض الأسفار. ويجب أن نذكر بأن هناك اختلافات في بعض التراجم اليونانية. يقول هارنجتون إن الأدلة على أقدم المخطوطات الكاملة للسبعينية مختلطة بشكل مدهش. مخطوطة سيناء (٤ج) تحتوي على طوبيا ويهوديت والمكابيين الأول والرابع والحكمة وسيراخ... الفاتيكان (٤ج): لا تحتوي على المكابيين، الإسكندرية (٥ج): مزامير سليمان. وهكذا تشير المخطوطات المسيحية المبكرة للكتاب المقدس اليوناني والأدلة الآبائية المبكرة إلى وجود بعض السيولة فيما يتعلق بوضع الكتب "الثانوية".

٢. القرون الأولى المسيحية

في القرن الأول الميلادي استمر النقاش في الأوساط اليهودية بين الفريسيين والصدوقيين عن الأسفار المقدسة القانونية حتى وسط القرن الثاني الميلادي إلى أن وصلوا إلى قبول الأسفار تكوين – ملاخي. وفي أواخر القرن الثاني الميلادي قبل ميليتس، أسقف ساردس معظم الأسفار إلا أنه رفض سفر أستير. ثم جاء أوريجانوس في القرن الثالث وقبل القائمة اليهودية بعد ضم بعض الأسفار معًا مثل سفري صموئيل والملوك. وقبل أثناسيوس القانونية مضافًا لها بعض الأسفار الأخرى مثل طوبيا ويهوديت ويشوع بن سيراخ.

٣. جيروم والفولجاتا

ترجم جيروم العهد القديم من النص العبري في أواخر القرن الرابع الميلادي إلى اللغة اللاتينية التي كانت لغة الشعب البسيطة آنذاك. وفي البداية لم تشمل الفولجاتا أي أسفار غير قانونية إلا أن الكنيسة أضافت لاحقًا الأسفار غير القانونية. ويجب أن نذكر أن جيروم هو أول من أطلق على الكتب القانونية الثانية اسم الأبوكريفا؛ فقد اقتبس منها وأشاد بمحتواها الأخلاقي لكنه لم يعتبرها جزءًا من القانونية وجادل بأنها لا يجوز استخدامها لتأسيس العقيدة.

٤. آباء الكنيسة

استشهد عديدٌ من آباء الكنيسة -أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤)، وأثناسيوس (٣٦٧)- بالأبوكريفا. في الغرب اللاتيني يبدو أن وضع هذه الكتب داخل قانونية الكتاب المقدس كان ثابتًا منذ ترتليان (أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث) فصاعدًا. كما قبلها أوغسطينوس (توفي عام ٤٣٠) باعتبارها قانونيةً، مما يعكس ما أصبح الإجماع العام في الغرب وفي أجزاء كبيرة من الشرق. وظل هذا الوضع قائمًا حتى وقت الإصلاح. بشكل عام، تم قبول القانونية الأكبر. ولكن يبدو أنها لم تحدث فرقًا عقائديًّا. في الواقع، أصبح من المعتاد تضمين بعض الأعمال التي لا تعتبر قانونية على الإطلاق في الكتاب المقدس اللاتيني مثل صلاة منسى وعزرا ٣-٤.

٥. الإصلاح وما بعده

تبنَّى المصلحون مبدأ "سولا سكريبتورا" والتي تعني الكتاب المقدس وحده. وأثار المصلحون من جديد ما الذي يشكل الكتاب المقدس واستبعد لوثر أسفار الأبوكريفا من القانونية، إلا انه ترجَمَها واعتبرها مفيدةً. كذلك في قانون إيمان ويسمنستر استُبعِدَت الأبوكريفا تمامًا.

وكردٍّ فعل لحركة الإصلاح، قامت الكنيسة الكاثوليكية في مجمع ترنت سنة ١٥٤٦ باعتبار الترجمة اللاتينية "الفولجاتا" هي الكتاب المقدس للكنيسة الكاثوليكية المعصوم للإيمان والأعمال من دون أن ترفض الترجمة السبعينية أو النص العبري الأصلي للعهد القديم.

بعد الإصلاح بدأت في الظهور ترجمة تنديل سنة ١٥٢٩ باللغة الإنجليزية للعهد القديم وهذه الترجمة مأخوذة من النص العبري للعهد القديم. ثم بعد ذلك توالت ترجمات الكتاب المقدس كله بعهديه القديم والجديد. وأخيرًا ظهرت الترجمة العربية التي بين أيدينا والمعروفة بترجمة فانديك- سميث- بطرس البستاني. ويجب أن نذكر بأن دار الكتاب المقدس توقَّفت تمامًا عن إصدار أسفار الأبوكريفا ضمن أسفار الكتاب المقدس من القرن التاسع عشر في كل الترجمات التي تصدرها دار الكتاب المقدس.

اتفقت كل الطوائف المسيحية على الأسفار القانونية الأساسية والتي تحتوي على العقائد الإيمانية الأساسية للإيمان المسيحي.

ما علاقة العهد القديم بالعهد الجديد؟

المصلح جان كلفن أنموذجًا

ق. سهيل سعود

آمن المصلح جان كلفن، أنّ العلاقة التي تأسّست بين الله وشعبه، إن كان في العهد القديم أو العهد الجديد، هي علاقة عهدية. قال: "العلاقة العهدية، هي الأمر الأساسي الذي احتفل به الأنبياء. وهذه العلاقة العهدية، تدعو إلى الأخذ بعين الاعتبار الكنيسة المتجدّدة؛ لأنّ الرب عرّف بشهاداته لمفديِّيه، وربط شعبه الذي اشتراه لنفسه من خلال عهد جديد". فسَّر كلفن مصطلح "عهد"، على أنه يشير إلى نزول الله في وسط شعبه، كي يربط نفسه بشعبه ويربط شعبه به. ووجد أنَّ نبوءة النبي إرميا (إرميا ٣١: ٣١-٣٣)، هي من أهم النصوص الكتابية التي تتكلّم عن نوعية العهد الذي أراد الله أن يقيمه مع شعبه.

قال كلفن: "إن قول الله: "وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (إرميا ٣١: ٣٣)، يعبِّر عن مضمون وجوهر عهد الله مع شعبه". توقَّف أيضًا عند قول النبي إشعياء: "وَكُلَّ بَنِيكِ تَلاَمِيذَ الرَّبِّ، وَسَلاَمَ بَنِيكِ كَثِيرًا" (إشعياء ٥٤: ١٣). معلِّقًا بالقول: "الوعد هو أن يكون كل الناس أبناء وبناء الله. لقد وجَّه هذا الوعد إلى الجميع دون تمييز، ولكن فقط المختارون هم الذي يأتون الى المسيح، لأنهم عُلِّموا من قبل الله".

تحدَّث كلفن عن عهد زواج بين الله وشعبه في العهد القديم، وعن عهد زواج بين المسيح والكنيسة في العهد الجديد. لتوضيح فكرة العهد كزواج مع شعبه في العهد القديم، اقتبس قول الله في سفر حزقيال: "وَلكِنِّي أَذْكُرُ عَهْدِي مَعَكِ فِي أَيَّامِ صِبَاكِ، وَأُقِيمُ لَكِ عَهْدًا أَبَدِيًّا. فَتَتَذَكَّرِينَ طُرُقَكِ وَتَخْجَلِينَ إِذْ تَقْبَلِينَ أَخَوَاتِكِ الْكِبَرَ وَالصِّغَرَ، وَأَجْعَلُهُنَّ لَكِ بَنَاتٍ، وَلكِنْ لاَ بِعَهْدِكِ. وَأَنَا أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ" (حزقيال١٦: ٦٠-٦٢). ولتوضيح فكرة زواج المسيح مع كنيسته في العهد الجديد، يقتبس كلفن كلمات الرسول بولس لأعضاء كنيسة أفسس: "أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ" (أفسس ٥: ٢٥-٢٧). علَّق قائلًا: "عهد الزواج هذا هو علاقة محبة. والمحبة هي رسالة العهد الكبرى".

عقيدة العهد موضوعٌ بارزٌ في الكتاب المقدَّس

وجد كلفن، أنّ عقيدة العهد موضوع بارز في الكتاب المقدّس. فالعهد موجود من بداية التاريخ الخلاصي وحتى نهايته. لدى تفسيره الإصحاحات الأولى من سفر التكوين، قال كلفن: "يرجع العهد بين الله وشعبه في التاريخ أبعد بكثير من العهد مع موسى. إنه يرجع إلى آدم الذي ابتدأ الله عهد النعمة معه بعد سقوطه في الخطية، فقال الله للحيّة: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥). وبالتالي، فقد أعطى الله لآدم الوعد الأول بالخلاص حين قال: "نسل المرأة أي المسيح، يسحق رأس الحيّة. وتدريجيًّا، صار هذا العهد يعلن للآباء حتى تحقَّق واكتمل في يسوع المسيح". اعتقد كلفن أنه في زمن العهد القديم، كانت الكنيسة في مرحلة الطفولة في مرحلة عدم النضج، لهذا كانت تتطلَّب تعليماتٍ واضحةً وبسيطةً. قال: "وجدت الكنيسة نفسها، بين قدّيسي العهد القديم، لكنها كانت في مرحلة الطفولة. وحتى يحافظ عليها، أعطاها الله مواعيد مرئية باكرة، عندما تبنّى إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونسلهم. وقد وعدهم بإعطائهم أرض كنعان ليرثوها. لكن لم يكن هذا الأمر غاية رجائهم. بل كان هدف الله، أن يدرّبهم ويثبّتهم فيما كانوا يتطلّعون ويتأمّلون في رجاء إرثهم الحقيقي الذي لم يظهر لهم بعد، لأنّ وعدًا إلهيًّا أعظم أعطي لهم. لهذا، لم تكن الأرض الفائدة الكبرى التي وعد بها الله شعبه". وقال كلفن: "لم

يسمح الله لإبراهيم، أن يجلس مكتوف الأيدي، عندما استلم الأرض، لأن فكره ارتفع إلى الرب إلى وعد إلهيّ أعظم". آمن كلفن أنّ المواعيد الروحية، كانت موجودة في جوهر العهد الأساسي الذي صنعه الله مع الآباء. فامتلاك الأرض كان مرآة، استطاع الآباء من خلالها النظر إلى الإرث المستقبلي المعدّ لهم في السماء.

أوجه الشبه والفروقات بين العهد القديم والعهد الجديد

حتى يؤسّس كلفن وحدة العهد مع شعبه في العهدين القديم والجديد وفي كل العصور، فإنه عَنْوَنَ الفصل العاشر من الجزء الثاني من كتابه "أسس الدين المسيحي"، بعنوان "أوجه الشبه والفروقات بين العهد القديم والعهد الجديد". ذكر كلفن قائلًا: "لأن كل القديسين الذين يذكرهم الكتاب المقدس، الذين اختارهم الله منذ بدء العالم، قد شاركوا معنا بنفس بركات الحياة الأبدية والخلاص. لذا، فإنّ الفروقات في إعلانات الله بين العهدين:

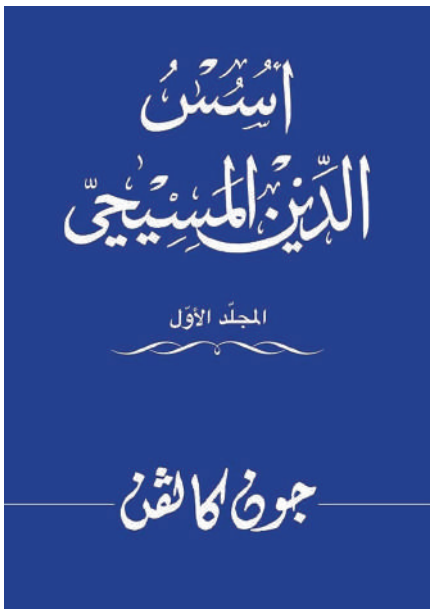

القديم والجديد، لا تنقص من وحدة الكتاب المقدس". أظهر كلفن في مقارنته بين العهدين، ارتكازهما على شخص يسوع المسيح، قال: "بهذه الطريقة، لن يكون هناك ما يُعيق وعود العهد القديم والعهد الجديد، من أن تبقى نفسها تنحدر من نفس المصدر الأساسي الذي هو يسوع المسيح". اقتبس كلفن قول المسيح لليهود في إنجيل يوحنا: "أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى وَفَرِحَ" (يوحنا ٨: ٥٦). كما اقتبس قول كاتب الرسالة الى العبرانيين: "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عبرانيين١٣: ٨).

تكلّم كلفن عن سمات خاصة في العهد القديم، واستخدم مصطلحات خاصة، مثل صور، رموز، علامات، ظلال، مرآة، وغيرها من التعابير التي اعتبرها مقدِّمةً وانعكاسًا للبركات الروحية والسماوية التي تحقّقت في العهد الجديد. رأى كلفن، بأنّ أنبياء العهد القديم تكلّموا في معظم الأحيان عن بركات العصر القادم، من خلال رموز وصور أوحى بها الله لهم. مثلًا، توقّف عند قول النبي إشعياء: "اِسْتَيْقِظِي، اسْتَيْقِظِي! الْبَسِي عِزَّكِ يَا صِهْيَوْنُ! الْبَسِي ثِيَابَ جَمَالِكِ يَا أُورُشَلِيمُ، الْمَدِينَةُ الْمُقَدَّسَةُ" (إشعياء ٥٢: ١). كما توقّف عند قوله: "حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ، لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ... وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِمًا. نَهَارًا وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ... مَجْدُ لُبْنَانَ إِلَيْكِ يَأْتِي. السَّرْوُ وَالسِّنْدِيَانُ وَالشَّرْبِينُ مَعًا لِزِينَةِ مَكَانِ مَقْدِسِي" (إشعياء٦٠: ٥، ١١، ١٣). علَّق قائلا: "نقرأ أنّ أورشليم سوف تمتلئ وتفيض بكل أنواع الغنى. وصهيون سوف تفيض بكثير من الأمور".

اعتقد كلفن أنّ هذه الأمور

المشار إليها في هذه المراجع، لا يمكن تطبيقها ولا حتى على أورشليم الأرضية، لأننا نعيش كسائحين روحيين في هذه الحياة وأرضنا الحقيقية هي أورشليم المدينة السماوية، حيث وعدنا الله هناك بالحياة والبركات الى الأبد. يؤكد كلفن مرارًا الحاجة الى هذا النوع من الصور والرموز، لأنه يعتبرها من سمات طفولة الكنيسة. آمن كلفن، أنّ إعلانات الله تتقدّم تدريجيًّا من خلال العهود المتعددة التي أقامها الله مع شعبه، بعد أن ابتدأ عهده الأول مع آدم عند قوله للحيّة، بأنّ نسل المرأة سيسحق رأس الحيّة (تكوين ٣: ١٥). علّق كلفن قائلًا: "هذا الإعلان كان الشرارة الأولى الضعيفة. فالإعلان الإلهي يسير بشكل منتظم في إدارة الله لعهد رحمته. وكلما تقدّمت العهود في التاريخ، كلما زاد إشراقها ولمعانها إلى أن اكتملت اشراقًا في نور شمس المسيح، شمس البر الذي أنار كل الأرض، كما تنبّأ النبي ملاخي: " وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا" (ملاخي ٤: ٢). يسرع كلفن ليؤكّد أنّ إعلانات الله التي ظهرت تدريجيًّا في التاريخ في العهود اللاحقة، لا تجعل من العهود السابقة فارغة لا قيمة لها. قال: "كلّ العهود التي دخل فيها الله مع الآباء كانت ثابتة وأبدية، لكن تأكّدت وتثبّتت وتبرهنت كل العهود في يسوع المسيح". أعلن كلفن قائلًا: "تأسّس العهد القديم على نعمة الله الحرة، وتثبّت بشفاعة يسوع المسيح، لأن الوعظ بالإنجيل لا يعلن شيئًا آخر سوى أنّ الخطاة يتبررون بالإيمان وليس باستحقاقاتهم من خلال لطف أبوّة الله. وهذا كلّه يُلخّص في شخص المسيح".

فروقات رئيسية بين العهد القديم والعهد الجديد

وجد كلفن خمسة فروقات رئيسية بين العهد القديم والعهد الجديد: الأول، يتضمَّن العهد القديم منافع أرضية وجسدية مؤقّتة، هي مرآة تعكس البركات الروحية والسماوية والأبدية التي نراها واضحة في العهد الجديد. الثاني، يتضمّن العهد القديم فقط صور وظلال الحقيقة الغائبة، بينما العهد الجديد يعلن جوهر الحقيقة الحاضرة. الثالث، يشير الناموس الموسوي إلى ما هو صواب وخطأ، كدليل للإنسان ليوجّهه إلى ما هو للخير ويمنعه من الشر، لكنّ الناموس الموسوي لا يستطيع إصلاح فساد قلب الإنسان الذي سببته الخطية، لهذا هو بحاجة لنعمة المسيح. الرابع، شريعة العهد القديم هي حرفية نقشت على لوحي حجر، أما ناموس المسيح في العهد الجديد، فهو روحي نُقِش على قلوبنا بواسطة الروح القدس المعطى لنا" (٢كورنثوس ٣: ٣). وبالتالي، استنتج كلفن أنّ العهد القديم هو عهد عبودية، بينما العهد الجديد هو عهد حرية من خلال الإنجيل. الخامس، صنع العهد القديم مع شعب واحد هم اليهود، لكن صنع العهد الجديد مع الكنيسة الجامعة التي تضمّ كل المؤمنين والمؤمنات بالمسيح من اليهود والأمم. قال كلفن: "في الأيام الماضية وضع الله عهده في حضن إسرائيل. وقد

اختبر الإسرائيليون امتيازات حضور الله معهم. لكن في ملء الزمان، عندما تجسّد المسيح في عالمنا، فقد تصالح اليهود والأمم مع الله، واندمجوا في شعب واحد بدم وروح يسوع المسيح".

أصرّ كلفن على أنه يجب أن يقرأ كلَّ الكتاب المقدّس كوحدة متكاملة، بالرغم من وجود فروقات هامة بين العهد القديم والعهد الجديد. اعتقد أنّ مشكلة إسرائيليّي العهد القديم، أنهم لم يستطيعوا أن يحقّقوا كامل شروط الشريعة الموسوية، لهذا، كانت طاعتهم طاعة عبودية، وثمار قلوب مرائية. رأى أنَّ القصاصات الجسدية التي تحمّلها الإسرائيليون المتمرّدون، كانت مؤشرًا على الموت الروحي والعقاب الأبدي الذي كان ينتظر عدم التائبين. "لكنّ العهد الجديد، يجلب معه القوة والرغبة التي يطلبها منا الله لتحقيق متطلّبات الشريعة من خلال الروح القدس". رأى كلفن أنّ العهد الجديد، هو فعّال في تحقيق هدفه، من خلال القوة المجدِّدة التي يمنحها الله لأولاده بالروح القدس. قال: "لو لم يضف التجدّد بالروح القدس على مجيء المسيح، لما كان مجيئه كافيًا. فالجديد في العهد الجديد، هو أنّ الله جدّد الإنسان المؤمن بروحه القدوس. وهذا ما يجعل من مجيء المسيح ليس فقط عقيدة تصيب الأذن، لكنها تخترق القلب، وتشكّلنا لكي نخدم الله".

لم يؤمن كلفن أن الشريعة هي عهد شرائعي تغيب عنه النعمة أو الرحمة، أو أي إشارة إلى الإنجيل. اعتقد أنّ الشريعة هي دليل لأعضاء العهد لتقود حياتهم وتصرّفاتهم في شؤونهم اليومية داخل جماعة إسرائيل. عبّر عن هذه الفكرة في أثناء تفسيره استلام النبي موسى للوصايا العشر في الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج. مما ذكره: "يعلّمنا هذا الفصل، بأيّ وسيلة جعل الله الشعب متنبّهًا وقابلًا للتعلّم. لقد أعطى الله قبلًا قانون الحياة التقيّة والبارة، لكن بكتابة الشريعة على لوحي حجر، فإنه لم يحتضن فقط العقيدة الكاملة

للتقوى والبرّ، بل أثّبت صحّتها بطقسٍ سام، كيما يبقى الإنسان التقيّ مدركًا لها، ويزدهر في الأزمنة المستقبلية".

وفي تفسيره لقول كاتب اللاويين: "فَتَحْفَظُونَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، الَّتِي إِذَا فَعَلَهَا الإِنْسَانُ يَحْيَا بِهَا" (لاويين ١٨: ٥). يؤكّد كلفن أنّ عبارة، "إذا ما فعلها الإنسان يحيا بها"، تحمل معنى خلاصيًّا. يقول: "وبالنهاية، يَعِد الله بأن يقيم الشعب الإسرائيلي من كسلهم. وإذا ما أطاعوا شريعته سوف يكافئهم. لهذا يجب أن نتذكّر قول المسيح: "كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا، مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا

إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا" (لوقا ١٧: ١٠). آمن كلفن، أنّ طاعة الشريعة يجب أن تكون ثمرة القلب الشاكر، من أجل البركات الروحية والمادية التي يمنحها الله. لهذا، فالشعب العهدي، يجب أن يكون مدفوعًا إلى الطاعة الصادقة والأمانة العهدية والتطابق مع الشريعة التي تفيض من قلب شاكر. لهذا، كان على أفراد الشعب الإسرائيلي، أن ينتبهوا كثيرًا، لئلّا يتسلّل النسيان إلى حياتهم ويسرقهم الغرق في البهجة والسعادة. فإنكار الجميل ما هو إلّا احتقار لشريعة الله.

آمن كلفن أن شريعة الوصايا العشر، ليست مؤقّتة في مهمتها، بل دائمة لأنها ترينا ما هو صالح. لهذا، يجب أن تستمر الوصايا العشر إلى نهاية العالم. قال: "إنّ الشريعة التي تعهّد فيها الله مع شعبه منذ بداية العالم، هي نفس الشريعة التي تحكم شعب الله، في كلّ عصور التاريخ الخلاصي. فالشريعة التي سار بموجبها شعب العهد القديم، كانت مجرّد ظلّ للإنجيل. لكنّ الإنجيل زوّدنا بوضوح أكبر، ومنح مادة، لم يُشَر إليها في الأزمنة السالفة. فالإنجيل لم يحلّ محلّ الشريعة، لكنه جلب وسيلة مختلفة للخلاص".

الشريعة الموسوية، تتضمن عهدًا شرائعيًا، وعهد الإنجيل

رأى كلفن في الشريعة الموسوية، عهدين مختلفين: عهد شرائعي، وعهد الإنجيل. فالشريعة تتضمّن: وعودًا وتهديدات. فهناك الوعد، الذي يقول فيه الله: "الذي يفعل هذه الأمور، يحيا بها". وهناك التهديد، الذي يعلن: "ملعون هو الذي لا يحقّق ما هو مكتوب هنا". رأى كلفن أنّ العلاقة بين العهدين متضادة، لأنّ الجانب الشرائعي من العهد، يعمل على تشجيع ما هو صالح، ومنع ما هو شرّ. وهكذا، يعد بالمكافاة للذين يحفظون البرّ، ويهدّد المتعدّين بالعقاب. أيضًا رأى في العهد، الوعد بالحياة الأبدية، التي يمكن أن تنالها إسرائيل بالطاعة. لكن بسبب خطاياها، فإن إسرائيل غير قادرة، أن تحقّق متطلّبات العهد الموسوي. لكن المسيح وحده، قادر أن يفعل ذلك. بهذا المعنى، اعتقد كلفن، أنّ العهدين المختلفين: العهد الشرائعي، وعهد الإنجيل، ينشران وعد الخلاص. الأول، من خلال الطاعة. والثاني، من خلال الإيمان بالمسيح.

يخصّص كلفن فصلًا كاملًا لشرح وجهة نظره حول كيفية استخدام الشريعة الموسوية في عهد النعمة. من الأمور التي يذكرها:

أولًا، إنّ دور الشريعة هو للإعلان عن حقيقة من هو الإنسان. شبَّه كلفن الشريعة بالمرآة التي تشير إلى خطيئة الإنسان، وتكشفه على حقيقته، وتبكّت ضميره، وتعرّضه للدينونة. قال كلفن: "عملت الشريعة على تذكير الإسرائيليين باستمرار بمن كانوا، كما عملت على تحذيرهم من عدم الأمانة لشروط العهد. لأنه نادرًا ما تجد، ربما شخصًا من مئة، الذي شبعه الدائم لمباهج الحياة لا يولّد لديه الاستعداد لعيش حياة الرخاء والبطر".

ثانيًا، إنّ دور الشريعة هو مراقبة وتقييد الشرّ في الإنسان. قال كلفن: "إنّ المهمة الثانية للشريعة هي أنه بسبب الخوف من القصاص والدينونة، فإنها تقيِّد تصرفات الناس الذين لا اهتمام لديهم بما هو حق وعادل. لأنهم، إن لم يشعروا أنهم مجبرون عند سماعهم تهديدات الشريعة القاسية، فإنهم لن يراقبوا تصرفاتهم وسلوكهم". وأضاف: "عملت الشريعة أيضًا، على ضبط ميل إسرائيل الطبيعي إلى الخطية، من خلال الدينونات واللعنات والعقابات التي تضمّنتها الشريعة. وهذا التقييد لضبط الميول الخاطئة، كان له أهميته، لا سيما عندما يزيد غنى أفراد الشعب ويبطرون. لهذا كان من الضروري أن يوضع للشعب مؤدِّبًا يقيِّدهم في عنادهم، لكي يضبطوا في ازدهارهم... لأنّ الرخاء يسكرنا جميعا دون مقياس، لازدياد الفجور ضد الله، فننسى أنفسنا وإياه".

ثالثًا، تحفظ الشريعة المؤمنين الحقيقيين، الذين يسكن فيهم روح الله القدوس،

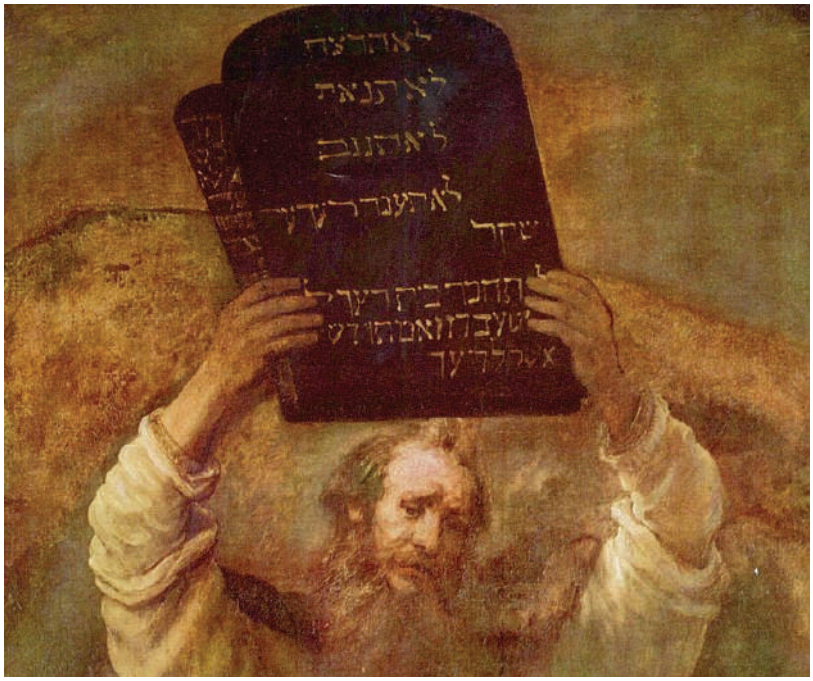

وتجعل دعوة الله مؤثّرة فيهم. كما أنها تعلّمهم الطريق المستقيم التي يجب أن يسيروا فيها كأعضاء في العهد، كونها تعمل معلّمًا وموجِّهًا. قال كلفن: "إنّ الاستخدام الثالث، يتعلّق بالهدف المناسب للشريعة. فالشريعة تجد مكانها بين المؤمنين الذين يسكن في قلوبهم روح الله ويملك مسبقًا. فمع أنّ الشريعة نُقِشت وكُتِبت على قلوبهم بأصبع الله، أي أنهم تأثّروا من خلال توجيه الروح الذي يتوقون لطاعته، فإنهم سوف يستفيدون منها".

آمن كلفن أنّ جوهر العهد الموسوي هو يسوع المسيح، لكن الشكل هو شرائعي. آمن، أنّ هناك عهد نعمة واحدًا، والمتطلبات المطلوبة للتبرير والخلاص هي نفسها في كلّ تاريخ الخلاص. إنه الإيمان في وعود الله الخلاصية في يسوع المسيح، دون أي استحقاقات بشرية. آمن كلفن، أنّ العهد الموسوي كان بالأصل بمبادرة إلهية، وبإهمال كامل للاستحقاق البشري. كتب قائلًا: "إنّ العهد الذي من خلاله، ربط اليهود الذين هم تحت الشريعة بالله، قد دعم ليس من خلال استحقاقهم الشخصي، وإنما بواسطة نعمة الله". في ملاحظاته حول الفصل الرابع من سفر التثنية، ذكر كلفن: "بعد أن

أصيب الشعب وتأذى باللعنات، وعدهم الله أنهم إذا ما طلبوه، سيجدونه، وسيمنحهم أساسًا صلبًا للرجاء، وسيرحمهم ويغفر لهم، لأنه رحوم بطبيعته، ولأنه قد تبنّاهم في عهد أبدي". يذكر اللاهوتي جايمس فينينغا: "منذ عهد إبراهيم، فقد سلّم العهد إلى كلّ جيل، ليس لسبب استحقاق ما من جهة الشعب، لكن لأنّ الله كان أمينًا لمواعيده... ولأنّ الله أمال عقولهم وقلوبهم إليه لكي يؤسّس عقيدة شريعته. لهذا، فإنَّ دور الله الفاعل، لا ينحصر فقط بخلق العهد، وتأسيس مقاييسه، ودعوة الإسرائيليين إلى علاقة كهذه، لكنّ الله أيضًا مسؤولٌ عن تغيير شعبه ودعوتهم للتوبة، لكي يتمكّنوا من قبول مكانتهم الجديدة. لهذا، يبقى العهد خلال كلّ تاريخه لا ينقض، رغم خطية الشعب".

رأى كلفن أنّ شريعة الوصايا العشر، كتبت على ألواح حجرية وأعطيت للشعب العبري، لكي لا ينسوها فيما بعد، كما فعلوا مع العهد الإبراهيمي، بل يحفظوا وصايا الشريعة إلى النهاية. ومن ثمّ كتبت الشريعة في كتاب، حتى إنّ نعمة الله المذهلة التي منحها الله لنسل إبراهيم لا يجب أن تغرق في النسيان. قال كلفن: "يجب أن نلاحظ بالدرجة الأولى، أنه بالرغم من أنّ الشريعة هي شهادة عن تبنّي الله المجّاني، وتعلّم بأنّ الخلاص مؤسَّس على رحمته، وتدعو الناس لطلب الله بالثقة اليقينية، مع ذلك فإنّ لديها هذه السمة الخاصة بأنّ عهديتها مشروطة". في تفسيره للإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج، يقول كلفن: "بقدر ما أنّ التعهّد المتبادَل، هو مطلوب في كلّ العهود. فإنه عندما يدعو الله شعبه ليمنحه النعمة، فإنه يحثّه لكي يقدّم له طاعة الإيمان، حتى يجيبوا: آمين".

علاقة العهد الجديد بالعهد القديم

توقّف كلفن عند نبوءة النبي إرميا حول العهد الجديد، والتالي نصُّها: "هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا" (إرميا ٣١: ٣١-٣٣). في تعليقه على هذه النبوءة، يؤكّد كلفن على وجود تعامل جديد مع أمة محبطة، وسط الأسر البابلي. يقول: "إنّ الوعد بعهد جديد في سياق الأَسْر، يعمل كمصدر للرجاء والتشجيع؛ لأنّ الإسرائيليين الذين أصبحوا أمة منقسمة، قد طُردوا من أرض الموعد. ولم يعرفوا الراحة الموعود بها في العهد. لكن الآن، فإنّ فريقي العهد الجديد، هما مختلفان، لأنّ الوعود في العهد الجديد وُجّهت إلى شخص واحد وإله واحد، مثّل الشعب وكلّ الكنيسة. فقد صنع العهد الجديد بين الله وجماعة الإيمان، بوجود وسيط أو الوسيط الحقيقي الذي هو

يسوع المسيح. فالآباء: إبراهيم وموسى وداود، كانوا مجرَّد ظلال، إلى أن حان موعد العهد الجديد، الذي صُنِع في شخص يسوع المسيح". في ضوء ملاحظاته حول نبوءة إرميا حول العهد الجديد (إرميا ٣١: ٣١-٣٣)، قال كلفن: "لم يُدعَ العهد الجديد بهذا الاسم، لأنه كان في تعارض مع العهد الأول. حاشا أن يكون الله، غير منسجم مع نفسه، أو ليس مثل نفسه. فالذي صنع مرَّةً عهدًا مع شعبه المختار، لم يغيِّر هدفه، وكأنه قد نسي أمانته". وفي تعليقه على قول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ" (عبرانيين ٨: ٧)، كتب كلفن: "يؤكّد كاتب الرسالة إلى العبرانيين على عظمة العهد الذي صنعه الله معنا من خلال يسوع المسيح. وقد ثبَّته على هذا الأساس، لأنّ عهد الشريعة لم يكن دائمًا بلا عيب، لأنه لو كان بلا عيب، فلماذا يُستبدَل بآخر؟".

ميزات العهد الجديد

آمن كلفن أنّ العهد الجديد، يتضمّن ثلاث ميزات جوهرية:

- الأولى، يسوع المسيح
- الثانية، نعمة الروح القدس
- الثالثة، الوضوح في التعليم

أولًا: يسوع المسيح

آمن جان كلفن، أنّ يسوع المسيح، هو أحد أهمّ ميزات وعناصر العهد الجديد. رأى أن المسيح، حلّ محلّ كل نظام الكهنوت والذبائح في العهد القديم. رأى أنّ تجسّد المسيح، أوقف استمرارية المرتبة الكهنوتية، لأنّ المسيح هو تحقيقها كونه الكاهن الأعلى. قال: "لا يمكن لمجرّد إنسان زائل، أن يحقّق المصالحة بين الله والإنسان. إن عدم كفاية الكهنوت الأرضي، يصبح أكثر وضوحًا، عندما نفكّر في فساد ذلك الكهنوت. إنّ الأكثرية الساحقة من الكهنة لم يصبحوا فقط فاسدي الأخلاق، لكنهم أيضا كانوا دنسين. إلاّ أنّ نقصات الكهنة البشريين، انتصر عليها المسيح الإله".

في تفسيره لقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين "وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ" (عبرانيين ٩: ١١)، شدَّد كلفن على سمو المسيح كالكاهن الأعلى أو رئيس الكهنة. قال: "لقد جلب رئيس الكهنة الأرضي بركات مؤقَّتة لم تضمن استمرارية الخدمة، لكن المسيح كالكاهن الأعلى، جلب بركات أبدية ضمنت له مركزه إلى الأبد. كان يدخل رئيس الكهنة الأرضي إلى قدس الأقداس في معبد أرضي مرّة في السنة، لكنّ المسيح دخل السماء من خلال معبد جسده مرة واحدة وإلى الأبد. كان يقدّم رئيس الكهنة الأرضي، دماء الذبائح الحيوانية التي كانت فعّالة لسنة واحدة، إذ كفّرت عن خطايا الشعب لسنة واحدة، لكنّ المسيح قدّم ذبيحة نفسه مرّة واحدة وإلى الأبد، وكان لها تأثير أبدي". هتف كلفن قائلًا: "تنتمي المرتبة الكهنوتية إلى المسيح وحده، لأنه بذبيحة موته محى شعورنا بالذنب، وغفر خطايانا".

اعتقد كلفن، أن طقوس

وذبائح العهد القديم، كانت مجرّد نماذج وصور مؤقّتة لتقود الناس إلى المسيح. استنتج من قراءته للرسالة إلى العبرانيين، أنّ كلّ الذبائح، كانت موجّهة نحو هذه الغاية، والتي هي قيادة الناس إلى المسيح، الذي هو الخلاص الأبدي للنفس. قال كلفن: "لقد صنع الله عهدًا جديدًا، عندما حقّق من خلال ابنه يسوع المسيح، كلّ ما كان ظلالًا تحت الشريعة. وبتجسُّد المسيح، فإنّ كلّ تلك الطقوس التي تأسّست سابقًا حتى بالإيمان يتذوّق البعض طعم الخلاص، قد أصبحت بلا فائدة، ومنتهية الصلاحية".

تمسّك كلفن بشريعة الوصايا العشر، لأنه وجد فيها القاعدة الكاملة للحياة، تساعد الإنسان المؤمن على طمأنة قلق ضميره. قال كلفن: "مع أنّ المسيحي غير ملزم بضميره أن يطيع الشريعة، كونه تحرّر بالإيمان منها، إلاّ أنه عندما يشعر بالقلق في ضميره، حول كيف يجب أن يحصل على رضى الله في تصرفاته وحياته، فإنه يجد الجواب في الشريعة، لأنها تساعده في طمأنة قلق ضميره". اعتقد كلفن، أنه على الرغم من أن الإنسان المؤمن، يتبرّر بالإيمان وحده، وليس بالشريعة، إلاّ أن هذا لا يعني بأن الشريعة قد أزيلت بشكل كامل في المسيح، لكن يبقى للوصايا العشر، دورها في ضبط حياة الإنسان الاخلاقية. رأى أنّ هدف الوصايا العشر، حثّ الإنسان المسيحي على حياة الطهارة والقداسة والصلاح، عبر تذكيره بواجباته الروحية والأخلاقية أمام الله وأمام الآخرين. حافظ كلفن على التوازن بين الحريّة المسيحية والشريعة، لأنه كان مدركا تمامًا مدى الفساد الكامل الذي سبَّبته الخطية في حياة الإنسان. قال: "إنّ شريعة الوصايا العشر، التي تدعو إلى عدم القتل والسرقة، والكذب، وغيرها، إنما هي بالحقيقة شريعة، تحمي الحريّة المسيحية"

ثانيًا: نعمة الروح القدس

آمن كلفن أنّ ميزة العهد الجديد الثانية، ترتبط بتجديد الحياة بنعمة الروح القدس، وكتابة الشريعة على قلوب المؤمنين. قال: "لن يكون مجيء المسيح كافيًا، لو لم يضف إليه عنصر التجديد بالروح القدس؛ فالله يجدّد الإنسان المؤمن بروحه القدوس، لكي لا يكون الإيمان مجرّد عقيدة حرفية غير فعّالة تدخل الأذن، بل عقيدة حيّة مؤثّرة تخترق القلب وتشكّلنا لخدمة الله. حول العلاقة بين الشريعة والروح القدس، يقول كلفن: "الشريعة نفسها، هي الأداة التي توقظ الآذان والأعين، لكن تمرُّد الشعب على الشريعة، قادهم إلى الطرد من أرض الموعد ووضعهم تحت الأسر من قِبَل مملكة وثنية، لكن يهوه وعد أنه سيجعل شعبه يطيع شريعته، بطريقة فوق عادية، وسوف يليّن قلوبهم بطريقة تجعل شريعته تقود حياتهم وأفكارهم. وهذا هو عمل التجديد الذي يقوم به الروح القدس". يسأل كلفن: "هل كان الروح القدس غائبًا عن العهد القديم؟ وهل الإسرائيليون القدامى، لم يختبروا خدمة الروح؟" يجيب على هذه الأسئلة، مقتبسًا قول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: "وَلاَ يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ،

وَكُلُّ وَاحِد أَخَاهُ قَائِلاً: اعْرِفِ الرَّبَّ، لأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ" (عبرانيين ٨: ١١). يعلِّق قائلًا: "إنّ الفرق في عمل الروح القدس بين العهد الجديد، والعهد القديم، ليس في موضوع الوجود، وإنما في درجة الحضور". قال: "عندما يعد الله النبي إرميا في نبوءته (إرميا ٣١: ٣١-٣٤)، أنه سوف يكتب شريعته على قلوب الشعب في العهد الجديد، فإنه بذلك كان يقارن بين الأقلّ والأكثر. فتضمين الأمم والدخول الجماعي للأمميين في ملكوت المسيح، كان من خلال نفس الروح الذي غيّر الآباء، مما يجعل حضور الروح القدس في العهد القديم أقلّ، ويمنح عنصرًا جديدًا للعهد، بحضور الروح القدس بشكلٍ واسعٍ في العهد الجديد. فالآب وضع بشكل أكمل قوة روحه، تحت ملكوت المسيح، وأفاض بوفرة رحمته على البشر. لهذا، فإنّ هذا الفيض الذي شهدناه في العهد الجديد، هو بالمقارنة لما أعطي للآباء من نعمة في العهد القديم، هو قليل. إلاّ أنّ كلفن آمن، أنّ الآباء القدماء عبدوا الله بقلب صادق وضمير نقي، وسلكوا بموجب وصاياه. ولن يكون هذا الأمر متاحًا، لو لم يكونوا متعلّمين داخليًّا من الروح القدس".

ثالثًا: الوضوح في التعليم

يستخدم كلفن استعارة الرسول بولس، حول برقع موسى في رسالته إلى كورنثوس، ليوصل نقطته حول الوضوح في التعليم. آمن كلفن، أنه في العهد الجديد، يتكلّم الله بانفتاح أكبر مع المؤمنين، ويكلِّمهم وجهًا لوجه من خلال يسوع المسيح، الذي هو تحقيق الشريعة، وذلك بخلاف تكلُّمه مع مؤمني العهد القديم من خلال الشريعة. في تعليقه على قول الرسول بولس: " وَلَيْسَ كَمَا كَانَ مُوسَى يَضَعُ بُرْقُعًا عَلَى وَجْهِهِ لِكَيْ لاَ يَنْظُرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى نِهَايَةِ الزَّائِلِ. بَلْ أَغْلَظَتْ أَذْهَانُهُمْ، لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ غَيْرُ مُنْكَشِفٍ، الَّذِي يُبْطَلُ فِي الْمَسِيحِ" (٢كورنثوس ٣: ١٣-١٤)، علّق كلفن قائلًا: "ترافق إعطاء الشريعة من قِبَل موسى، مع برقع غطى وجه النبي العظيم، لكي لا يهاجم الخوف قلوب الإسرائيليين. إلاّ أنّ نفس ذلك البرقع الذي أعاق الناس عن رؤية كلّ مجد الشريعة، كان بمثابة نبوءة عن عماء الإسرائيليين، عن مجيء المسيح مكمّل الشريعة. لقد أظهر الرسول بولس بتعليمه أنّ عماهم قد تصوّر سابقًا. لهذا لم يستطِع الإسرائيليون معاينة وجه موسى، إلا من خلال وسيلة البرقع، وقد توهَّجت الشريعة في ملامح وجه موسى، لأنّ شخص موسى يمثّل الشريعة". يدافع كلفن عن أهمية الشريعة وجمالها، طالما أنها تظهر وهج نور المسيح. قائلًا: "إنّ هذا البرقع قد أزيل في المسيح، من خلال خدمة الروح القدس وحدها". اعتقد كلفن أنّ الشريعة بحرفيَّتها تجلب الموت، لكن عندما يحيي المسيح الشريعة في فكر ونفس الإنسان، فإنه يجعله يفهم ويؤمن، وهكذا يصير قول النبي داود حقيقة

لديه، بأنّ "نَامُوسُ الرَّبِّ كَامِلٌ يَرُدُّ النَّفْسَ. شَهَادَاتُ الرَّبِّ صَادِقَةٌ تُصَيِّرُ الْجَاهِلَ حَكِيمًا" (مزمور ١٩: ٧). آمن كلفن، أنّ جدّة العهد الجديد، تظهر بسيادة حكم الله في قلب الإنسان المؤمن، مما يجعله يحقّق شروط العهد، ويستلم ما يحمله له من بركات ومواعيد، كما يذكر سفر التثنية: "لِيَحْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هذِهِ التَّوْرَاةِ. لأَنَّهَا لَيْسَتْ أَمْرًا بَاطِلاً عَلَيْكُمْ، بَلْ هِيَ حَيَاتُكُمْ" (تثنية ٣٢: ٤٦-٤٧). قال كلفن: "يربط الله نفسه بشعبه، شرط أن يحكمهم بروحه القدوس، ويكتب كلمته على قلوبهم. وهكذا، عندما يلمسهم بروحه، سيكون منعمًا معهم، ويتحمّل ضعفاتهم بغفرانه خطاياهم. وهكذا، إنّ شرط العهد يبقى نفسه، أي الطاعة للشريعة، لكنّ وعد العهد الجديد، هو أنّ الله نفسه، يكتب الشريعة على قلوب المؤمنين، ويجعلهم طائعين لوصاياه".

رابعًا: ارتباط أسرار الكنيسة بالعهد

آمن كلفن أنّ المسيح أتى إلى عالمنا لكي يحقّق وعود العهد. قال: "إنّ إنجيل رحمة الله في المسيح، هو في الجوهر نفسه في العهدين القديم والجديد، وحتى أسرار الكنيسة هي في جوهرها واحد. فالمعمودية

التي تحدّث عنها المسيح في العهد الجديد، قد حدثت للشعب الإسرائيلي في العهد القديم. يذكر النصّ: " فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمْ أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ، وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ" (١كورنثوس ١٠: ١-٤). يعلّق كلفن على هذا النص قائلًا: "إن بولس يجعل من الإسرائيليين مساوين لنا، ليس فقط في نعمة العهد، ولكن أيضًا في معاني الأسرار، أي المعمودية، وتناول الطعام والشراب الروحي الذي يرمز إلى العشاء الرباني".

خلال مناقشته لموضوع معمودية الأطفال في الفصل الرابع عشر من كتابه "مبادئ الإيمان المسيحي"، يستخدم كلفن ثلاث وخمسين مرّة، كلمات عهدية. اعتقد كلفن، أنّ الأسرار ترتبط حصريًا بالعهد. مثلًا، رأى في شجرة الحياة في جنّة عدن، سرًا بالنسبة لآدم، وفي قوس القزح سرًا بالنسبة لنوح، وفي ممارسة الختان سرًا بالنسبة لإبراهيم. رأى أنّ السرّ

هو ختم، يختم عهد الله. فسَّر السرَّ، على أنه علامة تعطي المؤمن اليقين في تحقيق الله لوعوده العهدية. استخدم كلفن مصطلحات القديس يوحنا فم الذهب، المتعلِّقة بعلامات وأختام العهد الجديد. أطلق يوحنا فمّ الذهب على الأسرار، اسم "عهود يربط الله نفسه معنا، من خلالها. ونحن نتعهّد أن نكرّس نفوسنا لعيش حياة الطهارة والقداسة". آمن كلفن أنه من خلال سرّي الكنيسة: المعمودية والعشاء الرباني، فقد أقيم اتفاقٌ مُتبادَلٌ بيننا وبين الله. قال: "الأسرار هي علامات، تجعلنا متأكدين من صدق كلمة الله. ولأنّ الأسرار هي فقط علامات وأختام، فإنّ مهمّتها فقط إعلانية. لا تمنح الأسرار أي نعمة من تلقاء نفسها، لكنها تعلن وتثبّت تلك الأشياء التي أعطيت لنا بفضل الكرم الإلهي. لهذا، لنحرص لكي لا نرتبك ونعتبرها نعمة، ولا نتصرّف على أنها قنوات الخلاص".

آمن كلفن أنه لكلٍّ من سرَّي المعمودية، وعشاء الرب مهمَّةٌ خاصة في الكنيسة. ربط السرّيْن مع العهد القديم. رأى في سرّ المعمودية علامة الدخول في الكنيسة، والإدخال في مسيرة الإيمان. فإنه بالمعمودية، ينذر الإنسان المؤمن الولاء لشريعة الله، ويلتزم في طاعتها. قال: "إنّ ملخّص النذر، هو أننا ننكر الشيطان ونسلّم أنفسنا لخدمة الله، وطاعة وصاياه المقدّسة، ولا نتبع شهوات جسدنا الشريرة. وبهذا النذر، يشهد المؤمن أنّ الله خلّصه من عبودية الخطية. فإنه كما أنّ الله في العهد القديم قد غطى الشعب بغيمة وأعطاهم برودة لكي لا يضعفوا ويهزلوا تحت حرارة الشمس الشديدة التي لا ترحم. هكذا، فإننا في المعمودية، نقرّ أننا نغطَّى ونحتمي بدم المسيح".

أيضًا وجد كلفن، أنّ عشاء الرب، لديه جذور عهدية. اعتقد أنّ عشاء الرب، حلّ محلّ وجبة الفصح. لم يقبل كلفن أن يشارك الجميع في عشاء الرب دون تمييز، ولكن فقط أولئك الذين كانوا قادرين على معرفة معناه الروحي، مستشهدا بقول كاتب سفر الخروج: " وَيَكُونُ حِينَ يَقُولُ لَكُمْ أَوْلاَدُكُمْ: مَا هذِهِ الْخِدْمَةُ لَكُمْ؟ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: هِيَ ذَبِيحَةُ فِصْحٍ لِلرَّبِّ الَّذِي عَبَرَ عَنْ بُيُوتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مِصْرَ لَمَّا ضَرَبَ الْمِصْرِيِّينَ وَخَلَّص بُيُوتَنَا" (خروج ١٢: ٢٦-٢٧). آمن كلفن، أنّ الاشتراك في عشاء الرب، يشير إلى الرباط العهدي للإنسان المؤمن مع المسيح. هذا الرباط، هو الروح القدس نفسه، الذي يوحّد المؤمنين مع المسيح في الجسد والروح والنفس، ويغدق عليهم كل البركات وفوائد العهد. كما يشير إلى الرباط بين أعضاء جسد المسيح الواحد. قال كلفن: "يجب أن يكون عشاء الرب طعامًا مستمرًّا يغذّي المسيح عبره جماعة الإيمان. في كلّ مرة نشترك في علامة جسد المسيح، كعربون أعطي لنا واستلمناه، فإننا معًا نربط أنفسنا في كلّ واجبات المحبة، لكي لا يسمح لأحدٍ منا أن يقوم بشيء يؤذي أحدنا الآخر، أو نتغاضى عن شيء يمكن أن يساعد حيث تتطلّب الضرورة".

العهد القديم في العصر الوسيط

سَعديا الفيوميّ (٨٨٢-٩٤٢م)

ودوره في ترجمة

العهد القديم إلى اللغة العربيّة

في القرن العاشر الميلاديّ[١]

ق. عيد صلاح

١ قُدِّمت نواة هذه الورقة في المؤتمر الدوليّ بمناسبة مرور ١٥٠ عامًا على ترجمة فانديك-البستانيّ القاهرة ١-٤ ديسمبر ٢٠١٥م، مركز دراسات مسيحيّة الشرق الأوسط بكلية اللاهوت الإنجيليّة بالقاهرة، ومركز الدراسات القبطيّة بمكتبة الإسكندريّة، تحت عنوان: "**سعديا الفيوميّ ودوره في ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربيّة في القرن العاشر الميلاديّ.**" في ٣ ديسمبر ٢٠١٥م، بكلية اللاهوت الإنجيلية في القاهرة.

مُقَدِّمَةٌ

علاقة الكتاب المقدّس مع اللغة والثقافة العربيّة علاقة لها تاريخ طويل، ظهرت في محطّات مهمة من خلال عبوره في الفكر والثقافة العربيّة عن طريق الترجمة والتفسير والعبادة والأدب[٢]. في التراث العربيّ المسيحيّ هناك دراسات كثيرة حول دور المسيحيّين العرب بعد الحكم الإسلاميّ في نقل الكتاب المقدّس إلى اللغة العربيّة، بعد أن أصبحت اللغة العربيّة هي لغة الثقافة والكتابة والفكر واللاهوت، وقد كان القرن الثالث عشر الميلاديّ هو العصر الذهبيّ لظهور كتابات وترجمات وتفاسير عربيّة للكتاب المقدّس[٣]، والقرن التاسع عشر الميلاديّ هو العصر الذهبيّ لظهور الترجمات العربيّة الحديثة للكتاب المقدّس.

ولكن هناك فرعًا آخر في الدراسة، وهو الدور اليهوديّ نحو العهد القديم وعلاقته باللغة العربيّة، ونقف في هذه الدراسة عند ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربيّة من خلال محاولة جادة في القرن العاشر الميلاديّ: **العهد القديم في العصر الوسيط سعديا الفيوميّ (٨٨٢-٩٤٢م) ودوره في ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربيّة في القرن العاشر الميلاديّ.**

تجيب هذه الدراسة عمَّن هو سعديا الفيوميّ، والترجمات التي قام بها، والسياق الثقافيّ واللاهوتيّ الذي ترجم فيه؟ وما تميَّزت به الترجمة؟ وعرض نماذج للترجمات وتطبيقات على بعض التفاسير التي قام بها؟ والنقد الذي وُجِّه إليها. هذه الورقة ستركِّز تحديدًا على الترجمات التي قام بها الفيوميّ من العبريّة للعربيّة لنصوص العهد القديم في ضوء السياق الثقافيّ واللاهوتيّ في العصر الوسيط، تأكيدًا على الدور الذي قام به، والمنهج الذي استخدمه في الترجمة وعرض لبعض النماذج في الترجمة.

والورقة التي أشارك في ملف "دراسات في العهد القديم" لمجلة النسور شتاء ٢٠٢٥م، تقف عند القرن العاشر الميلاديّ، مع العلامة المصريّ اليهوديّ سعيد بن يوسف الفيوميّ المعروف بسَعْدِيا الفيوميّ، الذي وُلِدَ في قرية أبو صوير بالفيوم-مصر حوالي عام ٨٩٢م، وانتقل وهو في

٢ من القرن العاشر حتى الآن الكتاب المقدّس حاضر في الفكر والثقافة العربيّة من ناحية الترجمة والتعليم والتفسير، وحتى في الأدب بصفة عامة بفكر التناص، يمكن الرجوع إلى دراسة لينا فايق بركات مسروجي، "**المتناص مع الكتاب المقدّس المسيحيّ في الأدب العربيّ الحديث لبلاد الشام ومصر وعلاقته بتطور الفكر العربيّ: دراسة في علاقة الأدب بالأيديولوجية**"، جامعة بيرزيت ٢٠٠٦م.

٣ يمكن الرجوع إلى: عيد صلاح، **حضور الكتاب المقدّس في القرن الثالث عشر الميلاديّ ترجمة وتفسيرًا ونقدًا**، مجلة قبطيّات سكندرية دورية مركز الدراسات القبطيّة، العدد الثاني (الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، مركز الدراسات القبطيّة، ٢٠٢٢)، ٢١-٥٠.

سن مبكرة إلى فلسطين، ومنها إلى العراق، ثم مات فيها عام ٩٤٢م حيث كان مديرًا لمدرسة يهوديّة. وقد نقل أجزاء كبيرة من العهد القديم إلى اللغة العربيّة. ونقل أسفار موسى الخمسة إلى اللغة العربيّة بالحرف العبريّ. فنحن مع إسهام لفقيهٍ مصريٍّ يهوديٍّ كتب باللغة العربيّة منذ ما يزيد عن ألف عام، يعبِّر عن التعددية والتنوع الدينيِّ في المشرق العربيِّ، ويساهم في فهم الكتاب المقدّس للقارئ العربيّ.

ولا يمكن إغفال القراءة السياقيّة لكتابات وترجمات الفيوميّ، وقد أشار سامح حنا إلى ذلك في دراسته، أن تفسير سعديا الفيوميّ للكتاب المقدّس في السياق العربيّ الإسلاميّ هو نقطة تحول.[٤] في كل ترجمات سعديا وكتاباته تأثر بالمدرسة الكلاميّة وخصوصًا مذهب المعتزلة. ودافع عن شرعيّة النبوة ووحدانيّة الله، كما رفض الإيمان بالسحرة والمنجمين. وهو أول شخصية عبريّة مهمة تكتب على نطاق واسع بالعربيّة، ويُعتَبَر مؤسِّس الأدب العربيِّ اليهودي في العصر الوسيط. وكذلك هو واحد من أشهر المتكلمين والمفسّرين من اليهود بعد فيلو الإسكندريّ (٢٠ ق.م-٥٠م)، وهو أيضًا مَنْ أسَّس علم التفسير العربيّ اليهوديّ، وساهم في تأصيل علم الكلام اليهوديّ، "وبه بلغ علم الكلام اليهوديّ أوجه."[٥]

ويمكن ملاحظة ذلك في كتابه المهم "**الأمانات والاعتقادات**"، الذي يعبِّر

عن التنوير اليهوديّ في ظل الحضارة العربيّة الإسلاميّة.[٦] قال موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م)[٧] (مشيرًا إلى سعديا الفيوميّ: "ويكاد أن يذهب دين الله تعالى-لولاه طيب الذكر؛ لأنه قد أظهر منه ما خفي، وشدَّ منه ما ضعف، وبثه ونشره ونضده بلسانه وقلمه."[٨]

ويكمل هذه الصورة التي تشتبك مع الواقع عزُّ الدولة سعد بن منصور ابن كمونة (١٢١٥-١٢٨٤م)[٩]، وهو

4Sameh Hanna, *Saadia Geon's Tafsir of the Hebrew Bible in an Arabic-Muslim Context: A Paradigm Shift?* The Bible Translator 2024, Vol. 24 (3) 331-349.

٥ أحمد الجداد، **مقدمة لدراسة الفكر العبري** (المغرب: سوفي جراف، ٢٠١٠م)، ١١.

٦ سعيد بن يوسف المعروف بسعديا الفيوميّ، **الأمانات والاعتقادات**، تحقيق شريف حاتم سالم، ومراجعة أحمد محمود هويدي (القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠٢١م)، ٧-٢٩.

٧ يمكن الرجوع إلى بعض الكتب عن موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م)، مثل: تمار رودافسكي، **موسى بن ميمون** (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٥م). إسرائيل ولفنسون، **موسى بن ميمون حياته ومصنفاته** (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م). حسن حسن كامل إبراهيم، **الآراء الكلاميّة لموسى بن ميمون والأثر الإسلاميّ فيها**، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة العدد (٧) (القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة بجامعة القاهرة، ١٢٤٢، ٢٠٠٣م).

٨ سعديا بن يوسف الفيوميّ (ترجمة وشرح) وشرح تنحوم الإسرائيليّ. **سفر دانيال كتاب الممالك والملاحم وما سيكون في ألف ٣٨٦ سنة**، نقله إلى الحرف العربيّ وعلق عليه حسين عبد البديع حسين، ٣٤٥٤ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٠٦م)، ٩.

٩ عُرِفَ سعيد بن منصور بن كمونة بكتابه، **تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث: اليهوديّة المسيحيّة الإسلام** (القاهرة: دار الأنصار، د. ت.).

فيلسوف وطبيب يهوديّ، في كتابه "**تنقيح الأبحاث للمِلَل الثلاث اليهوديّة المسيحيّة الإسلام.**" وقد صدرت له ترجمة إلى اللغة الإنجليزيّة.[١٠] ونماذج سعديا الفيوميّ، وموسى بن ميمون، وابن كمونة جديرة بالاهتمام والدراسة في سياقها الثقافيّ واللاهوتيّ. والتأكيد على الوعي بالحالة الدينيّة في تنوعها وغناها وتعدُّدها في المشرق العربيّ قديمًا وحديثًا.

لماذا قام الفيوميّ بالترجمة؟

جدير بنا أن نسأل لماذا قام الفيوميّ بترجماته وكتاباته باللغة العربيّة؟ وهل من ضرورة لذلك؟ نعود إلى القرينة التاريخيّة والثقافيّة في ذلك الوقت لكي نجيب عن هذين السؤالين، فمن القرن السابع الميلاديّ، ظهور الإسلام، حتى القرن العاشر الميلاديّ، وقت ترجمة الفيوميّ لنصوص العهد القديم، ساد الفكر الإسلاميّ وانتشر، وقد قارب اليهود والمسيحيُّون إلى أن يكونوا أقليّة عدديّة في منطقة الشرق الأوسط، وظهرت كتابات فكريّة تشخص الواقع، وتدعو إلى تبني اللغة العربيّة لليهود والمسيحيّين في ظل السيادة والهيمنة الإسلاميّة فكرًا (ثقافةً) وحكمًا (سياسةً).

وإذا نظرنا إلى **خريطة الفكر الدينيّ في تلك الحقبة في مصر وأسبانيا والعراق** نجد أنَّ الهمّ مشترك، والأزمة التربويّة واحدة، والسياق الثقافيّ عام واحد، والاستجابة أيضا متشابهة، فنجد الآتي:

ساويروس بن المقفع في مصر (القرن العاشر)

في مقدمة الباب العاشر من كتاب "**الدر الثمين في إيضاح الدين**" يقول ساويروس بن المقفع: "ذَكَرتَ، يا حبيب، أنَّ القبطَ في هذا الزمان قد كثرت فيهم الأقاويل المختلفة في الإيمان الأرثوذكسيّ، وأنّ الواحد منهم يَرى ما لا يرى بغير رأي الآخر ويكفّره، وإنَّك متعجب من ذلك ومحتار. ولا تتعجب من ذلك! فإنَّ السبب فيه جهلهم بلغتهم، فإنَّ اللّغة العربيّة غلبت عليهم، فلم يبقَ أحد منهم يعرف ما يُقرأ عليه في الكنيسة باللّغة القبطيّة. **فصاروا يسمعون ولا يفهمون.**[١١] فبهذا السبب **ضاع منهم علم المذهب المسيحيّ، الّذي، ساد أولًا على جميع قبائل النصرانيّة.**"[١٢] واستجابة للمتغيرات الجديدة كتب ساويرس باللغة العربيّة، ويعتبر أول لاهوتيّ مصريّ يكتب باللغة العربيّة في الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة.[١٣]

بولس ألفاروس أسبانيا (القرن التاسع)

إلى أسبانيا حيث نجد بولس ألفاروس (ت. ٨٦٠م)، يصف السّياق الثقافيّ الذي

وهناك رد مسيحيّ على هذا الكتاب في: حبيب باشا (تحقيق وتقديم)، أبو الحسن بن المحرومة، **حواشي ابن المحرومة على كتاب "تنقيح الأبحاث للملّل الثلاث لابن كمونة"**، سلسلة التراث العربيّ المسيحيّ ٦ (بيروت: المكتبة البوليسية، ١٩٨٤م).

10Moshe Perlmann, *Ibn Kammuna,s Examination of the Three Faiths, A Thirteenth-Century Essay In The Comparative Study of Religion Translated from the Arabic, With introduction and Notes* (CA: University of California Press, 1971).

١١ قارن إنجيل مرقس ٤: ١٢.

١٢ الأنبا ساويرس بن المقفَّع، **الدر الثمين في إيضاح الدين** (القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، د. ت)، ١٦١.

١٣ يمكن الرجوع إلى دراستنا عن: **ساويروس ابن المقفع نقطة نحول في الكنيسة المصريّة السيرة والتفكير اللاهوتيّ** (القاهرة: دار رجاء للجميع للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م).

عاشه المسيحيّون في إسبانيا الإسلاميّة، ويرصد جوستاف جرونيباوم في كتابه "حضارة الإسلام" هذه الظاهرة الثقافيّة حيث أهمل الأسبان المسيحيّون في القرن التاسع تراثهم القديم إيثارًا منهم للتراث العربيّ. وهذا ألفارو الكاتب المسيحيّ المتعصب-حسب وصف جرونيباوم-يأسى في ٨٥٤ لهذا الاتجاه مريرًا، ويكتب هذه المرثية بالقول: "يطرب إخواني المسيحيّون لأشعار العرب وقصصهم؛ فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمدين لا لتفنيدها، بل للحصول على أسلوب عربيّ صحيح وشيق. فأين نجد اليوم علمانيًّا يقرأ التعليقات اللاتينيَّة على الكتب المقدّسة؟ وأين ذلك الذي يدرس الإنجيل وكتب الأنبياء والرسل؟ وا أسفا! إنَّ شباب المسيحيّين الذين هم أبرز الناس مواهب. ليسوا على علم بأي أدب ولا أي لغة غير العربيّة؛ فهم يقرأون كتب العرب ويدرسونها بلهفة وشغف، وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة، وأنهم ليترنمون في كل مكان يمدح تراث العرب."[١٤] والجدير بالذكر أن الحفص بن البر القوطي ابن بولس ألڤاروس هو من ترجم المزامير إلى اللغة العربيّة بلغة سجعيّة.

سَعْدِيا الفيوميّ في العراق (القرن العاشر)

يقول في مُقَدّمة كتابه "**الأمانات والاعتقادات**" الذي كَتَبَه عام ٩٣٣م-وهو النصّ الذي فيه أفكار الفيوميّ الفلسفيّة المتكاملة-ما يصف حالة أمته بالقول: "فلما وقفت على هذه الأصول وسوء فروعها أوجعني قلبي لجنسي جنس الناطقين، واهتزت نفسي لأمتنا بني إسرائيل مما رأته في زماني هذا من كثير من المؤمنين إيمانهم لا خائض واعتقاده غير صحيح وكثير من المبطلين يتظاهرون بالفساد وقد ضلوا عن أهل الحق وهم يضلون ورأيت الناس كأنهم قد غرقوا في بحر الشكوك وقد غمرتهم أمواء[١٥] اللبوس[١٦] ولا خائض يصعدهم من أعماقها، ولا سابح يأخذ بأيدهم فيعبرونها. وكان عندي مما علمني ربي ما أجعله لهم سندًا، وفي وسعي مما رزقني ما أضعه لهم رفدًا، رأيت إسعافهم به عليَّ واجب، وإرشادهم إليه لي لازم".[١٧]

وبالتالي جاءت ترجمات وتفاسير وكتابات الفيوميّ ضرورية ملبية لحاجات عصره ولبني جنسه الذين غرقوا في بحر الشكوك نتيجة للسياق اللاهوتيّ والفكريّ والثقافيّ الجديد كتحديات خارجيّة من ناحية الأسئلة الإسلاميّة، وداخليّة وأسئلة واردة للعقل اليهوديّ مثل أسئلة حيوي البلخي الذي فنَّدَ كل قصص المعجزات في العهد القديم.

١٤ جوستاف جرونيباوم، **حضارة الإسلام**، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، سلسلة الألف كتاب الثاني (القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩٤م)، ٨١.

١٥ جمع (موه) وهو أصل المياه.

١٦ اختلاط الأمر.

١٧ سَعْدِيا بن يوسف الفيوميّ، **كتاب الأمانات والمعتقدات** (نشره لانداور، ليدن، ١٨٨٠م)، ٣. وأيضًا: سعيد بن يوسف المعروف بسعديا الفيوميّ، **الأمانات والاعتقادات**، سلسلة التراث الحضاري (٣٤)، تحقيق شريف حامد محمد سالم، مراجعة ودراسة أحمد محمود هويدي، مرجع سبق ذكره، ٣٦-٣٧.

وقد كان هدف الفيوميّ من خلال ترجمته للكتاب المقدّس (العهد القديم) العبريّ يهدف لتقديم صورة صحيحة، من وجهة نظره، عن التوراة باللغة العربيّة، التي كانت سائدة في أيامه والتي يتكلّمها العرب أجمعون"[١٨] لدرجة أنَّ أحد الباحثين لقَّب هذه الترجمة بالقول: "التوراة الإسرائيليّة بلسان إسماعيليّ (إسلاميّ)."[١٩]

سَعْدِيا الفيوميّ في المصادر الإسلاميّة

يعتبر سَعْدِيا الفيوميّ من المتكلمين اليهود حسب وصف ابن حزم له[٢٠] وهو من أولئك اللاهوتيّين النّظار من يهود تلك الفترة[٢١] وقد ترجم كل العهد القديم أو أكثره إلى اللّغة العربيّة ترجمته لمنفعة اليهود الناطقين بالعربيّة وكتبه بحروف عبريّة مستعينًا بترجوم "أونكلوس" والترجمة السبعينيّة، ولكنه ترجم الأسفار الخمسة عن النصّ العبريّ الماسوري وقد طبع هذا الجزء في القسطنطينيّة في ١٥٤٦ بالأحرف العبريّة، ثم أعيد طبعه بعد ذلك في مجموعة باريس متعدّدة اللغات في ١٦٤٥م، ثم في مجموعة لندن في ١٦٥٧ بالحروف العربيّة."[٢٢]

أبو الفرَج محمد بن إسحاق النديم

كذلك يذكر ابن النديم في الفهرست عن سَعْدِيا الفيوميّ بالقول: "ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتكلمين من اللّغة العبرانيّة وبزعم اليهود أنها لم تر مثله الفيوميّ واسمه سعيد ويقال سَعْدِيا وكان قريب العهد وقد أدركه جماعة من زماننا."[٢٣] ويعدد ابن النديم إنتاج سَعْدِيا الفكريّ وكتاباته بالقول: "وله من الكتب كتاب المبادئ، كتاب الشرائع، كتاب تفسير إشعيا، كتاب تفسير التوراة نسقًا بلا شرح، كتاب الأمثال وهو من عشرة مقالات، كتاب تفسير أحكام داود، كتاب تفسير النكت وهو تفسير زبور داود عليه السلام، كتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة مشروح، كتاب تفسير كتاب أيوب، كتاب إقامة الصلوات والشرائع، كتاب العبور وهو التاريخ"[٢٤]

أما بخصوص التوراة فقد وُجدت مخطوطات عديدة لـ"توراة سعديا" في خطّ عبريّ (باريس، أوكسفورد، فلورنسا، ليدن). وقد جاءت من مصر وسورية (حماة) وتركيا

١٨المرجع السابق.

19 Jonathan Kearney, *The Torah of Israel in the Tongue of Ishmael Sadia Gaon and His Arabic Translation of the Pentateuch*, PIBA 33-34 (2010-11), 55-57.

٢٠هاري أ. ولفسون، **فلسفة المتكلمين في الإسلام (المجلد الأول)**، ترجمة مصطفى لبيب عبد الغني (القاهرة: المشروع القوميّ للترجمة، ٢٠٠٥)، ١٦١

٢١المرجع السابق، ١٦١.

٢٢وليم وهبة بباوي (المحرر)، "**الترجمة العربيّة**"، دائرة المعارف الكتابيّة، الجزء الثاني (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥) ٣٥٥.

٢٣ابن النديم. **الفهرست**. (سوسة–تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٩٤)، ٣٤–٣٥.

٢٤المرجع السابق.

(مردين). جُعل البنتاتوكس في بوليغلوتة[٢٥] باريس ولندن بعد أن وُضع في بوليغلوتة اسطنبول سنة ١٥٤٦ في إطار التوراة المربّعة اللغات: عبريّ، عربيّ، فارسيّ، أراميّ."[٢٦]

وعن استخدام الفيوميّ للكتابة بالحرف العبريّ والسبب في اختياره هذه الطريقة الملتوية في الكتابة هو أنَّ اللغةَ العبريّة لم يكن استعمالها شائعًا في أيامه في كتابة المؤلفات، بحيث تصل إلى القرَّاء بيسر وسهولة كاللغة العربيّة التي كانت سائدة لدى جميع الأعراق والأجناس وأصحاب الأديان المختلفة في تلك الحقبة. والثاني: أنه ربما أراد ألا يتمكن غير اليهود من قراءة الكتاب لأنه مكتوب بحرف عبريّ ولغة عربيّة، حيث لا يعرف غير اليهود الأبجديّة العبريّة. والثالث: أنَّ سعديا الفيوميّ قد تأثر بفكر المعتزلة، بخاصة في مسألة العدل والتوحيد، وأنَّه قد اعتبر أنَّ العدل الإلهيّ هو جوهر مضمون سفر أيوب بكامله حتى إنه سماه سفر التعديل. ويبدو تأثر سعديا بالمعتزلة في هذه المسألة واضحًا في تفسيره وشرحه، حيث وظف العقل مع النقل (من نصوص التوراة) لفهم الحكمة من العذابات والابتلاءات التي تصيب الإنسان الصالح المؤمن في الدنيا، وأكد أنها اختبار لصدق عقيدة المؤمن وليست عقابًا له في حقيقتها.[27] وعلى الجانب الآخر يرى بعض من الباحثين أنفسهم أن الكتابات العربيّة اليهوديّة كان الهدف منها منع القارئ العربيّ من الاطلاع عليها خشية أن يتمكن علماء المسلمين من معرفة ما فيها والرد على ما يحتاج إلى نظرة إسلاميّة.[٢٨]

السياق الثقافيّ واللاهوتيّ لعصر الفيوميّ

عاش الفيوميّ في مصر ثم انتقل منها إلى فلسطين وبعدها إلى العراق. كل هذه المناطق كانت تحت الحكم الإسلاميّ سياسة وثقافة، وقد سادت اللغة العربيّة في كافة البلدان وأصبح أمام اليهود خياران: الاندماج أو الانعزال، وقد شجَّع الفيوميّ على الاندماج بتبني اللغة العربيّة والإجابة عن التساؤلات الكثيرة حول الإيمان اليهوديّ في ذلك الوقت. وقد نشأ في بيئة فكريّة تشجع على الترجمة حيث بيت الحكمة في بغداد الذي أسَّسه الخليفة المأمون. والسياق اللاهوتيّ العام هو فكر المعتزلة وهي فرقة إسلاميّة تحاول الربط بين العقل والنقل وقد أعلت من شأن العقل.

ويذكر أحد الباحثين بالقول: "وتتجلى آثار الحضارة العربيّة الإسلاميّة واضحة في الترجمة التي بين أيدينا على المستويين اللغويّ والدينيّ؛ فقد آثر سَعْدِيا استخدام ألفاظ عربيّة تناسب عقلية البيئة التي يعيش فيها،

٢٥المتعدّدة اللغات.

٢٦بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم** (بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدّس، ٢٠٠٣م)، ٣٣٨.

٢٧إبراهيم البيومي غانم، **تفسيرُ «سِفْرِ أيوب» وشرحُه بالعربيّة**، متاح على http://www.alhayat.com/article وتم الاطلاع عليه في ١ أكتوبر ٢٠١٨م.

٢٨ عبد الرازق أحمد قنديل، **المواريث في اليهوديّة والإسلام دراسة مقارنة**، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة، العدد (١٣) (القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م)، ٣٤.

أو استعارة النّصّ القرآنيّ في بعض الأحيان، أو ترجمة أسماء الأماكن بما كانت تعرف به في عصره. وتجلى هذا الأثر أيضًا في تجنبه لصفات التجسيد والتشبيه عند وصف الإله وهو أمر كان جديدًا على العقليّة اليهوديّة في ذلك الوقت. هذا الكتاب دليل حي على أن الجانب الأكبر من الإنتاج الدينيّ والأدبيّ والفلسفيّ لليهود خلال العصر الإسلاميّ هو جزء أصيل لا يمكن فصله عما أنتجته الحضارة الإسلاميّة."[٢٩] ومن مميزات هذه الترجمة أنها أيضًا تجنبت الحرفيّة إلى حد كبير وهو ما جعل صاحبها يستخدم عنوان (تفسير التوراة بالعربيّة) وربما كان هذا العنوان إشارة ضمنية منه لصعوبة ترجمة النصوص الدينيّة.[30]

ومن خلال البيئة الفكريّة التي عاش في كنفها الفيوميّ أنه"تأثر تأثرًا كبيرًا جدًّا

بمذهب المعتزلة، ولكن هذا لا ينفي تأثره بفلسفة أرسطو وأفلاطون من خلال الترجمات العربيّة للمؤلفات اليونانيّة، بل إنَّ علمه بالفلسفة اليونانيّة لم يكن مباشرًا عن طريق النصوص اليونانيّة المترجمة إلى العربيّة، وإنما كان من تأثر المتكلمين المسلمين، خصوصًا المعتزلة. إنَّ هذا الرأي بتأثر سَعْدِيا بالمفكرين المسلمين بطريق مباشر وبالفلسفة اليونانيّة التي تم تعريبها بطريق غير مباشر، جاء بشهادة عديدٍ من الباحثين اليهود وغير اليهود، وأولهم الذي رأى أنَّ أقوال الجاءونيم في التفسير لا يمكن فهمها إلا من خلال ربطها بالمصادر العربيّة."[٣١]

تلونت كتابات الفيوميّ بالفكر والصياغات الإسلاميّة فقد انتهج نهجًا جديدًا لم يسبقه إليه أحد من اليهود، وهو المتعلق بالمسميات الجديدة التي أطلقها على أسفار العهد القديم سواء التي ترجمها أو فسَّرها، حيث أعطاها أسماء عربيّة ذات مدلول صوفي، فقد أطلق على تفسيره للأسفار الخمسة كتاب الأزهار، وعلى إشعياء كتاب الاستصلاح، وعلى الأمثال كتاب طلب الحكمة، وعلى المزامير كتاب التسابيح، وعلى أيوب كتاب التعديل، والجامعة كتاب الزهد. ويمكن التماس أثر البيئة الإسلاميّة التي عاش فيها على تلك المسميات التي أطلقها على الأسفار المختلفة.[٣٢]

في دراسة حول أثر مناهج تفسير القرآن الكريم في

٢٩ يمكن الرجوع إلى: http://imn.iq/news/view. تم الاطلاع عليه في ٣٠ نوفمبر ٢٠١٥م.

٣٠المرجع السابق.

٣١عزة محمد سالم، **أثر تفسير القرآن الكريم في تفسير الحاخام سَعْدِيا الفيوميّ لسفر التكوين** (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٩)، ١١. يمكن الرجوع أيضًا إلى هذا المرجع حيث يناقش نفس القضية تسوكر، موشيه مردخاي. **التأثير الإسلاميّ في التفاسير اليهوديّة الوسيطة من مقدمة كتاب: تفسير الرابي سَعْدِيا جاؤون لسفر التكوين**. ترجمة أحمد محمد هويدي. القاهرة: جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقيّة، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة. ٢٠٠٣م.

٣٢يحيى ذكري، **علم الكلام اليهوديّ سعيد بن يوسف الفيوميّ "سَعْدِيا جاءون نموذجًا"** (القاهرة: الدار المصريّة اللبنانية، ٢٠١٤)، ٣٧.

تفسير الحاخام سَعْدِيا جاءون لسفر التكوين، لعزة محمد سالم خلصت حسب تقديم عبد الرؤوف إلى "وقد حاولت الدراسة تبيّن أثر الثقافة العربيّة على الفكر اليهوديّ عند سَعْدِيا جاءون الذي اتصل اتصالاً وثيقًا بالفكر العربيّ وتأثّر به فيما قدَّم من مؤلفاتي اتضح فيها هذا التأثر، وساهم به في خصوبة الفكر اليهوديّ، وبناء نهضة فكريّة بالأندلس".[٣٣]

ويعود الفضل لسَعْدِيا، بعد توجيه الاهتمام لتفسير العهد القديم ولغتها في إعادة المكانة المفقودة للعهد القديم واعتلائه القدوة اللغويّة والبلاغيّة التي يحب محاكاتها بعد أن كان المشنا والتلمود مركز اهتمام كل حاخامات اليهود بالتعليق عليهما ودراسة ما جاء فيهما، وذلك جريًا على نسق ما فعله مفكرو الإسلام الذين جعلوا جل اهتمامهم إظهار المعجزة البلاغيّة والأدبيّة واللغويّة للقرآن الكريم.[٣٤] كما ينظر الفيوميّ إلى العهد القديم كوحدة واحدة فيفسر المزامير على أساس أنها التوراة الثانية.[٣٥]

يذكر محمد جلاء إدريس في كتابه التأثير الإسلاميّ على الفكر الدينيّ عن طائفة اليهود القرائين: وفي مجال تفسير التوراة، نجد أن حركة التفسير الدينيّ اليهوديّ قد ازدهرت في ظل الحضارة الإسلاميّة وبخاصة في العراق والأندلس؛ حيث ظهر أبرز فقهاء اليهود مثل سعديا الفيوميّ في بغداد ومروان بن جناح وغيره في الأندلس.[٣٦]

ويخصص حديثه عن سعديا بالقول: أما سعديا فقد ترجم التوراة إلى العربيّة وشرح أسفارها وفق المنهج الإسلاميّ المعتمد على التفسير بالمأثور والذي يمثله الطبري[٣٧] الذي عاش في نفس فترة سعيدا الفيوميّ.[٣٨] ويشير إلى التشابه بين الطبري والفيوميّ بالقول: فقد اعتمد سعديا الفيوميّ كما اعتمد الطبريّ على المأثور من أقوال السلف وإن وثَّق الأخير اقتباسه عن طريق الرواية والسند فإن الأول لم يفعل ذلك. كما عارض الفيوميّ -مثل ما فعل الطبريّ- فكرة التجسيم والتشبيه، كما وضع كتابًا فسَّر فيه السبعين لفظة المفردة في التوراة على غرار تتبع الغريب من ألفاظ القرآن الكريم.[٣٩]

٣٣عزة محمد سالم، **أثر تفسير القرآن الكريم في تفسير الحاخام سَعْدِيا الفيوميّ لسفر التكوين**، مرجع سبق ذكره، ٧

٣٤ المرجع السابق، 11

35Uriel, Simon. *Four Approaches to the Book of Psalm from Saadiah Gaon to Abraham Ibn Ezra*. (Ny: State University of New York Press, 1991), 15.

٣٦ محمد جلاء إدريس، **التأثير الإسلاميّ في الفكر الدينيّ عند طائفة اليهود القرائين، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة** (٨) (القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة بجامعة القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، ١٣.

٣٧ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام الطَّبَرِي، (٢٢٤ هـ-٣١٠ ه/ ٨٣٩-٩٢٣م)، مفسّر ومؤرّخ وفقيه، ولُقِّبَ بإمام المفسرين.

٣٨ محمد جلاء إدريس، **التأثير الإسلاميّ في الفكر الدينيّ عند طائفة اليهود القرائين**، مرجع سبق ذكره، ١٤.

٣٩ المرجع السابق.

وفي السياق نفسه يقول موشيه تسوكر "يظهر التأثير الإسلاميّ العام على سعديا الفيوميّ في معظم أعماله التفسيرية للتوراة وأسفار العهد القديم الأخرى، كما يظهر التأثير في منهج فهم الدين اليهوديّ في عمل سعديا الرئيسي وهو كتاب "**الأمانات والاعتقادات**" والذي تبنى فيه الرؤية المنهجية التفسيرية لمدرسة المعتزلة الإسلاميّة، والتي من خلالها أسس سعديا الفيوميّ مدرسة الكلام اليهوديّة."[٤٠]

الإنتاج الفكريّ لسعديا الفيوميّ

قسَّم الدارسون كتابات سَعْدِيا خمسة أقسام رئيسية وهي: الأعمال اللغويّة، التفسيريّة، الجدليّة، الفلسفيّة، والتشريعيّة. أولًا: الأعمال اللغويّة هي: الأجرون، كتاب اللغة، تفسير السبعين لفظة المفردة. ثانيًا: الأعمال التفسيرية هي: تفسير الأسفار الخمسة وشرحها، ترجمة سفر أيوب، إشعياء، الأمثال، المزامير. ثالثًا: الأعمال الجدليّة وهي: الرد على عنان بن داود، كتاب التمييز، الرد على البلخيّ، وابن ساقوية، كتاب الفصول، كتاب المفتوح أو الواضح. رابعًا: الأعمال الفلسفيّة وهي تتمثل في كتاب الأمانات والمعتقدات. خامسًا: الأعمال التشريعيّة وهي: كتاب المواريث، أحكام الوديعة، كتاب الشهادة والوثائق، كتاب تفسير المحارم.[٤١] وهذا الإنتاج يبين الغنى والتنوع لدى كتابات الفيوميّ وتناولها لمجالات عديدة ومتنوعة.

الكتابات المنشورة حديثًا لسعديا الفيوميّ

يعود الفضل لنشر كتابات سعديا الفيوميّ إلى الأستاذة المتخصصين وعلى رأسهم دكتور أحمد محمود هويدي ومؤسَّسات الدولة التي اعتنت بهذا المشروع وهما: المركز القوميّ للترجمة والهيئة المصريّة العامة للكتاب، والكتابات المنشورة حتى الآن، هي:

١- **تفسير التوراة بالعبريّة تاريخ ترجمات أسفار اليهود المقدّسة** أخرجه وصححه: يوسف درينبورج، نقله إلى العربيّة وعلَّق عليه سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي، ٢٤٥٢ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٥م).

٢- **تفسير سفر أيوب وشرحه بالعربيّة**، أخرجه وصحَّحه وبيَّنه بالعبرانيَّة بنيامين زئيف باخر، نقله إلى الحرف العربيّ وعلق عليه أحمد محمود هويدي، ٢٩٢٢ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٨م).

٣- **شرح سعديا الفيوميّ لسفر التكوين**، حقق وقدم

٤٠ موشية مردخاي تسوكر، **التأثير الإسلاميّ في التفاسير اليهوديّة الوسيطة من مقدمة كتاب تفسير الرابي سعديا جاؤون لسفر التكوين، ترجمة أحمد محمود هويدي، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن** (القاهرة: مركز الدراسات الشرقيّة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م)، ٤.

٤١ يحيى ذكري، **علم الكلام اليهوديّ**، مرجع سبق ذكره، يمكن الرجوع إلى هذا المصدر لمعرفة تفاصيل أكثر على الكتب المذكورة هنا، ص ٢٧-٤٣؛ يمكن الرجوع أيضًا إلى مقدمة كتاب: سعيد بن يوسف المعروف بسعديا الفيوميّ، **الأمانات والاعتقادات**، سلسلة التراث الحضاري (٣٤)، تحقيق شريف حامد محمد سالم، مراجعة ودراسة أحمد محمود هويدي، مرجع سبق ذكره، ١٦-٢١.

النص بالعبريّ موشيه مردخاي تسوكر، نقله إلى الخط العربيّ وترجم مقدمته إلى العربيّة أحمد محمود هويدي، ٢٩٥٩ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٩م).

٤- **تفسير سفر الأمثال وشرحه بالعربيّة**، أخرجه وصححه وبيناه بحواشيه العبريّة دينبرج ومنير بن إلياهو لمبرط، نقله إلى الحرف العبريّ وقدم له وعلق عليه أحمد محمود هويدي، ٢٩٤٨ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٩م).

٥- **الأمانات والاعتقادات**، تأليف سعيد بن يوسف المعروف بسعديا الفيوميّ، تحقيق شريف حامد سالم (القاهرة: الهيئة العامة المصريّة للكتاب، ٢٠٢١م).

٦- **سفر دانيال كتاب الممالك والملاحم وما سيكون في ألف ٣٨٦ سنة**، ترجمة وشرح سعد بن يوسف الفيوميّ، شرح تنحوم الإسرائيلي، نقله إلى الحرف العربيّ وعلّق عليه حسين عبد البديع حسين، ٣٤٥٤ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٢٣م).

٧- **تفسير سفر التسابيح: من التراث العربيّ اليهوديّ**، نقله إلى الحرف العبريّ وقدم له أحمد محمود هويدي، ٣٤٧٥ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٢٣م).

قيمة ترجمات الفيوميّ

جاءت ترجمة التوراة كتلبيةٍ لرغبة من البعض بوجود ترجمة مبسطة، يقول سَعْدِيا في بداية تفسيره للتوراه "وإنما رسمت هذا الكتاب لأن بعض الراغبين سألني أن أفرد تبسيط نصّ التوراة في كتاب مفرد لا يشوبه شيء من الكلام في اللغة مصرفها ومبدلها ومقلبوها ومستعارها، ولا يدخل فيه قول من مسائل الملحدين، ولا من الرد عليهم، ولا من فروع الشرائع العقليّة، ولا كيف تعمل السمعيّة إلا إخراج معاني نصّ التوراة من خبر وأمر وجزاء على نسق ونظام مختصر، ولا يطول شغل من طلب منها قصة ما بما يخالطه من إقامة الحجة على كل فن فيثقل عليه."[٤٢] ويواصل سَعْدِيا عن الأسلوب الذي اتبعه، بالقول: "ولما رأيت ذلك رسمت هذا الكتاب **تفسير بسيط نصّ التوراة فقط محررًا بمعرفة النقل والعقل.**"[٤٣]

أصبحت لترجمات الفيوميّ مكانة وقيمة خاصة، يقول عبد المسيح استفانوس حول هذه الترجمة "وترجمته العربيّة للعهد القديم، التي اندثر بعضها، احتلت عند من يستخدمون العربيّة نفس مكانة الترجمة السبعينيَّة عند مَنْ يستخدمون اليونانيّة، بسبب انتشارها وتداولها في مختلف بلاد العالم"[٤٤] أما الفغالي فيذكر أنَّ: "أقدم ترجمة عربيّة للتوراة فهي ترجمة سَعْدِيا بن جاؤون الفيوميّ، وهو يهوديّ مصريّ ومدير (غاوون) مدرسة سورا الرابينيّة في بابلونيّة. ارتكزت هذه الترجمة إلى العبريّة، وأثّرت تأثيرًا كبيرًا على الترجمات اليهوديّة اللاحقة. من القرّائين، يافت بن عالي اللاويّ (القرن ١٠) الذي نقل

٤٢سَعْدِيا جاؤون الفيوميّ، **تفسير التوراة العربيّة تاريخ ترجمات أسفار اليهوديّة المقدّسة ودوافعها**، تقديم أحمد محمود هويدي، ترجمة سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٤)، ٨٠.

٤٣المرجع السابق.

٤٤عبد المسيح استفانوس، **تقديم الكتاب المقدّس تاريخه، صحته، ترجماته** (القاهرة: دار الكتاب المقدّس، ٢٠٠٨)، ١٠٤-١٠٥.

التوراة كلّها إلى العربيّة. وأبو الفرج فرقان بن أسد (القرن ١١) الذي نقل الأسفار الخمسة وهي موجودة اليوم في المتحف البريطانيّ. وهناك البنتاتوكس السامريّ الذي كان مستعملًا في القرن الحادي عشر الذي هيّأه أبو الحسن الصوري سنة ١٠٠٠، ثمّ أعاد النظر فيه أبو سعيد في القرن الثالث عشر..."[٤٥].

كما تأتي قيمة هذه الترجمة لمحاولة دمج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها قديمًا وحديثًا ووسطًا[٤٦] وكان هدفها تقريب أقوال التوراة إلى العقل، وذلك باستخدام الأسلوب الفلسفيّ والمنهج العقليّ... وهي ليست ترجمة حرفيّة بل ترجمة تفسيريّة للنصّ وقد هدف سَعْدِيا الفيوميّ من ترجمته تقريب أقوال التوراة إلى العقل الذي يعد أحد أهم خصائص الحضارة الإسلاميّة (في ذلك الوقت)، واستخدم سَعْدِيا في ترجمته الأسلوب الفلسفيّ والمنهج العقليّ.[٤٧]

النقد الذي وُجِّه للترجمة

لا براءة في الترجمة، وليس هناك ترجمة تخلو من العيوب والنقص، فالترجمة كأي عمل بشريّ يشملها النقص والعيب، ولكن الترجمات الكتابيّة تكمّل بعضها بعضًا. وُجِّه بعضٌ من النقد لترجمات سَعْدِيا الفيوميّ وخصوصًا التوراة باللغة العربيّة؛ يقول عبد المسيح استفانوس: "ولعل سعيد بن يوسف (الفيوميّ) هو أول مترجم للكتاب المقدّس قال صراحةً عن ترجمته إنّها ترجمة تفسيريّة مما ابتعد بالترجمة عن الدقة"[٤٨] ويتفق في هذا الرأي بولس الفغالي حيث قال في محيطه الجامع حول ترجمة سَعْدِيا الفيوميّ: "أما ترجمته فليست بدقيقة بل تشبه بإسهابها بما في الترجوم."[٤٩]

ووجد نقد العهد القديم في هذا القسم عند الربى سعديا جاؤون مكانا متميزًا؛ فرغم ثقته التامة -على سبيل المثال- في الروايات الخاصة بالمعجزات، ورؤيته لها بأنها برهان قاطع للألوهية التي تظهر وسط أحداث التاريخ اليهوديّ، وأنها دليل واضح على صدق روايات العهد القديم فقد سمح لنفسه عندما تدعو الضرورة- بتقريب المعجزات للعقل، فيفسرها مخالفًا الماسورا. ويدلل على ذلك في تفسيره لسفر التكوين بشأن الحية التي تكلمت مع حواء بأن الحية لم تتكلم ولكن الملاك بدلاً عنها (تكوين ٣: ١). ويفسر أتان بلعام بأنه لم يتكلم بل الملاك (عدد ٢٢: ٢٨).[٥٠]

يقول أبراهام بن عزرا (ت ١١٦٤م) في تفسيره للتكوين "كي تمجد الرب" (تكوين ٢: ١١)، "فقد ترجم سعديا أسفار موسى الخمسة إلى لغة إسماعيل وكتاباتهم، وذلك لكي يظهر أن

٤٥ بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم** (بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدّس، ٢٠٠٣)، ٣٣٨.

٤٦ سَعْدِيا جاؤون الفيوميّ: **تفسير التوراة العربيّة تاريخ ترجمات أسفار اليهوديّة المقدّسة ودوافعها**، تقديم أحمد محمود هويدي، ترجمة سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٤) ١٤.

٤٧ المرجع السابق، ١٧

٤٨ عبد المسيح استفانوس، **تقديم الكتاب المقدّس تاريخه، صحته، ترجماته**، مرجع سبق ذكره، ١٠٤-١٠٥.

٤٩ بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، مرجع سبق ذكره، ٣٣٨.

٥٠ زالمان شازار (تحرير)، **تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث**، تحرير ترجمة أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة، رقم ٢٠٤، ٢٠٠٠م)، ٦٤-٦٥.

التوراة تشمل أمورًا مقبولة. ربما سهل هذا استخدام هذه الترجمة أيضًا على يد السامريين وبواسطة بعض الطوائف المسيحيّة مثل الأقباط."[٥١] وهذا الأمر مناقض لبعض الافتراضات العامة للعلماء، وذلك على الرغم من أنَّ الكتَّاب المسلمين في العصور الوسطى لم يتبعوا ترجمة سعديا، ويبدو أنهم قد فضَّلوا عليها ترجمات مسيحيّة أو ترجمات يهوديّة.[٥٢]

نقلت ترجمة سعديا العربيّة للتوراة إلى حروف عبريّة وذلك بواسط اليهود، حيث كان ذلك شائعًا بينهم، لكن توجد أيضًا مخطوطات لتفسير كتب موسى الخمسة بحروف عربيّة.[٥٣] وقد أشار النديم في كتابه "الفهرست" إلى أنه في عصر الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣م) قام مترجم اسمه أحمد بن عبدالله بن سلام الذي كان مسيحيًّا ثم أسلم وقد ترجم من العبريّة واليونانيّة التوراة والأناجيل، وحسب ابن النديم يذكر: "قال أحمد بن عبدالله بن سلام ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانيّة واليونانيّة والصابيّة وهي لغة أهل كل كتاب إلى العربيّة حرفًا حرفًا ولم أبتغ في ذلك تحسين لفظ أو تزيينه مخافة التحريف ولم أزد على ما وجدته في الكتاب الذي نقلته ولم أنقص إلا أن يكون في بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب... وأعوذ بالله أن أزيد في ذلك أو أنقص منه إلا على الوجه الذي ذكرته وبينته."[٥٤]

وعلى الرغم مما يُوجَّه لهذه الترجمة من النقد إلا أن هذا النقد لا يضعف من قيمتها في محاولة لعبور جسر اللغة والثقافة وصولًا للفهم، وهو هدف محمود ومقبول.

منهج الفيوميّ في الترجمة

للفيوميّ منهج خاص خطه لنفسه في الترجمة تتلخص ملامحه في الآتي:

١- حرصه على الجوانب اللغويّة، من أجل وضع المعنى الواضح لأسفار التوراة.

٢- على الرغم من أنه يفضل المنهج البسيط في الشرح والتفسير إلا أنه في حالة تعارض هذا التفسير الحرفي البسيط مع العقل فإنه لا يمانع في الأخذ بمنهج الدارش أو المنهج الرمزيّ.

٣- كان يصدر ترجمة لكل سفر، أو تعليقه عليه بمقدمة يشرح فيها موضوع السفر وفكرته والهدف من الشرح.

٤- كان يمل في الغالب إلى مناقشة المسائل العقائديّة والدينيّة من خلال الشرح والتفسير.

والأعمال الصادرة عن هذا المنهج لقيت إقبالًا من اليهود في عصره وبعده، حتى إن بعض الباحثين قد ذكر أنها قد أصبحت التوراة الموثوق بها عند الناطقين بالعربيّة من اليهود كما تركت تعليقاته تأثيرًا عميقًا على

٥١ حافة لازاروس يافيه، **الإسلام وتقد العهد القديم في العصر الوسيط**، ترجمة محمد طه عبد الحميد، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع ٢٠١٨م)، ٢٤٣-٢٤٤.

٥٢ المرجع السابق.

٥٣ المرجع السابق، ٢٤٢.

٥٤ أبو الفرج محمد أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم الوراق البغدادي (ابن النديم، ت ٤٣٨ هـ)، **الفهرست** (سوسة، تونس: دار المعارف، ١٩٩٤): ٣٣.

الشارحين اللاحقين عليه.[٥٥]

بعض نماذج سعديا في الترجمة

النموذج الأول: المزمور الأول

[١]طوبى أمرء لم يسلك في مشورة الفاسقين،

وفي طرق الخاطئين لم يقف،

وفي محاضر الدهاة لم يجلس.

[٢]بل يكون في شرائع الله مراده

وفي توراته يدرس النهار مع الليل.

[٣]فإنه يكون كشجرة مغروسة على أقسام ماء،

تخرج ثمرها في وقته،

وورقها لا يسقط،

وكل ما يعمل ينجح فيه.

[٤]ليس اذلك الفاسقون

بل هم كالهشيم الذي تدفعه الرياح.

[٥]كذلك لا ثبات لهم في موقف الحكم

ولا الخاطئين في محضر الصالحين.

[٦]والله عالم بطرق الصالحين أنها ثابتة،

وسبل الظالمين تبيد.[٥٦]

النموذج الثاني: سفر الأمثال ٣٠: ٧-٩

[٧]أسألك خلتين لا تمنعهما مني إلى أن أموت:

[٨]قول الزور والكذب امنعهما عني،

بأن فقرًا أو غناء لا تعطيني،

بل أرزقني من الطعام قوتي.

[٩]كيلا أستغني فأكفر وأقول من الله،

وكيلا أفتقر فأسرق وأمتهن اسم ربي.[٥٧]

النموذج الثالث: سفر الأمثال ٣٠: ١٠-٣١

[١٠]الامرأة الصالحة من ذا يجدها، وأبعد من الجواهر امتلاكها، [١١]وقد وثق بها قلب بعلها، وما تعوزه غنيمة، [١٢]بما توليه خير لا الشر، طول أيام حياتها، [١٣]وتطلب منه الصوف والكتان، وتعمل بهما كما في طبع يديها، [١٤]وصارت كسف التاجر، تأتي من بعد بطعامها، [١٥]وتقوم وعاد الليل، وتعطي مكاسبًا لآل بيتها، وضرائبًا لجوارها، [١٦]وإن همت بضيعة اشترتها، ومن ثمر كفيها قد غرست كرومًا [١٧]وشددت حقويها بعز وأيدت ذراعيها. [١٨]ولما ذاقت أن متجرها جيد فهي لا يطفئ بالليل سراجها، [١٩]ومدت يديها بنجاح وكفاها دعمتا المغزل [٢٠]وبسطت كفها للضعيف ومدت يدها للمسكين [٢١]لا تخاف على أهل بيتها من الثلج، إذا كلهم لابسون قرمزًا [٢٢]وقد صنعت لها نجودًا من بوص وارجوان لباسها، [٢٣]وبعلها معروف في المحال، إذا جلس مع شيوخ البلد، [٢٤]وقد تصنع إزرًا ستبيعها، ومآزر فتعطيها للمجهزين، [٢٥]وإذا العز والبهاء لباسها، هي تسر بالأيام المستقبلة [٢٦]وتفتح فاها بحكمة وشرائع البر في لسانها [٢٧]مطلعة مذاهب بيتها وخبز الكسل لا

٥٥ بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، مرجع سبق ذكره، ٣٧

٥٦ سعديا بن يوسف الفيوميّ، **تفسير سفر التسابيح**، من التراث العربيّ اليهوديّ، نقله إلى الحرف العبريّ وقدم له أحمد محمود هويدي، ٣٤٧٥ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٢٣م)، ٥١.

٥٧ سعديا جاؤون بن يوسف الفيوميّ، **تفسير سفر الأمثال وشرحه بالعربيّة**، أخرجاه وصححاه بحواشٍ بالعبريّة: يوسف درينبرج ومئير بن إليهاو لمبرط، نقله إلى الحرف العربيّ وقدم له وعلق عليه: أحمد محمود هويدي، ٢٩٤٨ (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٩م)، ٢٤٧.

تأكله [٢٨]فيقومون بنوها يصفونها وبعلها يمدحها [٢٩]يقولون كثير من النساء اكتسبن الصلاح، وأنت عليت على جميعهن، [٣٠]فالحظاء باطل والجمال غرو، وامرأة تتقي الله هي التي تمدح، [٣١]أعطوها الآن من ثمر يدها، ويمدها في المحال أعمالها. (٥٨)

التأثير الإسلاميّ على ترجمة سعديا الفيوميّ:

هل تأثر سعديا بالفكر الإسلاميّ ولا سيما الفكر المعتزليّ؟ في بحث لعادل زكري حول: "الأثر المعتزليّ في ترجمة التوراة لسعديا جاؤون الفيوميّ"[٥٩] يجيب على ذلك ويذكر بعض النماذج لتأثر سعيديا بالفكر المعتزليّ في الترجمة: في خروج ٢٤ عندما تكلم الله مع شعب بني إسرائيل، يقول النص البيروتي إن الشعب "رأوا الله" (ع. ١١)، لكننا نجد الفيوميّ يترجمها "نظروا نور الله".[٦٠] وقبل ذلك عندما رأى موسى العليقة المشتعلة "خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ" (خروج ٣: ٦)، فيترجمها الفيوميّ أنه خاف أن ينظر "نور الله".[٦١] وفي خروج ٣٣ يقول الله لموسى "وَجْهِي يَسِيرُ فَأُرِيحُكَ" (ع. ١٤) لكن الفيوميّ يترجمها "نوري يسير معك".[٦٢]

خروج ٣٣: ١٨-٢٣ (سعديا الفيوميّ)	خروج ٣٣: ١٨-٢٣ (ترجمة فانديك)
قال: أرني الآن **وقارك**. قال له: أنا أمر **بجميع نوري** بين يديك، وأنادي بحضرتك، وأرؤف على من أرؤف، وأرحم لمن أرحم. وقال له أيضًا: لا تستطيع أن تنظر **أول نوري**، لأنه لا يراه إنسان فيحيا. فقال له الله: فهوذا موضع عندي انتصب على الصوان. فإذا مرّ بك **نوري** صيرتك في نقور الصوان، وظللت بسحابي عليك حتى يجوز أوله. ثم أزيل سحابي حتى تنظر **أواخر نوري**. **وأوائله** لا ترى.[٦٣]	فَقَالَ: أَرِنِي **مَجْدَكَ**. فَقَالَ: أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ. وَقَالَ: لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى **وَجْهِي**، لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ. وَقَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا عِنْدِي مَكَانٌ، فَتَقِفُ عَلَى الصَّخْرَةِ. وَيَكُونُ مَتَى اجْتَازَ **مَجْدِي**، أَنِّي أَضَعُكَ فِي نُقْرَةِ مِنَ الصَّخْرَةِ، وَأَسْتُرُكَ بِيَدِي حَتَّى أَجْتَازَ. ثُمَّ أَرْفَعُ يَدِي فَتَنْظُرُ **وَرَائِي**، وَأَمَّا **وَجْهِي** فَلاَ يُرَى.

الجدول من دراسة عادل ذكري

يتضح من الجدول –حسب ذكري– أن الفيوميّ يفضل تعبير "نور الله" بدلاً من تعبير "وجه الله" الذي ينطوي على تجسيم واضح. نفس الشي تعبير "ورائي" الذي يعني "خلف" أو حتى "قفا" الله، يلجأ الفيوميّ إلى وصف ذلك بأواخر نور الله في مقابل "أول نور" الله، أي وجهه، ويستبدل كلمة "مجدي"

٥٨ المرجع السابق، ٢٦٠-٢٦١.

٥٩ عادل زكري ذكري، **الأثر المعتزليّ في ترجمة التوراة لسعديا جاؤون الفيوميّ**، متاح على https://christopraxy.blogspot.com وتم الاطلاع عليه في ١ يناير ٢٠٢٥م.

٦٠ سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيوميّ، **تفسير التوراة بالعربيّة**، أخرجه وصححه يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربيّ وقدم له وعلق عليه سعيد عطية مطاوع، وأحمد عبد المقصود الجندي، (المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥)، ٢٥٠.

٦١ المرجع السابق، ٢٠١.

٦٢ المرجع السابق، ٢٧٤.

٦٣ المرجع السابق، ٢٧٤، ٢٧٥.

بنوري أو وقاري أحيانًا.[٦٤]

تطبيق من الترجمة أبناء الله تكوين ٦: ١-٢ حسب ترجمة الفيوميّ

النص هو فن القول، والتفسير هو فن الفهم، ولذلك يُقَال: إنَّ الترجمة تفسير، والتفسير هو فن الفهم. ورد في ترجمة فانديك الآتي: "وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنَّ **أَبْنَاءَ اللهِ** رَأَوْا **بَنَاتِ النَّاسِ** أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا." (تكوين ٦: ١-٢). وتناول الفيوميّ هذا النصّ في ترجمته كالتالي: "ولما ابتدأ الناس يكثرون على وجه الأرض وولد لهم بنات، رأوا **بنو الأشراف بنات العامة** أنهن حسان، فاتخذوا لهم نساء من جميع ما اختاروه."[٦٥]

ثلاث مدارس تفسيريّة "لأبناء الله":

قامت على هذه النصّ لتفسير "أبناء اللّه" ثلاث مدارس تفسيريّة لصعوبتّه، ونحن هنا نحاول سرد المدارس الثلاث لنفهم ما هو قصد الفيوميّ من وراء ترجمته. هذا النص يعبر عن مشكلة تفسيرية، يقول والتر كايزر وآخرون معه: "إنه أمر مربك ومحير إلى أبعد حد"[٦٦] وقد قسَّم كايزر وآخرون معه هذا الأمر المربك والمحير في مدارس الثلاث: الأولى، امتزاج الأجناس الكونيّة الملائمة والبشر، الثانية، امتزاج الأجناس دينيًا نسل شيث الأقوياء ونسل قايين الدنيويين، الثالثة، امتزاج الطبقات الاجتماعيّة (الذكور من الأرستقراطيين المتغطرسين والفتيات الجميلات من طبقات العامة).[٦٧] وقد سار أشرف عزمي على نهج كايزر حيث ذكر ثلاث مدارس وهي: نظرية اختلاط الملائكة بالبشر (أبناء إلوهيم هم الملائكة). نظرية الاختلاط الدينيّ (أبناء إلوهيم هم نسل شيث). نظرية الاختلاط الاجتماعيّ (أبناء إلوهيم هم النبلاء والأمراء).[٦٨] وعلى هدي هؤلاء سأقسم النظريات الثلاث في سياقات ثلاث وهي: السياق

٦٤ عادل زكري ذكري، **الأثر المعتزليّ في ترجمة التوراة لسعديا جاؤن الفيوميّ**، مرجع سبق ذكره.

٦٥ سعديا بن جاؤون بن يوسف الفيوميّ، **تفسير التوراة بالعربيّة**، مرجع سبق ذكره، ٥٢.

٦٦ والتر كايزر الأصغر، بيتر ه. دي يدز، ف. ف. بروس، ما نفريد ت. بروتش، **أقوال صعبة في الكتاب المقدّس الجزء الأول المقدمات أسفار الشريعة**، ترجمة وليم وهبة (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١١م)، ١٢١. ناقش كايزر وآخرون في هذا المرجع هذه القضية في صفحات ١٢٠-١٢٣.

٦٧ المرجع السابق، ١٢١.

٦٨ أشرف عزمي، **في البدء تفسير لغوي ولاهوتيّ وتاريخي لسفر التكوين ١-١١** (القاهرة: المؤلف، ٢٠١٧م)، ٢٥٣-٢٦٢.

الكوني (ملائكة ساقطة وبشر)، السياق الدينيّ (نسل شيث في مقابل نسل قايين)، السياق الاجتماعيّ (الطبقة العليا في مقابل الطبقة الدنيا).

المدرسة الأولى: السياق الكوني (ملائكة ساقطة وبشر)

تنادي هذه المدرسة بأن الملائكة (أبناء الله) يتزوجون (بنات الناس)، وتعود الى كتابات علماء اليهود القديمة والكتابات الأبوكريفيّة، مثل سفر أخنوخ والإصحاح ٦ وهو تفسير كوني للحدث، وتنادي بأنَّ كائنات غريبة تتزوج من البشر وينتجون كائنات أغرب. هذه النظرية "الملائكة الساقطة" تعتبر أقدم نظرية تفسيريّة لهذا النصّ، وقد تبناها آباء الكنيسة الأولى. هذه أقدم نظرية وتفسير لهذا النص، وذكرها أخنوخ السابع من آدم، وفيلو الإسكندري، ويوسيفوس، ومخطوطات البحر الميت، وترد أصداء في العهد الجديد في ٢بطرس ٢: ٤، يهوذا ٦، ٧. ونادى بهذا التفسير مسيحيُّون مثل: جاستن مارتر، إريناويوس، أكلمندس السكندري، ترتليانوس، أوريجانوس.[٦٩]

جاء في الفصل السابع من سفر أخنوخ الأول: وحصل أنه حين تكاثر البشر، وُلد لهم بنات غضات جميلات. نظر إليهن الملائكة، أبناء السماء، واشتهوهن. وقال الواحد للآخر: لنختر نساء وسط البشر ونلد أولادًا. فقال لهم شميحزا رئيسهم: أخاف أن تتراجعوا وأخطأ وحدي خطيئة كبيرة. أجابوه كلهم: نحلف كلنا ونحرم بعضنا بأننا لا نتراجع عن هذا القصد، بل نتمه ونعمل الأمر. حينئذٍ حلفوا كلهم معًا وحرموا نفوسهم بأن لا يتراجعوا عن ذلك. **كانوا كلهم مئتين**. نزلوا في زمن يارد على جبل حرمون. سمي الجبل "حرمون" لأنهم هناك حلفوا وحرموا نفوسهم.[٧٠]

ويكمل أخنوخ في الفصل السابع: هؤلاء وجميع رفاقهم أخذوا لهم نساء، واحدة لكل منهم، وشرعوا يقربوهن ويتدنسون بهن. علموهن العقاقير والسحر وعلم النبات، وأروهن الأعشاب. حبلت النسوة وولدن الجبابرة بقامة **ترتفع ثلاثة آلاف ذراع**. فأكلوا كل ثمر تعب البشر، بحيث لم يسع البشر بعد أن يطعموهم. فتحالف الجبابرة عليهم ليقتلوهم وافترسوا بشرًا. وشرعوا يخطئون مع جميع الحيوان والطير والبهائم والزحافات والسمك، بل افترسوا بعضهم بعضًا. وشربوا الدم. حينئذ اشتكت الأرض على المجرمين بسبب ما فعلوا.[71]

يذكر أخنوخ أن ٢٠٠ ملاكًا تزوجوا من بنات الناس، وأنجبوا الجبابرة في الأرض وطولهم ثلاثة آلاف ذراع، وبالتالي قضوا على الأخضر واليابس. وتتعارض هذه النظرية مع النموذج الذي وضعه الله في الزواج حسب قصة الخلق: **الزواج في الكتاب المقدّس وفق قصة الخلق حصري على رجل وامرأة**، وهو نموذج وضعه الله منذ البدء: "فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟" (متى ١٩: ٤).وهي نفس الصورة في النموذج الأول الذي خلقه الله في جنة عدن: "فَخَلَقَ

69 Gordon J. Whenham, *Genesis 1-15*, World Biblical Commentary (U.S. A.: Zondervan, 1987), 139.

٧٠ بولس الفغالي، **أخنوخ سابع الآباء كتاب أخنوخ أو أخنوخ الأول وأسرار أخنوخ أو أخنوخ الثاني**، سلسة على هامش الكتاب ٣ (بيروت: الرابطة الكتابية، ١٩٩٩م)، ٣١.

٧١ المرجع السابق، ٣٣.

اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ." (تكوين ١: ٢٧).

وأكبر اعتراض عليها أنها لا تتناسب مع قصة الطوفان لأنَّ الطوفان كان دينونة ضد الجنس البشريّ (تكوين ٦: ٣-٥) وليس ضد الكائنات السماويّة. وفي العهد القديم نجد تشبيه بعض الناس بأنهم أبناء الله ما ورد في المزامير: "قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ، قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدًا وَعِزًّا" (مزمور ٢٩: ١). وفي سفر أيوب: "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ." (أيوب ١: ٦).

كما إنها تتعارض مع قول المسيح: "لأَنَّهُمْ فِي الْقِيَامَةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ. (متى ٢٢: ٣٠). كما أنَّ هذا التفسير التقليديّ له مردود في تراثنا الفلكلوريّ لفكرة الإنسان المخاوي أو المرأة المخاوية، أي من له علاقة جنسية بالشيطان. بعض الكتاب والوعاظ المعاصرين ينادون بهذه الفكرة، أي مازال لها صدى حتى اليوم.[٧٢]

المدرسة الثانية: السياق الدينيّ (أبناء شيث وأبناء قايين)

النظرية الثانية تقوم على الرؤية الكتابية القائمة على أن: أبناء الله هم نسل شيث، وهم الناس الطيبون (تكوين ٥). وبنات الناس هن نسل قايين (تكوين ٤: ١٧-٢٤): ملامح العنف وغياب الغفران، من نسل قايين لامك يكسر نموذج الزواج حيث يتزوج بامرأتين. الذي حدث هو اختلاط نسل قايين في تكوين ٤ مع نسل شيث في تكوين ٥ الله منذ البدء وضع حدودًا وفواصل. أخذ بهذا التفسير أوغسطينوس ولوثر وكلفن، الخطية هي الزواج المختلط بين أولاد شيث وبنات قايين، وأن الطوفان جاء نتيجة لهذا الاختلاط. وبالتالي أبناء

٧٢ يمكن الرجوع حول زواج الملائكة الساقطين بالبشر إلى مؤلف الأخ يوسف رياض عن: **الشيطان شخصيته أعماله مصيره** (القاهرة: مكتبة الإخوة، ١٩٩٢م)، ٢٩٩-٣٠٧.

اللّه يتزوجون بنات اللّه، العيلة أيقونة اللّه "لاَ تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَالإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟" (٢كورنثوس ٦: ١٤).

وقد أخذ بهذه النظرية خط التفسير المسيحيّ من القرن الثالث مع أوغسطينوس، وممن بعده مارتن لوثر وجون كالفن.[٧٣] وتعتبر هذه النظرية أن أبناء اللّه هم "نسل شيث" وبنات الناس هم نسل قايين ولكن يوجد اعتراض لغويّ على هذه النظريّة، فتكوين ٦: ١ يقول "وكان أن بدأ هأدام (كل الجنس البشريّ) يكثرُ على وجهِ الأديمِ، وبناتٌ (بنات كل الجنس البشريّ) وُلِدن لهُم" من الصعب اختزال معنى هأدام لتشير فقط إلى نسل شيث وكذلك "بنات" لتشير فقط إلى نسل قايين. الأسئلة التي تطرح على هذه النظرية هي: هل الزواج المختلط مبرر لدمار الأرض؟ معنى تصورات قلب الإنسان هو شرير كل اليوم؟ هل زواج نسل شيث من نسل قايين ينتج جبابرة وعمالقة؟ وما هو معنى الجبابرة؟

بالرغم من أي نقد يوجه لهذه المدرسة فهي مقبولة من ناحية التفسير السياقيّ الكتابيّ ولا سيما بين إصحاحي ٤، ٥ من سفر التكوين كلمة الجبابرة أصلها العبريّ "نفاليم" وتعني الذين يهاجمون، يمكن مقارنتها مع ما ورد في سفر العدد: "وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاق مِنَ الْجَبَابِرَةِ. فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ." (عد ١٣: ٣٣). فهذه المدرسة أكثر معقولية من المدرسة الأولى.

المدرسة الثالثة: السياق الاجتماعيّ (النبلاء في الأرض وبنات العامة، الأغنياء والفقراء)

المدرسة الثالثة وقد أخذ بها التفسير اليهوديّ في العصر الوسيط وعلى رأسها سعديا الفيوميّ، حيث تؤكّد على فكرة الحكام الشرفاء والنبلاء والأمراء-والفكرة التي وراء هذه النظرية هي أن الشرفاء ومن هم في مكانة اجتماعيّة كبيرة مارسوا الظلم الاجتماعيّ واتخذوا لنفسهم ما طاب من النساء وبهذا يكونوا قد كسروا الترتيب الإلهيّ وأكثروا من النساء وفوق هذا طبعًا اهتمامهم بالنساء جعلهم يتركون مسؤوليتهم في الاهتمام بمن أقامهم الرب عليهم ليهتموا بهم، وأساءوا استخدام السلطة... إلخ، طبعًا في الثقافات القديمة وبالأخص المصريّة والشرق الأدنى القديم، الأمراء والنبلاء والشرفاء وصفوا بأنهم أبناء الآلهة، حتى القضاة وصفوا بأنهم آلهة (مزمور ٨٢: ٦ ويوحنا ١٠: ٣٤). وما يؤيد هذه الفكرة حسب والتون بقوله: "في الشرق الأدنى القديم كان يفهم عامة أن الملوك لهم علاقة البنوة بالإله. وكثيرًا ما كان يتم اعتبارهم أنهم قد ولدوا من الإله."[٧٤]

في هذه النظرية أبناء اللّه هم الحكام الأمراء الأغنياء الشرفاء (الطبقة العليا). بنات الناس هم عامة الشعب من الفقراء والطبقات الدنيا من نادوا بهذه التفسير هم يهود

٧٣ أشرف عزمي، **في البدء تفسير لغوي ولاهوتيّ وتاريخي لسفر التكوين ١-١١**، مرجع سبق ذكره، ٢٥٦.

٧٤ جون ه. والتون. فيكتور ه ماثيو. مارك و. تشافالاز، **الخلفية الحضارية للكتاب المقدّس العهد القديم: الجزء الأول أسفار الشريعة**، ترجمة هدى بهيج (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٢م)، ٣٧.

العصر الوسيط وعلى رأسهم سعديا الفيوميّ الذي ترجم النص كالآتي: "النبلاء في الأرض تزوجوا من بنات العامة". موقف فرعون مع سارة (تكوين ١٢: ١٠-١٣)، موقف داود مع بثشبع (٢صموئيل ١١)، نوع من الاستغلال والطبقية. مفهوم الخطية التي ثار الله عليها هي الظلم، والاستغلال، والفساد وتعدد الزوجات والعنف والقتل الذي تميز به نسل قايين.

وفي تفسير سفر التكوين يقول سعديا وجميع ما قاله في الثلاث فقرات الأخيرة حقق أن أبناء الرب ناس لا غير ذلك لأن الحكمة توجب تساوي الغازيين في الإنكار والتهديد والوعيد والعقوبة، ورأينا الكتاب في أربعتها يذكر الناس فقط لا يضم إليهم غيرهم. فعلمنا أن أبناء الله وبنات البشر هو جميعهم ناس لأنه في باب الإنكار قال: "فلما رأى الله أن شر الناس في الأرض" (تكوين ٦: ٥). ولم يقل "وشر أبناء الله".

وفي التهديد قال: "تواعدهم الله بما صنعهم في الأرض" (تكوين ٦: ٦) ولم يقل: "أبناء الله في السماء". وفي الوعيد قال: "أمحو الناس الذين خلقتهم" (تكوين ٦: ٧) ولم يقل: "وأبناء الله في السماء." وفي العقوبة قال: "ومحى الماء كل الناس" (تكوين ٧: ٢٣) ولم يكن شيئًا آخر مستحكمًا الهلاك فيضيفه إليهم. ويقع قوله: "شر الإنسان على كل شيء" وعيونها ثلاثة: العبادة الأجنبية كما قال: لم يرجع يربعام عن طريقه الردية... وظهرت الردية وكيف أصنع هذا الشر الكبير (١ملوك ١٣: ٣٣). وفي سفك الدماء: "حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي، بمسيح الرب، فأمد يدي إليه" (١صموئيل ٢٤: ٦) وأشر من الجميع فساد الاعتقاد في معنى الربوبية والتعبد قول داود: "وأنت يا سليمان ابني، أعرف إله أبيك وأعبده بقلب كامل وبنفس راغبة" (١أخبار الأيام ٢٨: ٩).

وقوله: "أحفظ هذه إلى الأبد في تصور أفكار قلوب شعبك، وأعد قلوبهم نحوك" (١أخبار الأيام ٢٩: ١٨).[٧٥]

ويواصل سعديا بالقول: وأما ظنه الظان ان قوله: "هم الجبابرة" معلل بنسل أبناء الله وأن هذا يقوي أنهم ملائكة، فإنَّ الأمر ليس كما ظن، وإنما قال: "وكان الجبابرة في الأرض في ذلك الزمان" (تكوين ٦: ٤). لموضع طول الأعمار؛ لأنه من المعلوم أن بقاء كل جسم طبيعي على قدر قوته. فلما كان أولئك عشرة أضعاف أعمارنا وجب أن تكون قوة أجسامهم عشرة أضعاف قوتنا بالتقريب.[٧٦]

٧٥ سعديا بن يوسف الفيوميّ، **شرح سعديا الفيوميّ لسفر التكوين**، حقق وقدم النص بالعبريّ موشيه مردخاي تسوكر، نقله إلى الخط العربيّ وترجم مقدمته إلى العربيّة أحمد محمود هويدي (القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، العدد رقم ٢٩٥٩، ٢٠١٩م)، ٢٤٦-٢٤٧.

٧٦ المرجع السابق، ٢٤٦.

من خلال عرض ما سبق للنظريات الثلاث: السياق الكوني (ملائكة ساقطة وبشر)، السياق الدينيّ (اختلاط نسل شيث ونسل قايين)، السياق الاجتماعيّ (الطبقة العليا ومع الطبقة الدنيا)، نجد أن تنوع النظريات التفسيرية هي نوع من الغنى لفهم النص الدينيّ. وحسب كايزر لا بد من التخلي عن نظرية الاختلاط الدينيّ مثل امتزاج الأجناس الكونية، فكلتا النظريتين لا سند لهما من النص نفسه، ويفضل كايزر نظرية الامتزاج الاجتماعيّ؛ فأبناء الله إشارة مبكرة ولكنها مثالية لألقاب الشرف للملوك والنبلاء والأرستقراطيين في نظام الشرق الأدنى القديم فهؤلاء الطغاة لم يطمعوا في القوة فحسب، بل انساقوا بقوة وراء شهوة أن يكونوا ذوي اسم حسب ما ورد في النص (تكوين ٦: ٤).[٧٧] وفي رأينا أن النظرية الثانية والثالثة هما أكثر معقولية من النظرية الأولى.

حيث إنَّ مصطلح أبناء الله لديه حساسيّة في المجتمع الإسلاميّ، وبالتالي استخدم سعديا الفيوميّ النبلاء أو الشرفاء في الأرض. وهو ما يذهب إليه عادل زكري في دراسته بأنه يظهر جليًّا أن سعديا الفيوميّ تأثر برفض المعتزلة للتجسيم والتشبيه في ترجمته للتوارة، مما جعله يفضل تعبير "نور الله" بدلاً من "وجه الله"، وأحيانًا "قدرة الله" عن "يد" أو "إصبع الله". واستبدال كلمة "الله" بـ"ملاك الله". هذا فضلاً عن تأثره بمناهج التفسير والتأويل أيضًا، مما جعل الباحثين الإسلاميّين يبرزون دور الفكر الإسلاميّ في تطور الفكر اليهوديّ. لكننا رأينا أن المعتزلة هو بدورهم قد تأثروا بالجدل المسيحيّ، وأن رفض التجسيم كان مستقرًّا في المسيحيّة قبل ظهور الإسلام.[٧٨]

الفيوميّ في ترجمته هذه نَقَلَ النصّ من التفسير الكونيّ (ملائكة يتزوجون بشرًا)-الذي أخذ به البعض من المفسرين المصريّين المعاصرين-منافية للعقل والواقع إلى التفسير الطبقيّ وهو رجال من طبقةٍ عليا (الأشراف أو النبلاء في الأرض) يتزوجون نساء من طبقةٍ دنيا، وهذا التفسير على العموم مقبول في البيئة العربيّة الإسلاميّة التي حرص الفيوميّ عليها، ومع سياق التفكير الكتابيّ حيث حصر الزواج في قصة الخلق حول رجل وامرأة. ونتيجة لذلك نخلص إلى القول إنَّ الترجمات والتفاسير العربيّة للنصّ الكتابيّ تعبر عن السياق اللاهوتّي والثقافيّ وهذا ما يميزها، وهذا أيضًا ما يجعلها غنية في المبنى والمعنى.

٧٧ المرجع السابق، ١٢٢-١٢٣.

٧٨ عادل زكري ذكري، **الأثر المعتزليّ في ترجمة التوراة لسعديا جاؤون الفيوميّ**، مرجع سبق ذكره.

خاتمة

في النهاية، سعديا الفيوميّ كمصريّ يهوديّ يُعدُّ علامة فارقة في تاريخ الترجمات العربيّة للكتاب المقدّس؛ إذ هو ابن البيئة الشرق أوسطيّة، التي عاش فيها، وأنتج من خلالها وفق معطيات عصره، تنوّع في إنتاجه الفكريّ والأدبيّ وقدّم أعمالًا متميزةً يمكن أن نستفيد منه حتى بعد مرور هذا التاريخ الطويل عليه، ويحتاج منا إلى إعادة قراءة لمشروعه الفكريّ في ندوات وحلقات بحث ودراسات ومساقات/مناهج في كليات اللاهوت حول مشروعه الفكريّ الذي ظهر في أعماله المتنوعة، وقد قامت بالفعل كلية لاهوت الشرق الأدنى Nest في بيروت لبنان بتقديم كورس عن سعديا الفيوميّ ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، قدَّمه الدكتور القس رياض قسّيس، وهي سابقة طيبة يمكن أن نبني عليها لكي نستفيد من الكنوز التي لدينا في حقل دراسات ترجمات وتفسير الكتاب المقدّس في الشرق.

ولتكن هذه الدراسة -التي أعددناها- هي نواة لدراسات أخرى بجانب الدراسات التي قُدِّمت من قبل حول الفيوميّ في دراستنا العربيّة المسيحيّة للعهد القديم، ويمكن أن نستفيد من خلال رؤية الفيوميّ للترجمة في واقعنا الحالي حيث نستفيد من تراكم الخبرات المعرفيّة في حقل الترجمات العربيّة للكتاب المقدّس.

وسيبقى الفيوميّ علامة مضيئة في شرقنا العربيّ دليلًا على التنوع والتعدّد الخلاق داخل الحضارة العربيّة الإسلاميّة في العالم العربيّ والشرق الأوسط. ونحن نحتاج لهذه الرؤى المتعدّدة القديمة والحديثة لفهم النصّ الدينيّ لأنَّ فهم النصّ مرتبط بتطوير الخطاب الدينيّ، الذي نحن في أمس الحاجة إليه اليوم، وسيبقى التفسير هو فن الفهم. وأملي تبني الخبرة التراكميّة في ترجمة النصوص الدينيّة، فالمترجم لا يبدأ من فراغ. أختم دراستي بقول الفيوميّ: "الرأي المحمود، حميد في الدارين: العدل والاعتدال."[٧٩]

المراجع

إبراهيم، حسن حسن كامل. **الآراء الكلاميّة لموسى بن ميمون والأثر الإسلاميّ** فيها. سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة العدد (٧). القاهرة: مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ١٢٤٢هـ، ٢٠٠٣م.

ابن المقفَّع، الأنبا ساويرس. **الدر الثمين في إيضاح الدين**. القاهرة: أبناء البابا كيرلس السادس، د. ت.

إدريس، محمد جلاء. **التأثير الإسلاميّ في الفكر الدينيّ عند طائفة اليهود القرائين، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة** (٨). القاهرة: مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

استفانوس، عبد المسيح. **تقديم الكتاب المقدّس تاريخه، صحته، ترجماته**. القاهرة: دار الكتاب المقدّس، ٢٠٠٨م.

بباوي، وليم وهبة (المحرر). **الترجمة العربيّة**، دائرة المعارف الكتابيّة، الجزء الثاني. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٠م.

البغدادي، أبو الفرج محمد

٧٩يحيى ذكري، **علم الكلام اليهوديّ**، مرجع سبق ذكره، ٢٥٩.

ابى يعقوب اسحاق بن محمد بن اسحاق النديم الوراق (ابن النديم، ت ٤٣٨ هـ). **الفهرست**. سوسة، تونس: دار المعارف، ١٩٩٤م.

تسوكر، موشية مردخاي. **التأثير الإسلاميّ في التفاسير اليهوديّة الوسيطة من مقدمة كتاب تفسير الرابي سعديا جاؤون لسفر التكوين، ترجمة أحمد محمود هويدي، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن**. القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.

تسوكر، موشيه مردخاي. **التأثير الإسلاميّ في التفاسير اليهوديّة الوسيطة من مقدمة كتاب: تفسير الرابي سَعْدِيا جاؤون لسفر التكوين**. ترجمة أحمد محمد هويدي. القاهرة: جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، سلسلة فضل الإسلام على اليهود واليهوديّة. ٢٠٠٣م.

الجداد، أحمد. **مقدمة لدراسة الفكر العبريّ**. المغرب: الدار البيضاء، مطبعة سوفي جراف، ٢٠١٠م.

ذكري، عادل. **الأثر المعتزليّ في ترجمة التوراة لسعديا جاؤون الفيوميّ**، متاح على https://chris-topraxy.blogspot.com وتم الاطلاع عليه في ١ يناير ٢٠٢٥م.

ذكري، يحيى. **علم الكلام اليهوديّ سعيد بن يوسف الفيوميّ "سَعْدِيا جاءون" نموذجًا**. القاهرة: الدار المصريّة اللبنانية، ٢٠١٤م.

رياض، يوسف. **الشيطان شخصيته أعماله مصيره**. القاهرة: مكتبة الأخوة، ١٩٩٢م.

سالم، عزة محمد. **أثر تفسير القرآن الكريم في تفسير الحاخام سَعْدِيا الفيوميّ لسفر التكوين**. القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠٠٩م.

سوانسون، مارك. **الاندماج الثقافيّ والتميز الدينيّ في نصوص لاهوتيّة من التراث العربيّ المسيحيّ القديم** (القاهرة: كلية اللاهوت الإنجيليَّة، ١٩٩٥م، محاضرة غير منشورة).

شازار، زالمان (تحرير). **تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث**، تحرير ترجمة أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القوميّ للترجمة رقم ٢٠٤، ٢٠٠٠م.

عزمي، أشرف. **في البدء تفسير لغوي ولاهوتيّ وتاريخي لسفر التكوين ١-١١**. القاهرة: المؤلف، ٢٠١٧م.

غانم، إبراهيم البيومي. **تفسيرُ سِفْرِ أيوب وشرحُه بالعربيّة**، متاح على http://www.alhayat.com وتم الاطلاع عليه في ١ أكتوبر ٢٠١٨م.

الفغالي، بولس. **أخنوخ سابع الآباء كتاب أخنوخ أو أخنوخ الأول وأسرار أخنوخ أو أخنوخ الثاني**. سلسة على هامش الكتاب ٣ (بيروت: الرابطة الكتابية، ١٩٩٩م.

الفغالي، بولس. **أخنوخ سابع الآباء كتاب أخنوخ أو أخنوخ الأول وأسرار أخنوخ أو أخنوخ الثاني**، سلسة على هامش الكتاب ٣. بيروت: الرابطة الكتابية، ١٩٩٩م.

_____. **المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**. بيروت: المكتبة البولسية وجمعية الكتاب المقدّس، ٢٠٠٣م.

الفيوميّ، سَعْدِيا جاؤون. **الأمانات والاعتقادات**، تحقيق شريف حاتم سالم، ومراجعة أحمد محمود هويدي (القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠٢١م.

_____. **تفسير سفر التسابيح**. من التراث العربيّ اليهوديّ، نقله إلى الحرف العبريّ وقدم له أحمد محمود هويدي، ٣٤٧٥. القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠٢٣م.

_____. **تفسير التوراة العربيّة تاريخ ترجمات أسفار اليهوديّة المقدّسة ودوافعها**، تقديم أحمد محمود هريدي، ترجمة سعيد عطية مطاوع وأحمد عبد المقصود الجندي. القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٤م.

_____. **تفسير التوراة بالعربيّة**، أخرجه وصححه يوسف درينبورج، نقله إلى الخط العربيّ وقدم له وعلق عليه سعيد عطية مطاوع، وأحمد عبد المقصود الجندي. القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٥م.

_____. **تفسير سفر الأمثال وشرحه بالعربيّة**، أخرجاه وصححاه بحواش بالعبريّة: يوسف درينبرج ومئير بن إليهاو لمبرط، نقله إلى الحرف العربيّ وقدم له وعلق عليه: أحمد محمود هويدي، ٢٩٤٨. القاهرة: المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٩م.

_____. **كتاب الأمانات والاعتقادات**، سلسلة التراث الحضاري (٣٤)، تحقيق شريف حامد محمد سالم، مراجعة ودراسة أحمد محمود هويدي. القاهرة: الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ٢٠٢١م.

_____. **كتاب الأمانات والمعتقدات**. نشره لانداور، ليدن، ١٨٨٠م.

كايزر، والتر الأصغر، بيتر ه. دي يدز، ف. ف. بروس، ما نفريد ت. بروتش. **أقوال صعبة في الكتاب المقدّس الجزء الأول المقدمات أسفار الشريعة**، ترجمة وليم وهبة. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١١م.

والتون، جون ه. فيكتور ه ماثيو. مارك و. تشافالاز. **الخلفية الحضارية للكتاب المقدّس العهد القديم: الجزء الأول أسفار الشريعة**، ترجمة هدى بهيج. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٢م.

ولفسون، هاري أ. **فلسفة المتكلمين في الإسلام (المجلد الأول)**، ترجمة مصطفى لبيب عبد الغني. القاهرة: المشروع القوميّ للترجمة، ٢٠٠٥م.

يافيه، حافة لازاروس. **الإسلام وتقد العهد القديم في العصر الوسيط**. ترجمة محمد طه عبد الحميد، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع ٢٠١٨م.

Hanna, Sameh. *Saadia Geon's Tafsir of the Hebrew Bible in an Arabic-Muslim Context: A Paradigm Shift?* The Bible Translator 2024, Vol. 24 (3) 331-349.

Kearney, Jonathan. *The Torah of Israel in the Tongue of Ishmael Sadia Gaon and His Arabic Translation of the Pentateuch*, PIBA 33-34 (2010-11)55-57 .

Simon, Uriel. *Four Approaches to the Book of Psalm from Saadiah Gaon to Abraham Ibn Ezra*. Ny. State University of New York Press- 1991.

Whenham, Gordon J. *Genesis 1-15*, World Biblical Commentary. U.S. A.: Zondervan, 1987.

إله العهد القديم وإله العهد الجديد

سأل الدكتور ديفيد لمب، أستاذ العهد القديم، تلاميذه في أول محاضرة لهم قائلًا: "كيف يمكننا أن نصالح إله العهد القديم المحبَّ والرحيم وطويل الروح مع صورة اللّٰه القاسي في العهد الجديد؟" يقول ديفيد: "بمجرد أن طرحت هذا السؤال، رأيت علامات الحيرة على وجه الطلبة." فسألهم سؤالًا آخر قائلًا: "هل تعرفون من هو أكثر شخص في الكتاب المقدس تحدث عن الهلاك والدينونة؟ إنه شخص الرب يسوع المسيح، الذي تحدث عن الهلاك أكثر مما تحدث عن السماء". هذه الحقيقة غائبة عن عيون من يتَّهمون إله العهد بالعنف والقسوة.

د.ق.أشرف عزمي

التصور الخاطئ عن الله

من هو الله؟ وما صفاته وأعماله؟ ومن أين نستقي هذه المعرفة عن شخصه؟ هل نستقيها من أنفسنا وتخيلاتنا وخبراتنا الإنسانية، أم من إعلان الله نفسه عن ذاته؟ للأسف، صورة الله في أذهان كثيرين من الناس صورة مشوهة وغير حقيقية. يُتهم الرب من قِبل كثيرين، سواء كانوا ملحدين أو لا أدريين، بأنه إله قاسٍ وغيور ومنتقم وعنصري، ويبرهنون على ذلك بأن العهد القديم مليء بالقصص التي تقدم الله بهذه الصورة. فالله الذي أهلك الأرض بالطوفان، وأنزل نارًا لتحرق سدوم وعمورة، وأمر شعبه بقيادة يشوع أن يُحرِّم مدنًا بأكملها، هو إله دموي وغير سوي وقاسٍ. يقول تشالز دوكينز Charles Dawkins في كتابه "وهم الإله":

إله العهد القديم... غيور ومتفاخر، ضيق الأفق وظالم. مهووس بالسيطرة ولا يغفر. انتقامي ومتعطش للدماء، يبيد الأعراق وكاره للمرأة. كارة للمثليين، عنصري، قاتل للأطفال ويرتكب الإبادة الجماعية. قاتل لأبنائه/ مهلك بالأوبئة ولديه جنون العظمة. ساديّ ومزاجيّ وحقود ونَزَوِيّ ويستقوي على الضعفاء.[1]

وعلى الرغم من اعتراضي الشديد على كلام تشارلز دوكينز الذي يُعتَبَر نوعًا من التجديف، إلا أنني أعتقد أنه عبَّر عن فكر كثيرين من الناس؛ فقد حصل كتابه ولعدة سنوات على لقب "أفضل كتاب مبيعًا" بحسب تصنيف جريدة نيويورك تايمز الشهيرة. إن أي قارئ للعهد القديم يعلم جيدًا أنه يحتوي على نصوص صعبة تحتوي على قتل وإبادة، إضافة إلى المعضلات الأخلاقية الكثيرة التي يصعب على القارئ في القرن الحادي والعشرين فهمها. وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: معضلة أمر الرب لإبراهيم بتقديم ابنه إسحاق كمحرقة (تكوين ٢٢)، ومعضلة علاقة يهوذا بثامار (تكوين ٣٩)، ومعضلة زنى وقتل داود (صموئيل الأول ١١)، ومعضلة يفتاح وتقديم ابنته كذبيحة لله (القضاة ١١).

كرستوفر هيتشنز

هذه القضايا جعلت كرستوفر هيتشنز Christo-pher Hitchens يكتب كتابه الشهير "الله ليس عظيمًا" God is Not Great، ليؤكد وجهة نظره عن إله العهد القديم بأنه إله يوافق على الإتجار بالبشر، والتطهير العرقي، والعبودية، وبيع النساء وهي بحسب وصفه شرائع إلهية غير قابلة للتعديل.[2]

طبعًا كل هذه المعضلات وغيرها مردود عليها ولها شروحات كثيرة، لكنني أسردها

1 Charles Dawkins, *The God Delusion (New York: Mariner, 2008), 51.*
2 Christopher Hitchens, *God is Not Great: How Religion Poisons Everything* (New York: Hatchette Book Group, 2007), 99-102.

هنا حتى يتسنى لك عزيزي القارئ فهم التصور الخاطئ عن اللّٰه عند الملحدين والا أدريين عن شخص الرب. هذه القراءة لإله العهد القديم قراءة غير منصفة؛ لأنها مسبوقة بتصور مسبق في فكر كاتبها عن اللّٰه، وهذا التصور المسبق نتج عمَّا تخيله الكاتب عن اللّٰه، كما أنه تصور غير نابع من البحث الأمين لفهم النصوص الصعبة في الكتاب المقدس، إنها قراءة انتقائية شخصية ليبرهن عمَّا في فكره عن اللّٰه.

إذن، ماذا نفعل بنصوص صعبة تتحدث عن القتل والعنف والغضب الإلهي؟ كيف نفسر مَثَلًا قتل عائلة عَخَان ابن كَرْمِي بسبب خطأ فرد واحد؟ وكيف نفسر ما حدث لعُزِّيَا الذي ضربه الرب فمات بسبب أنه سند التابوت "بحسن نية" حتى لا ينطرح على الأرض؟ وكيف نفسر أمر الرب لإبراهيم بأن يقدم ابنه إسحاق ذبيحة؟ وماذا عن أبناء هارون الكاهن الذين أحرقهم الرب في الخيمة وأماتهم؟ إضافة إلى كل ذلك ما حدث لشعوب كنعان من إبادة على أساس ديني وعرقي كما يدعي البعض Religious and ethnic cleansing، أي "التطهير الديني والعرقي". كيف نفهم لغة العنف هذه وسفك الدماء؟ وماذا تعلمنا هذه الأحداث المؤلمة عن محبة الرب ورحمته وعطفه؟ يقول كرستوفر رايت: "عندنا حقّ عندما تزعجنا هذه

كرستوفر رايت

الأسئلة... فعنف العهد القديم يزعجنا، ويزعجنا أكثر أن يكون هذا العنف مُبرَّرًا."[3]

كيف لنا أن نتعامل مع هذه المشاكل؟

نشأتْ على مدار التاريخ الكنسي عدد من التوجهات نحو موضوع العنف في العهد القديم ومن بينها ما يلي:

■ اولًا: توجه مارسيون/ ماركيون[4]

طور مارسيون السينوبي في أوائل القرن الثاني نظامًا معتقديًا ثنائيًا، يقوم على الإيمان بوجود إلهين مختلفين. فإله العهد القديم، وخالق الكون المادي، كائن يختلف تمامًا عن الإله الذي تحدَّث عنه يسوع. اعتبر مارسيون أن إله يسوع هو إله الرحمة والمحبة، الذي ينظر إلى البشرية بإحسان وعطف، وهو ما يتعارض مع إله العهد القديم الشرير المنتقم وسريع الغضب. هذا الإله هو الذي أثار شعبه (اليهود) ضد

3 Christopher Wright, *The God I don't Understand* (Grand Rapids: Zondervan, 2008), 74.

٤ولد مارسيون سنة 110م في مدينو سينوب من والدين مسيحيين. كان أبوه أسقفًا على مدينة سينوب. واهتم بدراسة اللغات الكلاسيكية والأدب اليوناني وعمل في التجارة، وكان يمتلك عددًا كبيرًا من سفن الشحن. وبسبب اختلاف فكري وعقائدي مع أبيه ترك سينوب وذهب إلى روما سنة ١٤٠م. استمر مارسيون في ممارسة مهنة التجارة وصنع الثروة. حاول أن يتقرب للمؤمنين في روما فتبرع للكنيسة بميلغ كبير من المال، إلا أن المؤمنين عندما تيقنوا من معتقداته الخاطئة أرجعوا له المال وحرموه من الشركة معهم. قام مارسيون بتدوين أفكاره النقدية في كتاب أسماه المتناقضات *Antitheses* وهو مجموعة من النصوص والآيات/ بحسب وجهة نظرة، تُعتَبَر متناقضة، كما قام بشرح صراعه مع إله العهد القديم الذي لا يمكن أن يكون هو نفسه إله العهد الجديد المحب.

المسيح فقاموا بصلبه. وبناءً على ذلك، لم يعتبر مارسيون الكتب المقدسة العبرية جزءًا من الكتاب المقدس، كما رفض الإيمان بالأناجيل الثلاثة (متى، مرقس، ويوحنا) وقبل فقط أجزاء من إنجيل لوقا وعشر رسائل لبولس الرسول، بعدما أزال منها كل الإشارات إلى إله العهد القديم. صنف بروس متزجر مارسيون على أنه أخطر عدو عرفته المسيحية[5] كما وصفت أنجيلا تيلبي مارسيون قائلةً:

لقد كان مارسيون يرى أن هناك تناقضًا أساسيًا بين الشريعة والحب، والبر والنعمة. وكان يعتقد أن المسيحية الحقيقية معيبة بسبب التناقضات التي تكمن في صميم تعاليمها. وكان الحل الذي توصل إليه جذريًا هو حتمية صياغة الإيمان ليكون أكثر نفعًا. بالنسبة لمارسيون، فإن إعادة الصياغة لا بد وأن تركز على مضمون الإنجيل الأساسي: الحب والرحمة والشفقة التي ظهرت في حياة يسوع وتعاليمه. وكان هذا بالنسبة له كل ما هو ضروري لخلق إنسانية جديدة ونقية.[6]

رُفِضَت تعاليم مارسيون؛ فقد قدم ترتليان خمس أطروحات بعنوان "ضد مارسيون"-Adver sus Marcionem"، وفي النهاية حُرِم مارسيون من قبل الكنيسة. إلا أن تعاليم مارسيون مازالت حية إلى يومنا هذا في كل محاولة لإعادة صياغة مسيحية أكثر لطفًا، مسيحية تؤمن أن الله ليس إلهًا للدينونة، وأن الجحيم والهلاك الأبدي لا وجود لهما على الإطلاق. مسيحية تركز على حياة المسيح أكثر من تركيزها على موت المسيح الكفَّاري. مسيحية تركز على محبة الله ورحمته وتتغاضى عن بره وقداسته، مسيحية تؤسس على الفصل بين العهد القديم والعهد الجديد. يقول رينيه جيرارد: "في العهد القديم لا يمكننا أن نتصور مفهومًا للإله بعيدًا كل البعد عن العنف... فقط نصوص الأناجيل تمكنت من تحقيق ما تركه العهد القديم غير مكتمل".[7] يعتبر بيتر إنس من المؤيدين وبشدة لتعاليم مارسيون؛ حيث يدعي بأن العهد القديم يقدم لنا صورة لله مختلفة تمامًا عن الصورة المرسومة له في العهد الجديد.[8]

■ ثانيًا: الله قد تغيَّر

إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد، لكن مع حدوث تغيير في شخصه وأسلوبه في التعامل مع البشر. فالله تغيَّر من كونه عنيفًا وقاسيًا ليصبح محبًا ورحيمًا وطويل الروح. يعتقد أصحاب هذا الفكر أن صورة الله تغيَّرت وتطوَّرت كما تطورت الديانة اليهودية، والتي بدأت بحسب فكرهم من عبادة الأرواح لتعدد الآلهة حتى الإيمان بإله واحد، ومع

5 Bruce Metzger, *Canon of the New Testament: Its Origin, Development, and Significance* (Oxford: The Clarendon Press, 1997).
6 Angela Tilby, *Heresies and How to Avoid Them, Edited by Ben Quash and Michael Ward, Grand Rapids: Baker Academy, 2007.*
7 Rene Girard, *Things Hidden Since the Foundation of the World,* trans, Stephen Bann and Michael Metteer (Stanford University Press, 1987), 157-58.
8 Peter Inns, *"Is Peter Inns a Marcionite?" Rethinking Biblical Christianity* (blog), January 17, 2014.

هـذا التطـور تطـورت صفـات اللّه. ويضـع بعـض النقـاد التاريخيـين الكتـاب المقـدس فـي إطـار تطـوري ويزعمـون أن النصـوص القديمـة كانـت "تعبيـرات بدائيـة عـن الوعـي الدينـي لإسـرائيل" والتـي أفسـحت المجـال بمـرور الوقـت لـ"منظـور أخلاقـي ولاهوتـي أكثـر نضجًـا". وعلـى هـذا الأسـاس تُرفَـض الأحـداث مثـل الطوفـان وقتـل أبـكار المصريين وتحريم الكنعانيين؛ لأنها بحسب تعبيرهم قصص بدائيـة تحمـل صـورة بدائيـة عـن اللّه. يقـول تومـاس مـان فـي تفسـيره لسـفر التثنيـة: "لقـد تمسـكت إسـرائيل بنظـرة بدائيـة عـن اللّه. حيـث اعتقـدوا أن اللّه مسـؤول عـن إرسـال المطـر للبركـة أو سـحبه كعقـاب علـى عصيـان إسـرائيل... نحـن المعاصرين المستنيرين ندرك أن اللّه ليـس مسـؤولًا عـن أنمـاط الطقـس أو أي أمـراض جسـدية تصيـب الإنسـان."[٩] وهكـذا تطـورت نظـرة الإنسـان إلـى اللّه مـع مـرور الزمـن، كمـا اختلفـت وتغيـرت صفـات اللّه وطريقـة معاملتـه للإنسـان بمـرور الوقـت.

■ ثالثًا: اليهود فهموا كلام اللّه وصاياه خطأً

فاللّه لم يأمر بالعنف وبارتكاب المجازر، وهو لم يأمر يشوع بإبادة شعوب كنعان، كما أنه لم يأمره بتحريم مدن بكاملها. المكتوب في النصوص الكتابية لا يعبر عن فكر اللّه أو وصاياه، بل يعكس فهم الإنسان، وبكل تأكيد كان هذا الفهم فهمًا خاطئًا. يرفض سيبرت Seibert فكرة أن الإله الحقيقي الوحيد هو الذي يقف وراء وصايا العنف علاوة على ذلك، "فإن الإله الحقيقي ليس هو الذي يفرض دينونة على البشر. لا، هذا ليس الإله الحقيقي الواحد (الإله الفعلي)، بل هو (الإله النصي) وعلى الرغم من أن هذه النصوص العنيفة هي من الناحية الفنية "كلمة اللّه"، إلا أنها لا علاقة لها بشخصية اللّه، الذي لا يتسم بالعنف بل بالمحبة."[١٠] كما يدعي جروجري بويد Gregory A. Boyd أن موسى والشعب بسبب تدني الحالة الروحية ساروا وراء رغباتهم بإبادة شعوب كنعان، الأمر الذي لم يوصِ به الرب، فعلى الرغم من أن اللّه كان يقصد إزالة الكنعانيين من أرض إسرائيل بطريقة غير عنيفة، إلا أن موسى والإسرائيليين أساءوا فهم نية اللّه نتيجة "حالتهم الروحية المتدنية". وبالتالي، يمكن للقراء أن يطمئنوا إلى أن "العنف الذي انخرط فيه شعب اللّه عندما دخلوا الأرض لم ينشأ عن إرادة اللّه بل عن رغبات موسى الساقطة."[١١]

هذه المدارس الفكرية لا يمكن أن تستقيم مع إعلان اللّه في الكلمة المكتوبة والكلمة المتجسد وذلك للأسباب التالية:

١- العهد القديم يتحدث كثيرًا عن محبة اللّه ورحمته وطول أناته

تحدث اللّه عن صفاته كثيرًا في العهد القديم، وأعظم ما

9 Thomas W. Mann, *Deuteronomy* (Louisville: Westminster John Knox, 1995), 149.
10 Eric A. Seibert, *The Violence of Scripture: Overcoming the Old Testament's Troubling Legacy*. (Minneapolis: Fortress Press, 2012), 9.
11 Gregory A. Boyd, *God at War: The Bible & Spiritual Conflict* (InterVarsity Press, 1997).

أعلنه نجد إعلانه عن أنه إله رحيم ورؤوف. "فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ»" (خروج ٣٤: ٦-٧). هنا يعلن الرب عن نفسه وعن صفاته بكل وضوح، وأول هذه الصفات هي الرحمة والرأفة. יְהוָה אֵל רַחוּם וְחַנּוּן אֶרֶךְ אַפַּיִם וְרַב־חֶסֶד וֶאֱמֶת ، رحيم רַחוּם "رحوم" من الفعل رحم، أن يحب ويشفق ويرحم، إنها تشير إلى الشعور الداخلي بالشفقة والرحمة والعطف. وصف الله بالرحيم ١٣ مرة في العهد القديم (خروج ٣٤: ٦، تثنية ٤: ٣١، يوئيل ٢: ١٣، يونان ٤: ٢، ٢أخبار ٣٠: ٩، مزمور ٧٨: ٣٨، ٨٦: ١٥، ١٠٣: ٨، ١١١: ٤، ١١٢: ٤، ١٤٥: ٨، نحميا ٩: ١٧).[12]

أما الصفة الثانية فهي رؤوف חַנּוּן "حَنون" gracious or Kind ، وقد وردت ١٣ مرة في العهد القديم لتصف مشاعر الله نحو الإنسان (خروج ٢٢: ٢٦، ٣٤: ٦، يوئيل ٢: ١٣، يونان ٤: ٢، ٢أخبار ٣٠: ٩، مزمور ٨٦: ١٥، ١٠٣: ٨، ١١١: ٤، ١١٢: ٤، ١١٦: ٥، ١٤٥: ٨، نحميا ٩: ١٧، ٣١). وصف الرب ٩ مرات بأنه بطيء الغضب אֶרֶךְ אַפַּיִם (خروج ٣٤: ٦، عدد ١٤: ١٨، يوئيل ٢: ١٣، يونان ٤: ٢، ناحوم ١: ٣، مزمور ٨٦: ١٥، ١٤٥: ٨، نحميا ٩: ١٧).[13]

الصفة الرابعة، والتي تعتبر مفتاحًا مهمًا جدًا لفهم طبيعة الله وعلاقته بشعبه، هي صفة الإحسان וְרַב־חֶסֶד "كثير الإحسان" كلمة חֶסֶד "خسد" وردت ٢٤٥ مرةً في العهد القديم وهي تُترجَم بالإنجليزية loving-kindness وهي مرتبطة بمحبة الله وصلاحه ورحمته ونعمته.[14] نرى هذه الصفة في كلام

المحبة الموجه لشعب إسرائيل "تَرَاءَى لِي الرَّبُّ مِنْ بَعِيدٍ: وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ"، ادمت لك חֶסֶד (إرميا ٣١: ٣). كما نراها أيضًا بوضوح في هوشع ٢: ١٩ "وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي إِلَى الأَبَدِ. وَأَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسَانِ وَالْمَرَاحِمِ." فهي الصفة التي تعبر عن المحبة غير المتغيرة التي تملء قلب الله نحو الإنسان، عطف لا ينتهي.[15] unfailing kindness".

محبة الرب ورحمته ظهرتا كثيرًا على صفحات العهد القديم، فقد ظهرتا في حوار إبراهيم مع الرب بخصوص سدوم وعمورة (تكوين ١٨)، ومراحم الرب نحو شعبه المتمرد (خروج ٣٤) وفي طول أناته وصبره على شعوب كنعان (تكوين ١٥: ١٦)، ومعاملاته مع راحاب وراعوث وأهل نينوى (سفر يونان)، وحتى مع شعبه المرتد (سفر هوشع).

12 Gesenius, W., & Tregelles, S. P. (2003). In *Gesenius' Hebrew and Chaldee lexicon to the Old Testament Scriptures* (p. 765). Logos Bible Software.
13 Koehler, L., Baumgartner, W., Richardson, M. E. J., & Stamm, J. J. (1994–2000). In *The Hebrew and Aramaic lexicon of the Old Testament* (electronic ed., p. 333). E.J. Brill.
14 John S. Feinberg, *No One Like Him: The Doctrine of God* (Wheaton, Illinois: Crossway Books, 2001), 370.
15 Swanson, J. (1997). In *Dictionary of Biblical Languages with Semantic Domains: Hebrew (Old Testament)* (electronic ed.). Logos Research Systems, Inc.

رحمة الرب وحنانه وطول أناته وإحسانه لا تعني تساهله مع الخطية والإثم. فالكتاب المقدس يحذرنا كثيرًا حتى لا نستهين برحمة الرب ورأفته وطول أناته، لأن الله يأتي بالدينونة على الإنسان الذي يستهين بلطفه وطول أناته وإذا استمرت الأجيال في بغضة الرب سوف يكون المصير هو الدينونة والهلاك (خروج ٢٠: ٥).

٢- العهد الجديد يتحدث كثيرًا عن الهلاك والدينونة

أكثر من تحدَّث عن هذا الموضوع هو الرب يسوع المسيح نفسه؛ فقد تحدث عن الجحيم أكثر مما تحدث عن السماء. سُئل اللاهوتي آر. سي. سبرول عن العقيدة التي يجد صعوبة في التعامل معها، فأجاب: "الجحيم." وقال الفيلسوف المسيحي الشهير سي. إس. لويس: "لا توجد عقيدة أرغب في إزالتها من المسيحية أكثر من هذه... ولكنها تحظى بدعم كامل من الكتاب المقدس، وخاصة من كلمات ربنا نفسه".[١٦]

إن ما قاله الرب يسوع عن الجحيم والهلاك والدينونة لا يمكن لأي عاقل أن ينكره. فقد تحدث المسيح عن مكانٍ ووصفه بما يلي: "مكان البكاء وصرير الأسنان" (متى ٨: ١٢، ١٣: ٤٢)، "ظلمة خارجية" (متى ٢٥: ٣٠)، "نار أبدية" (لوقا ١٦: ٢٣)، "عقاب أبدي، نار لا تُطفَأ" (مرقس ٩: ٤٣)، و"ديدان لا تموت" (مرقس ٩: ٤٨).

أشار الرب يسوع أيضًا إلى الجحيم باعتباره "أتون نار" حيث سيتم إلقاء الأشرار وغير المؤمنين فيه، قائلًا: "يُرْسِلُ ابْنُ الإِنْسَانِ مَلاَئِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَفَاعِلِي الإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَتُونِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" (متى ١٣: ٤١-٤٢). ويسميها "جحيم النار" (متى ٥: ٢٢)، "النار الأبدية المُعَدَّة لإبليس وملائكته" (متى ٢٥: ٤١)، "النار التي لا تُطفَأ" (مرقس ٩: ٤٣)، و"العقاب الأبدي" (متى ٢٥: ٤٦).

قد يقول البعض معترضًا إن كلام الرب يسوع لا ينبغي أن يُفسَّر حرفيًا بل مجازيًا، لكن الحقيقة المؤلمة هي أن المجاز يُستخدم دائمًا لوصف ما لا يمكن تصوره إلى الأبد. فالمجاز يُستخدم لوصف الحقائق التي تتجاوز التفسير أو الفهم. النار تعني شيئًا أسوأ مما يمكننا أن نتخيله، وكذلك الظلمة والديدان التي لا تموت. فالتفسير المجازي لا يلغي أن هناك كابوسًا مرعبًا ومؤلمًا لا يستطيع الإنسان أن يتخيله من دينونة وهلاك. في الواقع، إن المفردات اللغوية التي نستخدمها لوصف الجحيم غير كافية، فالواقع أسوأ من الصورة.

٣- الرب يسوع نفسه ومن بعده تلاميذه قبلوا العهد القديم ككلمة الله ولم يشعروا بالحرج لا من أحداثه ولا من شخصياته

تحدث الرب يسوع المسيح عن شخصيات وأحداث العهد القديم؛ فقد تناولها منذ خلق

16 C. S. Lewis, *The Problem of Pain* (San Francisco, HarperOne, 2015), 118.

الكون إلى زمن الأنبياء، أي أنه شمل العهد القديم كله من سفر التكوين إلى الأنبياء الصغار. تحدث عن قايين ونوح وإبراهيم وسدوم وعمورة و لوط وإسحاق ويعقوب والحية النحاسية... إلخ.[17] العهد القديم كان المرجع الوحيد في حوارات الرب يسوع ونقاشاته. فالأسفار المقدسة هي الدستور الوحيد والمرجع ليس فقط للإيمان بل للسلوك والأخلاق.

عندما جاء إليه الشاب الغني ليسأله عن الحياة الأبدية أجابه يسوع بما هو مكتوب في الوصايا العشر وسفر اللاويين: "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (متى ١٩: ١٨، ١٩، ٢٢: ٣٧-٤٠؛ مرقس ١٠: ١٩، ١٢: ٢٩-٣١، لوقا ١٨: ٢٠). يقول ج فوس "إن يسوع مرة ثانية جعل صوت الناموس هو صوت الله الحي نفسه... ولهذا فمطالبه نهائية وتجاوب الإنسان بالطاعة من كل القلب والنفس والقدرة ضروري جدًا".[18]

حتى في تجربته على الجبل كانت ردوده كلها من المكتوب:

«مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنسان، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ» (تثنية ٨: ٤).

«مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ» (تثنية ٦: ١٦).

«مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (تثنية ٦: ١٣).

قال الرب يسوع في الموعظة على الجبل: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (متى ٥: ١٧-١٨). إن "الناموس والأنبياء" يشير إلى كل أسفار العهد القديم. فاليهود أيام الرب يسوع كانوا يلقبون العهد القديم "بالناموس والأنبياء" (متى ٧: ١٢، ١١: ١٣، ٢٢: ٤٠، لوقا ١٦: ١٦، يوحنا ١: ٤٥، أعمال ١٣: ١٥، ٢٨: ٢٣، رومية ٣: ٢١) أو "بالناموس والأنبياء والمزامير" (لوقا ٢٤: ٤٤) أو فقط "بالناموس" (متى ٥: ١٨، يوحنا ١٠: ٣٤، ١٥: ٢٥، ١كورنثوس ١٤: ٢١). يقول الرب يسوع إنه جاء "لا لكي ينقض... بل ليكمل" إن كلمة "يكمل" باليوناني هي "بليروؤ" πληροω وهي تعني هنا أن الناموس والأنبياء أو أسفار العهد القديم كلها تشير إلى مجيء المسيح وتتحدث عن شخصه، عمله، فدائه، فالمسيح هو محور

17 John *Wenham*, *Christ and the Bible* (Grand Rapids: Baker, 1994), 16-44.
18 Geerhardus. Vos, *The Teaching of Jesus Concerning the Kingdom of God and the Church* (Grand Rapids: Baker, 1951), 61-63.

وهدف العهد القديم ومجيئه هو تحقيق وكمال هذا الإعلان. يكمل الرب يسوع كلامه فيقول: "إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ". لاحظوا أن الرب يسوع تحدث عن الحرف، أي أن إعلان الله في الناموس والأسفار هو كلمة الله ولا يمكن أن يزول حرف واحد من كلمة الرب، كما أن يسوع تحدث عن ما هو أصغر من الحرف وهو نقطة واحدة. إن أصغر حرف في الأبجدية العبرية هو حرف اليود י، يقول: د. أ. كارسون "إن المسيح هنا يعلن تمسكه بسلطان الأسفار المقدسة حتى أصغر نقطة فيها"[١٩] إن قول المسيح "حرف واحد أو نقطة واحدة" مهمة جدًّا لأن الكلمة مكونة من حروف والكلمات تحمل معاني. إن الرب يسوع في هذه الآيات البسيطة يؤكد سلطان الكتاب المقدس وأن زوال حرف واحد أو نقطة واحدة مرتبطٌ بأمرين: الأول: "زوال السماء والأرض"، وهو إشارة إلى انتهاء الزمان، ثانيًا: "يكون الكل" إن كلمة كل πα- ντα"بانتا" باليونانية تشير إلى كل ما تنبأت عنه الأسفار المقدسة، حتى تكتمل كل النبوات وتتحقق، المقصود هنا كل مقاصد الله، المقاصد التي عيَّنها من قبل خلق العالم.

اعتبارات مهمة لفهم العنف في العهد القديم:

ما الذي يجعلنا نحكم بسرعة على إله العهد القديم بأنه إله عنيف وقاسٍ وغير رحيم؟ إنه الجهل وعدم المعرفة. فدراسة العهد القديم دراسة شاقة ومرهقة، وقليلون يبذلون الجهد في قراءته وفهمه فهمًا صحيحًا. قضية العنف في العهد القديم تصبح سهلة ومفهومة إذا وضعنا في اعتبارنا الحقائق التالية:

أولًا: طول الزمن- يغطي العهد القديم من دعوة الله لإبراهيم وحتى تجسد الرب يسوع أكثر من ٢٠٠٠ سنة. هذه الفترة مليئة بالأحداث والنبوات وتحقيقها. بسبب طول الزمن، نقرأ عن أحداث كثيرة من حروب ومجاعات وأوبئة ودينونة إلهية على الشعوب والأمم، وحتى على شعب إسرائيل نفسه في السبي الأشوري والسبي البابلي. في المقابل، يغطي العهد الجديد فترة زمنية قصيرة جدًّا مقارنةً بالعهد القديم؛ فأحداث العهد الجديد لا تتعدَّى المئة سنة من زمن ميلاد رب المجد يسوع وحتى كتابة سفر الرؤيا (حوالي ٩٠ أو ٩٦ سنة فقط). أي أن نسبة ما يغطيه العهد الجديد مقارنة بالعهد القديم هي حوالي ٥٪ فقط زمنيًّا. وهذه فترة لا يتخللها أحداث كثيرة بسبب سلطة وتحكم المملكة الرومانية وفرضها للسلام بالقوة في ربوع المسكونة. يمكن القول إن الحدث المأساوي الوحيد هو خراب أورشليم سنة ٧٠م. ولأن أغلب أسفار العهد الجديد كتبت قبل سنة ٧٠م، فلا نجد له ذكرًا إلا في حديث الرب يسوع على جبل الزيتون في متى ٢٤-٢٥.

ثانيًا: مفهوم الدينونة- الدينونة في العهد القديم كانت تحدث في التاريخ Imminent judgment، كالطوفان ودمار سدوم وعمورة، والضربات العشر، وعقاب الله لشعبه من خلال المديانيين والعمونيين والسبي الأشوري والسبي

19 D.A. Carson, "Matthew" *The Expositor's Bible Commentary*, Ed., Frank E. Gaebelein. (Grand Rapids: Zondervan, 1979). 143.

البابلي... إلخ. بينما الدينونة في العهد الجديد هي دينونة مؤجلة، بمعنى أن العهد الجديد تحدث عن نهاية الزمان والدينونة والهلاك الأبدي. بالتأكيد إن الله أعلن ويعلن غضبه على الخطية في التاريخ البشري وصور مختلفة، لكن لم تسجل في العهد الجديد ولا يوجد من يسجلها لنا هذه الأيام بسبب اكتمال الوحي الإلهي. لكن بصورة عامة الدينونة في العهد القديم هي حدث تاريخي تم في مكان وزمان ومع أفراد أو شعوب معيَّنين اهتم الوحي الإلهي أن يسجلها لنا على صفحات العهد القديم. بينما ركز العهد الجديد على الدينونة النهائية ونهاية الزمان ومجيء المسيح الثاني لدينونة الأحياء والأموات.

ثالثًا: الدينونة الإلهية لا تأتي من دون إنذارات- هل تعلم أيها القارئ العزيز أن الله كان يصبر وينتظر توبة الإنسان لفترات طويلة قبل أن تأتي الدينونة؟ هل تعلم أن الله انتظر لأكثر من ٦٠٠ سنة على شعوب كنعان قبل أن ينفذ دينونته على يد يشوع وشعب إسرائيل؟ يقول الرب لإبراهيم في تكوين ١٥: ١٦ "لأَنَّ ذَنْبَ الأَمُورِيِّينَ لَيْسَ إِلَى الآنَ كَامِلًا"، هذا الكلام قاله الرب لإبراهيم عندما قطع معه عهدًا. عندما كان ابن ٧٥ سنة. فإذا أضفنا ٢٥ سنة وهي فترة انتظاره لتحقيق وعد الرب له بأن يعطيه ابنًا "إسحق"، وإن إسحاق ولد يعقوب وهو ابن ٦٠ سنة ويعقوب نزل لمصر وكان عمرة ١٣٠ سنة، وشعب إسرائيل مكث في مصر ٤٣٠ وشعب إسرائيل ظل تائهًا ٤٠ سنة، يكون مجموع السنين من زمن كلام الرب لإبراهيم عن ذنب الأموريين وتحقيق الدينونة هو ٦٨٥ سنة وهي فترة طويلة بكل المقاييس. أضف إلى ذلك أن شعوب كنعان لم تكن شعوبًا بريئة. فما كانت تمارسه هذه الشعوب من آثام وشرور يقشعر له البدن. يكفي أن نقرأ عن ممارستهم في تقديم الذبائح البشرية وبالأخص الأطفال. لقد اكتشف علماء الآثار أن الأطفال الكنعانيين بجانب تقديمهم للإله مولك ليحرقوا أحياء، أن معظم المباني الكبيرة كانت تحتوي أساستها على أجران من الفخار تحتوي على عظام أطفال صغار، كانوا يضعونهم في الأجران ويدفنونهم أحياء لنوال بركة الإله. هذه الأمور نقرأ عنها بالتفصيل في كتاب ألبرتو جرين، دور الذبائح البشرية في الشرق الأدنى القديم.[٢٠]

إن فهم الصورة المتنوعة لله بين العهدين القديم والجديد يمكن أن يكون تحديًا، ولكنه أيضًا واحد من أعمق الجوانب اللاهوتية في دراسة الكتاب المقدس. يجب أن نفهم أن الله لا يتغير، بل هو نفسه في العهدين

الدكتور القس أشرف عزمي

دكتوراة الفلسفة Ph.D. في العهد القديم ، بنسلفانيا

يقوم بتدريس مادة العهد القديم في Liberty University

مؤلف للعديد من الكتب اللاهوتية المهمة منها:

الوحي وعصمة الكتاب المقدس، المسيح في سفر إشعياء، المسيح من هو؟ وكتاب "في البدء"

20 Alberto R. W. Green, *The Role of Human Sacrifice in the Ancient Near East* (Scholars Press for the American Schools of Oriental Research, 1975).

هل إله العهد القديم مختلفٌ عن إله العهد الجديد؟

من هو اللّٰه في العهد القديم؟

منذ فترة قصيرة مضت، شاهدت في مقطع مُصوَّر على بعض صفحات السوشيال ميديا، فتاةً عشرينيّة، تُمزق كتب العهد القديم، وتُردد بفخرٍ: "لا يُشرفني العهد القديم، أنا لا أعرفُ ولا أعترف بإله العهد القديم! إلهُ الغضب والانتقام والقسوة الذي لا يعرف المحبة والرحمة، إني أعبدُ إله العهدَ الجديد، إله المحبة والرأفة، الذي لا يعرف العنف، إلهي يسوع"، ثم أخذت تُردّد: "أنا إلهي ليس قاتلًا". والرائع أن هذا المقطع أثار الامتعاض والرفض من كثيرين من الناس على اختلاف أديانهم وانتماءاتهم.

د.ق. نصرالله زكريا

لقد استرجع مشهد تلك الفتاة، ما كنتُ قرأته سابقًا عن مارسيون[1] *Marcion of Sinope* ذلك الشخص الذي اهتم بمشكلة الشرّ الذي يملأ العالم، فاعتقد أنَّ مُسبّب ذلك الشرّ والمسؤول عن الكوارث في العالم هو إله العهد القديم لأنَّه إله غاضب، منتقم، مرعب ومخيف، إنَّه إله النار والشرّ، كما إنَّه إلهٌ عُنصري، يختص بأمةٍ واحدة هي الأمة اليهوديّة، وهو بذلك يختلف كل الاختلاف عن إله العهد الجديد الذي أظهره السيد المسيح بأنَّه إله المحبة والرأفة، الذي يصفح عن الذنبِ ويغفرُ الإثم والمعصية، الذي لا يفرق بين أمةٍ وأخرى، الإله الذي يقبل كل العالم. ونتيجة لإيمانه هذا، رفض مارسيون أسفار العهد القديم، وأي كتابات في العهد الجديد تتشابه مع العهد القديم. وأمام هذه الأخطاء اللاهوتيّة اعتبرت الكنيسة مارسيون هرطوقيًّا وحكمت بعزله وطرده منها في عام ١٤٤م[2]. وقد تأثر بفكرِ مارسيون نفرٌ قليلٌ منهم أدولف هارنك *Adolph Harnack*، وغيره، كما تعددت الأسئلة التي منها: في العهد القديم، يبدو الله منشغلًا بالعدالة والقصاص، بينما يبدو العهد الجديد أكثر توجهًا نحو المغفرة والمصالحة. فهل تغيَّر الله من عهدٍ إلى آخر؟ وإنْ كان الله واحدًا، فما لزوم وجود عهدين لله الواحد، أحدهما يُطلق عليه "**العهد القديم**"، والأخر يُطلق عليه "**العهد الجديد**"؟ ألا يبدو أنَّ لله شخصيتين مختلفتين باختلاف العهدين؟ في العهد القديم تظهر عنصريّة الله عندما يختار شعبًا واحدًا دون شعوب الأرض، ويأمرهم بالاستيلاء على أراضي الأمم، وارتكاب جرائم إبادة جماعيّة وقتل الأطفال والنساء، في حين نراه في العهد الجديد، يُرسِل ابنه لأجل العالم أجمع، ويشجع تلاميذه ليس على عدم القتل فحسب، بل على عدم العنف، ويُعلنها صراحة قائلًا: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا ١٩: ١٠). وهكذا نرى كثيرًا من الأسئلة التي تدور في فلك هذا الموضوع، وفي هذه الدراسة سنستعرض بعضًا من الحقائق والردود لعلنا نجد فيها إجابةً ومأربًا وتصحيحًا لتلك المفاهيم المغلوطة.

مفهوم العهد، والمعنى من استخدام لفظتي "**قديمٌ**" و"**جديدٌ**"

بادئ ذي بدءٍ، تُطالعنا في صدر الكتاب المقدس في اللغة العربيّة عبارة: "الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد"، ورُبّ قائل يقول: إنَّ المقصود بهذه

١ وُلِد مارسيون في مدينة سينوب على شاطئ البحر الأسود شمال تركيا نحو سنة ١٢٠م، وكان أبوه أسقفًا على المدينة، فتربى مارسيون داخل أسرة مسيحيّة، وكان شعلة من الذكاء، بالإضافة إلى محبته للزهد والتقشف وحياة التأمل. وقد عَمِل في التجارة وكان له عدة سفن تعمل في مجال النقل، فكوّن ثروة ضخمة، ولكن بسبب انحرافه عن الإيمان القويم اختلف معه أبوه الأسقف وحرمه من الاشتراك معه في الصلاة، فذهب إلى مدينة روما سنة ١٤٠م. وهناك تأثر بالغنوسيّة التي شكَّلت جزءًا كبيرًا من مفاهيمه ومعتقداته، وقد حكمت الكنيسة بهرطقته عام ١٤٤م.

٢ نصرالله زكريا. **الإله المُفترى عليه**. (القاهرة، مطبوعات الحياة المنتصرة، ٢٠٠٤) ص ١٢-١٤.

العبارة أنَّ الكتاب المقدس جزآن، يُسمى أولهما، العهد القديم لأنَّ موضوعه العهد الأول، عهد الناموس، وثانيهما، العهد الجديد لأنَّ موضوعه العهد الثاني، عهد النعمة. وإن كانت هذه العبارة غير مقصودٍ بها التعبير عن "عهدٍ ***Covenant***"، بما تحمله الكلمة من معنى، لكنَّ تلك العبارة تأتي في اللغة الإنجليزيّة "***New & Old Testament***"، وهي لا تُشير إلى وجود عهدين كما يُفهم من التسمية العربيّة المتداولة، بل عهدٌ واحدٌ له وصاياه القديمة والجديدة.

إنَّ التسميّة الصحيحة للأسفار من "التكوين إلى ملاخي"، كما جاءت في الأصل العبري هي "توراه"، ويقصد بها أسفار موسى الخمسة، و"الأنبياء[٣]"، ويُقصد بها أسفار الأنبياء الأولين والمتأخرين، و"الكتب"، ويُقصد بها الأسفار الشعرية. وقد أقرّ السيد المسيح هذه التسميات وأكَّدها في (لوقا ٢٤: ٢٧، ٤٤، ٤٥) وأطلق الرسول بولس على هذه الأسفار تعبير "الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ" (٢تيموثاوس ٣: ١٥-١٦).

أمّا التسمية الصحيحة للأسفار من "متى إلى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي"، فهي تنقسمُ إلى: [الإنجيل، سفر الأعمال، الرسائل، سفر الرؤيا]، ويخطئ مَنْ يظُن أنَّ الإنجيل كتابٌ مسطرٌ، بل الصحيح أنَّ الإنجيل هو عملٌ إلهيٌّ حاسمٌ، قام به الله في زمنٍ محددٍ، ومكانٍ محددٍ، وحياةٍ محددةٍ لفداء البشر ولخلاصِهم[٤]، فكلمة "إنجيل" لفظة يونانيّة تعني الخبر السار، هذا الخبر الذي أعلنه يسوع المسيح من خلال حياته وصلبه، وموته وقيامته.

أمَّا "العهد"، فهو اتفاقيّة تُبرم بين طرفين، وتعتمد على شروط وجزاءات يُتَّفَق عليها، ويُعتَبَر العهد لاغيًا إذا أخلَّ أحد الطرفين بشروطه، ويتعرض تبعًا لذلك للجزاءات والعقاب المنصوص عليها في العهد، وقد استخدمت كلمة "عهد"، لتصف تلك العلاقة الفريدة والمميزة بين الله والإنسان، وهما طرفان غير متساويين، فالله وهو الطرف الأول يملك كل شيء، والإنسان الطرف الثاني لا يملك أي شيء، وبطبيعة الحال لا يمكن للطرف الثاني أن يُملي شروطًا خاصة على الطرف الأول، ومع ذلك نجد أنَّ الله هو الذي يأتي طالبًا الدخول في ذلك العهد وتلك العلاقة مع الإنسان، وهو ما أضفى على كلمة "العهد" دلالة خاصة وعمقًا لا يتخيله إنسان. وقد أكَّدَ علماء اللاهوت العهدي[٥] على ثلاثة عهودٍ، يأتي في مُقدمتها:

---

٣ يطلق اليهود اسم "الأنبياء" على كتب الأنبياء الذين نعرفهم بالكبار والصغار، ويقسمون هذه الكتابات إلى كتابات الأنبياء الأولين وهي أسفار يشوع وقضاة وصموئيل الأول والثاني وملوك الأول والثاني، وكتابات الأنبياء والمراثي حيث نجدها ضمن الكتابات الشعرية، وقد تم التقسيم العبري على أساس الاتجاه النبوي لهذه الأسفار فلا يوجد ذكر لأنبياء كبار أو صغار، وإنما هذه الكلمات ودرت في تقسيم الترجمة السبعينية والفولجاتا والترجمات الإنجليزية للكتاب المقدس، هذا التقسيم الذي بُنِي على أساس طول الأسفار و/أو قصرها. مكرم نجيب- ق **المدخل إلى الأنبياء الصغار**. القاهرة: دار الثقافة ١٩٨٠. ص ٩

٤ فهيم عزيز. د. **المدخل إلى العهد الجديد**. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠. ص ٧٩.

٥ لاهوت العهد ليس "**علمًا لاهوتيًا**"، بمعنى كونه مجموعة محددة من العقائد بقدرِ ما هو إطار لتفسير كلمة الله. وهو الإطار الذي تُفضله وتتبعه الكنائس المُصلحة.

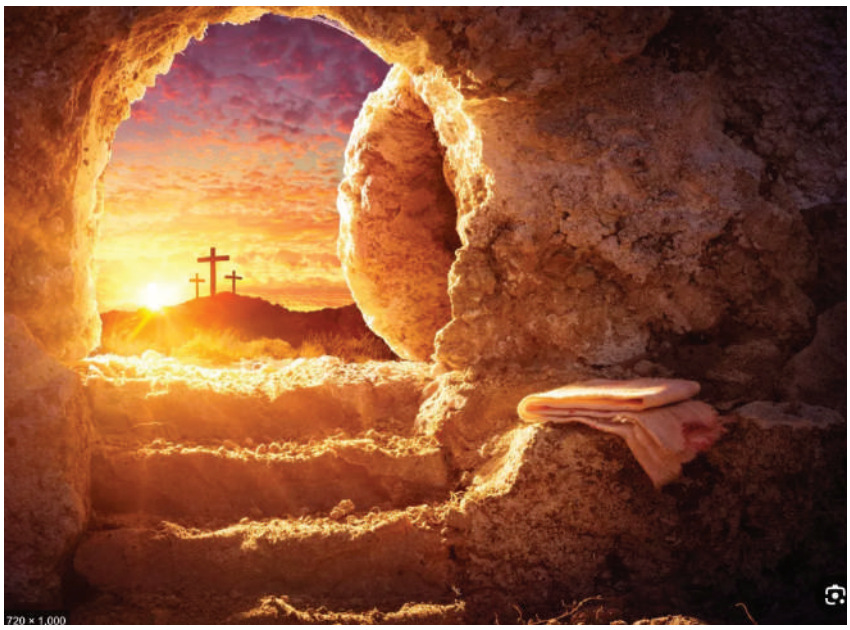

أولًا: "عهد الفداء"، ذلك العهد الذي قطعه الله مع ابنه، قبل الأزمنة الأزلية، وهو يختص بفداء الله للإنسان، حيث يتعين على الله الآب في هذا العهد أن يرسل ابنه فداءً، وكفارة عن خطايانا ومنحنا "الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (تيطس ١: ٢). هذه الحياة التي فشل آدم في الحصول عليها حينما قُدمت له خلال عهد الأعمال. وقد كان الوعد بالحياة الأبديّة، وبفداء الإنسان سرًّا مكتومًا منذ الدهور في الله (أفسس ٣: ٩، رومية ١٦: ٢٥). وحينما جاء الوقت المعيَّن لإعلان هذا السرّ، تجسد ابن الله مُخليًا "نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (غلاطية ٤: ٤، فيلبي ٢: ٥-١١). وإذ يرى بعض العلماء أنَّ عهدَ الفداء بكماله يشتمل على صورتين: أولاهما، تلك التي تصف العلاقة بين الله والمسيح وتُسمَّى "عهد الفداء"، وهنا نرى المسيح أحد طرفي العهد، وثانيتهما، تصف العلاقة بين الله وشعبه وتُسمَّى "عهد النعمة"، والمسيح في هذه الصورة هو وسيط وضامن العهد، على أنَّ الأصل في هذين العهدين هو عهد الفداء المبني عليه عهد النعمة.

ثانيًا: "عهد النعمة"، وهو العهد الذي يصف العلاقة بين الله وشعبه، وهو واسطة لإتمام عهد الفداء، وعلى أساس هذا العهد تم خلاص البشرِ منذ آدم، أول إنسانٍ وإلى نهاية التاريخ، إلا أنَّ هذا العهد تتغير صورته المنظورة وتتدرج طبقًا للعصور الإنسانيّة المختلفة، ولقد ميَّز علماء اللاهوت بين الصور المختلفة لهذا العهد رغم وحدته وقسموها إلى أربعة أنظمة:

١- **العصر الآدمي نسبة لآدم**، وهذا العصر يبدأ من آدم وينتهي بإبراهيم، وفي هذا العصر كان وعد الله بالخلاص قائلًا: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥) وقد توقع البشر خلاص الله طبقًا لوعده هذا.

٢- **العصر الأبوي**، ويبدأ هذا العصر بدءًا من دعوة إبراهيم وحتى إعطاء الناموس في سيناء، وفي هذه الفترة نرى عهد الله مع إبراهيم، الذي دعاه الله ليُكوِّن شعبًا خاصًا له، ولقد أعلن الله في هذه الفترة عن مجيء المخلِّص -الموعود به قبلًا- من سبط يهوذا، قائلًا:

"لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ" (تكوين ١٩: ١٠).

٣- **العصر الموسوي**، ويبدأ هذا العصر بدءًا من إعطاء موسى الناموس حتى صلب المسيح. وكان على الشعب في هذا العصر طاعة الناموس، وإدراكًا من الله بأنَّ الإنسان لا يمكنه حفظ الناموس دبَّر له الذبائح كوسيلةٍ للتكفير عن خطاياهم وسقطاتهم، على أنَّ الله أظهر للشعب في أثناء هذه المرحلة، أنَّ هناك مخلصًا سوف يأتي (تثنية ١٨: ١٥)، وأنَّ عهدًا جديدًا سوف يتمتعون به حين تصبح الشريعة داخل قلوبهم، وتتحول القلوب من الصورة الحجرية إلى الحالة اللحمية (إرميا ٣١: ٣١- ٤٣، حزقيال ٣٦: ٢٦) هذا العهد مبني على وعود الله ورحمته وسوف يكون صانع هذا العهد هو "**عبد الربَّ**"، الذي يشير إليه ويصفه النبي إشعياء (٥٢، ٥٣) وهكذا يتدرج ويتطور مفهوم العهد، والعلاقة بين الله وشعبه.

٤- **العصر الإنجيلي**، ومدته من المسيح وإلى نهاية العالم وفي هذا العصر قد أعلن الإعلان النهائي والكامل عن ذلك العهد الذي كان قبل أن يكون العالم، والذي جاء المسيح لكي يظهره في صورته النهائية ويضع بذلك طريقًا حيًّا للوصول إلى الله الآب (يوحنا ١٤: ٦، عبرانيين ١٠: ١٩-٢٠)، وفي هذا العصر أرسل الروح القدس للتبكيت على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة (يوحنا ١٦: ٨) وهذا العصر يمتد إلى نهاية الدهر (متى ٢٨: ٢٠) ولا يوجد في الكتاب المقدس ما يدل على أن هذا العصر يُبدَّل بعصر جديد أفضل منه. وقد أكَّد المسيح والرسل على قبولهم نصوص ما يُطلق عليه "العهد القديم"، فيقول المسيح: "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (متى ٥: ١٧). وهو ما يشرحه الرسول بطرس في عظته (أعمال ٢: ١٤-٣٦)، ويؤكده الرسول بولس في رسالته إلى أهل كنيسة غلاطيَّة (٣: ١-٥: ١)، وأخيرًا يُعلنها صراحة أنَّ "كُلّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ انْسَانُ اللهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢تيموثاوس ٣: ١٦-١٧).

ثالثًا: "عهد الأعمال"، وهو العهد الذي تمَّ بين الله وآدم رأس الخليقة على شرط الطاعة الكاملة، وقد كان هذا العهد في صورة وعدٍ قدَّمه الله لآدم بالحياة، وهذا الوعد يحتوي على شرطٍ محدَّدٍ، وهو النهي عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، كما يحتوي على قصاصٍ معروف، هو الموت حال نقض الإنسان للعهد، وقد كانت الأعمال هي الميزة الواضحة لهذا العهد. ويأتي نص هذا العهد كما سجَّله لنا الوحي: "وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»" (تكوين ٢: ١٦-١٧)، ومن المعروف أن آدم لم يحفظ هذا العهد بل سقط وأكل من

الشجرة المنهي عنها (تكوين ٣: ٦) وهكذا انتهى هذا العهد وسقط.

ومن المهم أن نتذكّر أنَّ كل العهود المختلفة المذكورة في كلمة الله (مثال: العهد الذي قطعه الله مع نوح، إبراهيم، موسى، داود، العهد الجديد) كلها تطبيقات إمّا لعهد الأعمال أو عهد النعمة. كما أنَّه يجدُر بنا أن نُدرِك أنَّ هناك تطورًا في إعلان الله عن عهده الذي قطعه مع الابن، ذلك العهد المُسمَّى بعهد الفداء، هذا التطور الذي بدأ بصورة وعد مجيء المخلص، ثم بعهد مع أبي الآباء، ثم اختيار شعب، فأعطاه ناموسًا، ثم الوصول لوعدٍ بإعطاء عهدٍ جديدٍ (إرميا ٣١: ٣١-٣٤)، ثم تكتمل الصورة بتجسُّد الابن المبارك ليعلن ذلك السر الذي كان مكتومًا في الله منذ الأزمنة الأزلية (أفسس ٣: ٩، كولوسي ١: ٢٦، تيطس ١: ٣).

ويمكننا أن نخلُص إلى أنَّ التمييز المشهور بين العهد القديم والعهد الجديد إنما يشير إلى نظامين -هما

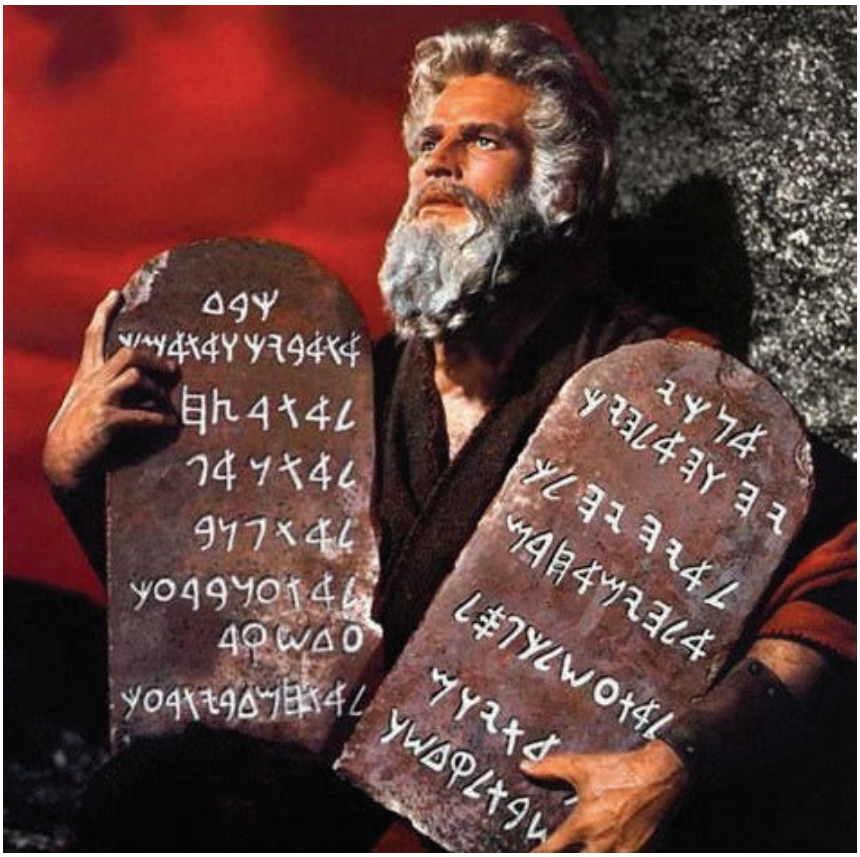

الموسوي والمسيحي- لعهدٍ واحد وهو ما يُسمَّى "العهد الجديد، عهد النعمة" تمييزًا له عن العهد القديم، عهد الأعمال الذي نُقِضَ وانتهى. وفي هذا العهد الجديد بنظاميه سواء الموسوي أو المسيحي، يُشترط فيه الإيمان للخلاص، وهذا يجعلنا لا نتفاخر على أناس النظام الموسوي واصمين إياهم بأنّهم أناس العهد القديم، لأنَّهم هم أيضًا داخل إطار العهد الواحد، عهد النعمة، عهد الفداء، عهد محبة الله. وهكذا عندما تجسَّد ابن الله، لم يكن تجسُّده افتتاحًا لعهد النعمة. بل تحقيق لوعوده، كما أنَّ النظام المسيحي ما هو إلاَّ إدارة جديدة لعهد النعمة ولكن دون رموز أو ظلال[٦].

هل تغيَّر الله في العهد الجديد عنه في العهد القديم (واحديّة الله وعدم تغيّره)

إنَّ مَن يطرحون فرضيّة أنَّ إله العهد القديم يختلف عن إله العهد الجديد، أو أنَّ الله تغيَّر في العهد الجديد عمَّا

6 R. Scott Clark. *Did The Covenant Of Grace Begin In The New Covenant*? Available on the following link: https://heidelblog.net/2017/06/did-the-covenant-of-grace-begin-in-the-new-covenant

كان عليه في العهد القديم، يسوقون بعض المواقف التي تُظهِر غضب، وعنف، وقسوة وعنصريّة الله في معاملاته مع إنسان العهد القديم، بخلاف مواقفه التي تُظهِر اللطف والمحبة والغفران لإنسان العهد الجديد، فهل تغيَّر الله فعلًا، أم أنَّ هناك تفسيرًا لهذه الاختلافات؟

عندما نقتربُ لدراسة الكتاب المقدس في عهديه (القديم والجديد) دراسة متأنية، نكتشف أنَّ الوحي المقدس يُعلِن بكل بوضوح **أنَّ الله واحدٌ لا يتغيَّر**، هذا ما يؤكده قول الربِّ نفسه في سفر ملاخي، في العهد القديم، قائلًا: "أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ" (ملاخي ٣: ٦)؛ وهو ذات ما تُردده رسالة الرسول يعقوب، فنقرأ أنَّ الله "لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ" (يعقوب ١: ١٧؛ راجع أيضًا عبرانيين ١٣: ٨). إنَّ إله الكتاب المقدس إلهٌ واحدٌ، إلهٌ عادلٌ رحيمٌ محبٌ وغفور، إنَّه يتصف بنفس الصفات والطِّباع، سواء في العهد القديم أو العهد الجديد.

وربما بقليلٍ من التروي في دراستنا الموضوعيّة لكتاب العهد الجديد نجد أنَّ الله يبدو أشد قسوة عما يُظهِره العهد القديم؛ كيف؟ دعونا في السطور التالية نناقش بعض الأمور ونستوضحها:

أولًا: واحدية غضب وعدله الله وطول أناته في القديم والجديد

يبدو من القراءة السطحيّة للكتاب المقدس، أنَّ أسفار العهد القديم تُركِّز على غضب الله وعدله، بينما نرى أسفار العهد الجديد تُركِّز على محبة الله ورحمته، ممَّا يبدو للبعض أنَّ تغييرًا حدث في شخصيّة أو معاملات الله مع الإنسان، لكن حقيقة الأمر أعمق من ذلك بكثير.

إنَّ غضب الله ليس فورة غضبٍ، بل رد عادل على الخطية، وكل ما ينتهك قداسته. لقد بدأ غضب الله على الإنسان منذ أخطأ آدم فحُكم عليه بالموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس (رومية ٥: ١٢)، إنَّ الإله الذي يسكب غضبه على الخطيئة في العهد القديم، هو نفسه الإله الذي سيصُبُّ جام غضبه على أولئك الذين لا يؤمنون بابنه يسوع، "إِذْ هُوَ عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يُضَايِقُونَكُمْ يُجَازِيهِمْ ضِيقًا، وَإِيَّاكُمُ الَّذِينَ تَتَضَايَقُونَ رَاحَةً مَعَنَا عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنَ السَّمَاءِ مَعَ مَلاَئِكَةِ قُوَّتِهِ، فِي نَارِ لَهِيبٍ، مُعْطِيًا نَقْمَةً لِلَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ وَالَّذِينَ لاَ يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ" (٢تسالونيكي ١: ٥-١٠). كما أنَّ الله الذي حَكَم بالموت على عخان بن كرمي في العهد القديم (يشوع ٧: ١٩-٢٦)، هو نفسه الإله الذي حَكَم بالموت على حنانيا وسفِّيرة في العهد الجديد (أعمال ٥: ١-١١)؛ وإذ كان الله في العهد القديم دمَّر سدوم وعمورة لأجل شرِّهما (تكوين ١٨: ٢٠-٢٣)، فهو نفس الإله الذي نطق في العهد الجديد على أورشليم قائلًا: "هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!" ثم أكمل قائلًا: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ

إِنَّـهُ لاَ يُتْـرَكُ هَهُنَـا حَجَـرٌ عَلَـى حَجَـرٍ لاَ يُنْقَضُ!» (متى ٢٣: ٣٨؛ ٢٤: ٢). ويبقى الصليب أعظمَ تجلٍّ لغضب الله لم نشهده في العهد القديم، فكل الذين تعرضوا لغضبِ الله -جماعة أو أفرادًا- يستحقون ما نالوه من جزاءٍ وعقاب، كان غضبُ الله في الصليب مُوجَّهًا نحو إنسانٍ كامل، بارٍّ لم يفعل خطيئة، ولا وُجِدَ في فمه مكرٌ (١بطرس ٢: ٢٢)، لكنَّه صُلِبَ ومات بديلًا لمن استحقُّوا العقاب والموت. ولا يُمكن للإنسان أن يفهم قيمة وأهميّة ذبيحة وصليب المسيح، ما لم يفهم غضب الله وعدله في مواجهة الخطية.

ربما تحمل كلمة "غضب" كثيرًا من السمعة السيِّئة، التي نرفض أن يتَّصف بها الله، لكن هل تعلم أنَّ غضب الله وعدله صفات جيدة وحقيقيّة في الله؟ إنَّه غضب القاضي المُنصِف العادل، الأمر الذي يتماهى مع طبيعة الله الصالحة، فالله ليس فقط إله المحبة والغفران، لكنَّه إله الغضب والعدل، وهذه ليست صفات متعارضة بل جوانب لنفس الإله صاحب السيادة والسلطان[٧].

ما يُشجعنا، أننا في قلب غضب الله وعدله، نجد لطفه وطول أناته، فهو الذي أمهل الأموريين أربعة أجيال قبل أن يُعاقبهم بغزو العبرانيين لهم (خروج ٢٣، ٣٣)، وهو الذي أمهل فرعون زمنًا قبل أن يُعاقبه بالضربات العشر، على ما صنعه من جريمة في حق الإنسانيّة بقتله أطفال العبرانيين (خروج ١: ١٥-١٦، ٧-١٢)، هو نفسه الإله الذي حكم بنفس المنطق على شعبه بالسبي والتشرُّد إذ لم يطع وصايا الله (لاويين ١٨: ٢٦-٢٨) وهو ما حدث بالفعل في السبي الأشُّوريِّ والسبي البابلي (٢ملوك ١٥؛ ٢٤). وهذا ما يؤكده العهد الجديد عندما يقول: "أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَجْلِ قَسَاوَتِكَ وَقَلْبِكَ غَيْرِ التَّائِبِ

7-,- *Ask Heather: Why does God seem so different between the OT and the NT?* Available on the following link: https://therescuedletters.com/why-god-seems-different-old-new-testament

تَذْخَرُ لِنَفْسِكَ غَضَبًا فِي يَوْمِ الْغَضَبِ وَاسْتِعْلاَنِ دَيْنُونَةِ اللهِ الْعَادِلَةِ. الَّذِي سَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ." (رومية ٢: ٤-٦).

ثانيًا: واحدية رحمة الله ومحبته في القديم والجديد

يعتقد بعضٌ أنَّ العهد القديم يُقدِّم لنا الله في شخصيّة الغاضب المنتقم، بعكس الصورة التي يُقدِّمها لنا العهد الجديد، فهو يُقدِّم لنا إلهًا مُحبًا، رؤوفًا، حتى إنَّه بَذَل ابنه الوحيد لأجل خلاص العالم (يوحنا ٣: ١٦)، لكننا بقراءة العهد القديم نراه نفس الإله الذي كشف عن نفسه لموسى بأنَّه "الرَّبُّ إِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ." (خروج ٣٤: ٦-٧).

في العهد القديم، نرى أنَّ الله تعامل مع شعبه بنفس الطريقة التي يتعامل بها الأب المحب مع ابنه. فعندما أخطأ الشعب قديمًا إليه عمدًا وبدأوا في عبادة الأوثان، كان الله يوبِّخهم، ويُعنِّفهم، ويُعاقبهم، لكنَّه كان يغفر لهم ويرحمهم في كل مرة يتوبون إليه فيها (راجع سفر القضاة نموذجًا). وهذه هي نفس الطريقة التي يتعامل بها الله مع مؤمني العهد الجديد، اقرأ ما سجَّله الوحي المقدس، قائلًا: "«يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرَّ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟" (عبرانيين ١٢: ٥-٧).

إنَّ فهم شخصيّة الله في مجملها يعطينا صورة أكمل عن محبته ونعمته وعدله أيضًا، كما أنَّ عدل الله ومحبته صنوان، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، نرى محبة الله الرائعة وغضبه المرعب ضد الخطيئة والشرّ، مما يؤكد على واحدية الله في العهد القديم والعهد الجديد، وأنَّه لم ولن يتغير أبدًا.

ثالثًا: خلاصٌ واحدٌ في العهد القديم والعهد الجديد

يتغنى بعضٌ مردِّدين عبارات مثل: "نشكر الله لأجل خلاصه الذي دبَّره لنا في المسيح"، أو "نشكر الله لأننا لسنا تحت الناموس، بل في عهد النعمة"، لن نخوض في شرح أو تفنيد مثل هذه العبارات، لكن ما يؤكد عليه الكتاب المقدس أنَّ أحدًا لم يخلُص في العهد القديم أو الجديد على أساس أعماله أو بره أو ذبيحة قدَّمها لله، إنما هي نعمة وعطية الله، التي قدَّمها في شخص ابنه يسوع المسيح، حتى إنَّه يقول: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ." (أفسس ٢: ٨-٩). وهكذا تبرر كل هؤلاء: آدم، أخنوخ، نوح، إبراهيم، يعقوب، موسى، راعوث، راحاب، داود، بطرس، يوحنا، مريم، فيبي، بولس، وغيرهم، وما زالت نعمة الله تُخلِّص كل يوم المُختارين الذين يؤمنون به، إنَّه الله الواحد، هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد.

ومع وجود كثيرٍ من الادعاءات والمُشكلات والتحديات التي من أجلها يعتقد الإنسان أنَّ الله تغيَّر في العهد الجديد عنه في العهد القديم، تتعدد الإجابات الكتابيّة والمنطقيّة التي تدحض تلك الافتراءات، وتُبين الحقائق واضحة جلية.

أخيـــرًا

– كيف نؤمن أنَّ "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ، لِكَيْ يَكُونَ انْسَانُ اللهِ كَامِلًا، مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢تيموثاوس ٣: ١٦-١٧)، وهُنا المقصود أسفار العهد القديم تحديدًا، ثمَّ بعد ذلك ننكر العهد القديم، أو نُشكك في قصته، أو نقول بأنَّ الله قد تغيَّر؟

– كيف نؤمن بكتب العهد الجديد دون الإيمان بكتب العهد القديم، التي تشرح لنا كيف أخطأ الإنسان، وما هو عقاب الخاطئ، ولماذا يموت الإنسان نتيجة خطيئته، وما هي الطريقة التي يُمكن بها للإنسان أن يخلُص، وكيف أعدَّ الله طريق الخلاص من خلال شخص المسيح وصلبه وموته وقيامته؟

– كيف لنا أن نعرف يسوع المسيح المذكور في العهد الجديد دون مطابقة شخصه وعمله بالنبوات التي تكلَّمت عنه في العهد القديم؟

– كيف لنا أن نكتفي بكتب العهد الجديد، وهو عكس ما تكلَّم به وعلَّم المسيح قائلًا: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (متى ٥: ١٧-١٨). وبعد قيامته، وفي أثناء لقائه مع تلميذي عمواس، شرح لهما كيف "كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟». ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ" (لوقا ٢٤: ٢٦-٢٧). وهو ما سار عليه تلاميذه ورسله، إذ يؤكِّد الرسول يوحنا، أنَّه "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا." (يوحنا ١: ١، ١٤). إنَّ يوحنا يؤكِّد أنَّ إله العهد القديم اتخذ جسدًا وعاش بيننا في شخص يسوع المسيح. وبعد القيامة، أكَّد التلاميذ مرارًا وتكرارًا أنَّ إله العهد القديم حقق وعوده في شخص يسوع المسيح ومن خلاله (راجع: أعمال ٢: ٢٣؛ ٣: ١٣؛ غلاطيّة ٣: ١-٥: ١؛ ٢كورنثوس ١: ٢٠).

أدعوك قارئي العزيز: لقراءة ودراسة الكتاب المقدس بتروٍّ وتأنٍّ، حينها ستُدرك أنَّ الله هو نفسه في العهدين القديم والجديد[٨]. وبسبب شخصيته البارة والمقدسة، يجب أن تُدان كل الخطايا، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. وأنَّه في محبته اللامتناهية دبَّر ثمنًا للخطية، وطريقًا للغفران والمصالحة حتى يهرب الإنسان الخاطئ من غضب الله، وينال خلاصًا أبديًا، ويتمتع بمعرفة الله الواحد، الذي لا يتغير.

8-,- ***Why is God so different in the Old Testament than He is in the New Testament?*** Available on the following link: **https://www.gotquestions.org/God-different.**html

مقدمة عن لاهوت العهد

مقدمة

كلمة العهد كلمة مفتاحية في الإيمان المسيحي في عالم يبحث فيه الناس عن الثقة والالتزام بالوعود. كلنا نسمع وعودًا وننطق بوعود للآخرين، ولكن عادةً لا نلتزم بهذه الوعود ولا نفي بها. نحن بالطبيعة كاسرون للعهد وفي عالم يحيا فيه بشر كل يوم يكسرون عهودهم بعضهم لبعض وقبل ذلك يكسرون عهدهم مع الله دائمًا، يحدثنا الكتاب المقدس عن الله حافظ العهد، إله الأمانة عظيم الصنيع. يكلمنا الكتاب المقدس عن الله صانع الوعود وحافظها من قبل وفي أثناء وبعد كسر البشر لوعودهم وعهودهم.

ش.د. شريف عاطف

من أهم وأبرز ما يميز المسيحية هي إنها قصة واحدة. نحن أمام قصة تحكي عن علاقة الله بشعبه وإن جاز أن نعطي لها عنوان واحد سيكون "أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا". وهذه القصة هي أيضًا قصة استرداد من تكوين ٣ ونحن نرى قصة استرداد الله للبشرية. الإنسان كان مخلوق في علاقة وشركة مع الله وهذه العلاقة كانت علاقة عهدية، وبعد السقوط تدخل الله ليسترد الإنسان. والإطار الذي يسترد الله من خلاله الإنسان هو أيضًا العهد. فلاهوت العهد يجعلنا نرى الكتاب المقدس بوصفه قصة واحدة عنوانها "عمانوئيل" وهذا العنوان وما يمثله من عبارات مثل "أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا" هي عناوين وعبارات عهدية.

لذلك نرى كلمة العهد وفكرة العهد متغلغلة بقوة في الكتاب المقدس كله. كلمة "عهد" مذكورة" تقريبًا ٣٠٠ مرة في الكتاب المقدس، وعادةً عندما تظهر تلك الكلمة يكون مبدأ العهد محوريًا في هذا النص. إن موضوع العهد هو الإطار الذي يخلِّص الله من خلاله الإنسان الذي انفصل عنه بالسقوط. في العهد نرى استرداد الله لشعبه، لذا فالعهد هو الربط بين الأنثروبولوجي (الإنسان والخطية والسقوط) وبين السوتيريولوجي (الخلاص).

يهدف هذا المقال لتقديم مقدمة عامة للاهوت العهد، وخاصةً عهد الله مع الإنسان. لذا، بعد أن نعرض مقدمة عامة عن فكرة العهود سنتطرق لبعض التفاصيل عن الإطار العهدي الذي تعامل فيه الله مع البشر. فبقراءة القصة الكتابية يمكن فهم علاقة الله مع الإنسان في إطار نوعين من العهود: عهد الأعمال وعهد النعمة. وسوف نتطرق لكلا العهدين باختصار في هذا المقال مؤكدين على العناصر الأساسية في كليهما.

فكرة العهد

فكرة العهود موجودة خارج الكتاب المقدس من قديم الأزل. لدينا العديد من النماذج في الحضارات القديمة في الشرق الأدنى القديم لعهود ومواثيق كانت تتم بين الشعوب والأفراد والملوك. ولذلك عندما أعلنها الله في الإعلان الكتابي وفي معاملاته مع شعبه كان فهمها أمرًا سهلًا. تواصل الله مع شعبه بواسطة العهود التي يفهموا معناها جيدًا. هذا لا يعني أن فكرة العهد فكرة إنسانية في الأساس ثم استخدمها الله في تعامله مع البشر. في الواقع تعامل الله مع الإنسان من البداية هو تعامل في إطار عهد. بل إن فكرة العهد ترجع إلى ما قبل الخليقة. الوجود الثالوثي لله وخاصة فيما يتعلق بعلاقته بالخليقة هو وجود عهدي من الأساس وما نراه بين البشر هو انعكاس لهذه العهود. **الخليقة لم تكن قرارًا فرديًا لشخص وحيد، ولكن مقاصد الله هي للآب والابن والروح القدس بحيث تكون الخليقة نموذج لعلاقتهم الأزلية المليئة بالأخذ والعطاء.** لذلك أنشأ الله الوجود الإنساني بحيث تكون فكرة العهد محورية في العلاقات بين البشر وفي العلاقة بين الله والبشر. فكرة العهد لم تظهر بعد خلق الإنسان، ولكننا خُلقنا لنكون مخلوقات في علاقة عهدية مع الله.

تعريف مبسط للعهد

عندما نفكر في العهود بين البشر نجد أن العهد هو اتفاق بين طرفين أو أكثر على تكوين علاقة بينهما وهو يحتوي على

شروط وامتيازات ومسؤوليات، كما يحتوي على تداعيات لكسره. والعهد قد يكون بين أطراف متساوية يتفقون على واجبات وامتيازات متبادلة بينهم. ولكن العهد قد يكون بين طرفين أحدهم أقوى من الثاني، وفي هذه الحالة يكون العهد عبارة عن اتفاق يُفرَض من الطرف الأقوى على الطرف الأضعف. ويوثَّق أو يثبَّت العهد باحتفالات وأحيانًا ذبائح ويكون في محضر الإله ليكتسب مصداقية وموثوقية. وعندما نأتي للعهود التي قطعها الله مع البشر نرى أن شروط وامتيازات العهد يضعها الله، ولكن في نفس الوقت نرى الله في نعمته يتنازل ويتعامل مع الإنسان في شكل العهود التي تقطع بين البشر المتساوين. فعهود الله مع الإنسان سيظل الله فيها أسمى وأعظم من أي طرف في أي عهد آخر. بصفة عامة، في العهود يستفيد كل طرف من هذه العلاقة. لكن في العهد مع الله، لن يضاف إلى الله أي شيء أو يستفيد بأي شيء من الإنسان وكأنه كان محتاجًا إليه. بالطبع يستمتع الله بالعلاقة العهدية مع شعبه، ولكنه لن يزيد أو ينقص. ففي عهود الله مع الإنسان، نحن من نحتاج هذه العلاقة العهدية مع الله ولم يكن حتى في الإمكان طلبها إن لم ينشئها هو.

في الوقت نفسه، الإنسان ليس لديه الحرية في قبول أو رفض العهد مع الله. في العهود الإنسانية قد يرفض طرف ما العهد وبهذا لا يكون ملزمًا له، ولكن ليس هكذا الحال في العهود مع الله. الله دخل في عهد مع آدم وكل نسله، ولم يكن لدى آدم أي خيار في قبول أو رفض الدخول في العهد. ولا يوجد حتى مفاوضات في العهد. فالمتوقع من الإنسان

في العهد مع الله هو الطاعة والخضوع لشروط وامتيازات ومسؤوليات العهد. علمًا بأن الله لا يريد فقط طاعة خارجية في العهد، ولكنه يريد علاقة من القلب. هدف الله من العهد أن يحيا الإنسان مع الله وهو يحبه من كل قلبه. لذلك فالعلاقة العهدية مع الله ليست فقط علاقة قانونية، ولكنها علاقة شخصية أيضًا. وكما أن العلاقة بين الأزواج هي علاقة قانونية، ولكنها علاقة شخصية أيضًا، كذلك العلاقة مع الله، ولكن بشكل أعمق وأسمى. الهدف من العهود ليس فقط الاتحاد بالله، ولكن أيضًا الحياة والسير معه.

عهد الأعمال أو عهد الخليقة

على الرغم من أن مصطلح عهد أو ميثاق غير موجود في تكوين ١-٣ إلا أن عناصر العهد لا يمكن تجاهلها في بداية سفر التكوين وفي قصة الخليقة. نجد في القصة طرفي العهد، والتزام أو شروط العهد، ووعد البركة في حالة الطاعة، وتهديد بالعقاب في حالة العصيان. لقد دخل الله مع آدم في عهد في حالة بره الأصلي وكان متوقعًا من آدم الخضوع لله والطاعة في هذا العهد والذي بتنفيذه ينال آدم الحياة الأبدية. ولكن كسر هذا العهد كان يعني الموت ودخول الخطية إلى العالم. ومع أننا لا نرى قبولًا أو موافقةً من آدم على أن يكون طرفًا في العهد، ولكن هذا مفهوم ومقبول؛ إذ إن العهد بين الله السيد وبين آدم بصفته المخلوق. فالله وآدم ليسا طرفي عهد متساويَيْن وإنما هو عهد بين طرف أعظم من الآخر. لذلك الله له السيادة الكاملة في هذا العهد وهو من يضع شروطه وبركاته ولعناته. كما أن آدم بصفته مخلوقًا كان مُتوَقَّعًا منه الطاعة دون ضرورة وجود مكافأة لهذه الطاعة، ولكن الله في سلطانه وحكمته هو من قرر أن تكون لهذه الطاعة مكافأة.

كان مُتوَقَّعًا من آدم في هذه العلاقة العهدية محبة لله من كل القلب والفكر والقدرة ومحبة قريبه كنفسه. وإن فكَّرنا في هاتين المحبتين نجد أنهما تلخصان الناموس كله. لقد خُلق آدم بإمكانية لطاعة ناموس الله بصفته شرط وشكل العلاقة العهدية مع الله. لكن لم يعط الله آدم فقط الناموس ليطيعه بمحبة، ولكنه أيضًا أعطاه وصية محددة تُعبر عن هذه العلاقة العهدية مع الله. كانت هذه الوصية المحددة ألا يأكل من شجرة معينة تدعى "شجرة معرفة الخير والشر". وكانت الوصية بعدم الأكل من الشجرة بمثابة اختبار مؤقت والنجاح فيه كان سيؤدي حتمًا لحياة أبدية. عدم الأكل من الشجرة لم يعني فقط الاستمرار في الوجود في الجنة وإنما كان يعني الارتقاء لنوعية حياة أعظم. هذه النوعية الأعظم مرتبطة بالأكل من شجرة الحياة التي حُرِم آدم وحواء من الاقتراب منها بعد السقوط، ولكن بمجيء المسيح وموته وقيامته فتح لنا الباب للحياة الأبدية (يوحنا ٣: ١٦) فهو قد أتى لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل ولذلك ستكون شجرة الحياة متاحة لشعب الله في الأبدية (رؤيا ٢٢: ٢). لقد كانت طاعة آدم مُتوَقَّعة بصفته مخلوقًا، ولكن بسبب العهد صارت لهذه الطاعة مكافأة وهي الحياة الأبدية مع الله.

كانت لعنة كسر عهد الأعمال هي الموت، الجسدي والروحي والأبدي. ومعنى الموت للإنسان لم يكن الفناء أو عدم الاستمرار في الوجود، وإنما الانفصال عن مصدر الحياة وما يترتب

عليه من بؤس وشقاء. انفصال النفس عن الله يعني الشقاء والبؤس الروحي، ولكن الموت أيضًا احتوى البُعد الجسدي الذي فيه تنفصل النفس عن الجسد ويحدث شرخ في الكيان الإنساني. وبالفعل حدث الموت الروحي مباشرة بعد الأكل من الشجرة وبدأ الموت الجسدي يسري في جسد آدم وحواء بسبب كسر عهد الأعمال. وهذا الكسر وهذه التداعيات لم تكن فقط على آدم وإنما شملت كل نسله.

يمكن القول بأن هذا العهد -أي عهد الأعمال- مازال قائمًا ولذلك استمر الله بعد السقوط يقول إن من يفعل الوصايا يحيا بها (لاويين ١٨: ٥، رومية ١٠: ٥، غلاطية ٣: ١٢) ولكن بعد السقوط لا يمكن لأي إنسان أن ينفذ هذه الوصايا بسبب فساد الطبيعة الذي نال من جميع المتحدين بآدم. وهذا يعني أنه بسبب عهد الأعمال وكسر كل البشر له، فكل من لا يتحد بالمسيح سوف يعاقب بموجب هذا العهد. إن هذا العهد يذكرنا مما سقطنا كما يذكرنا بعجزنا وعدم قدرتنا على إرضاء الله وطاعة وصاياه. لم يعد بمقدورنا طاعة الله طاعة كاملة من القلب. وبهذا يوجهنا عهد الأعمال لاحتياجنا لعهد آخر، عهد نعمة يأتي فيه مخلص ليفعل ما لا نستطيع فعله. فالله في نعمته نطق بكلمات عهد آخر، عهد النعمة والاسترداد في مسامع آدم وحواء وهو يعاقب الحية.

عهد النعمة

بعد سقوط الإنسان وكسره عهد الأعمال، لم يعد بمقدور الإنسان أن يرجع إلى الله ولا أن يطلبه. فقد الإنسان كمال وجمال الناموس الأخلاقي المكتوب على قلبه وقت الخليقة. لذلك لزم وجود عهد آخر يظهر فيه الله ليس فقط كخالق ورب، ولكن كفادٍ ومخلِّص. عهد النعمة هو العهد الذي فيه ضمنت طاعة المسيح وموته فداءً للمختارين، وهذا الفداء يُفعَّل في حياتهم بالإيمان، وهذا الإيمان في حد ذاته هو عطية من الله وذلك من خلال الوعد بالروح القدس الذي يُمكِّنهم من الإيمان. هذا العهد يوحد تاريخ الفداء كله بداية من الإنجيل الأول في تكوين ٣: ١٥ والذي يصل لذروته في عمل المسيح كوسيط للعهد. ومع أن جوهر عهد النعمة واحد وهو يسوع المسيح لكن تطبيق هذا العهد ظهر بأشكال مختلفة من خلال تاريخ الخلاص. يمكن القول إن عهد النعمة يمثل إجابة الله لفشل آدم في تتميم شروط عهد الأعمال.

بحسب هذا العهد، الله يَعِد أن يفدي شعبه ليتمتعوا بحياة أبدية. يمكن القول إن الكرازة أو رسالة الإنجيل هي شرح لعهد النعمة. يمكن تعريف هذا العهد ببساطة كالتالي: الله في نعمته يقيم علاقة بينه -بصفته المُساء إليه- وبين الخطأة -الذين أساءوا إليه- حيث يَعِدُهم بالخلاص من خلال الإيمان بالمسيح، ويقبل الخاطئ هذا الخلاص بالإيمان. وبحسب هذا العهد يعد الله بأن يعطي شعبه الروح القدس الذي يمكنهم من التوبة والإيمان بالمسيح.

ومن بعد السقوط نرى ستة عهود يتكلم عنها الكتاب المقدس وهي بمثابة ٦ فصول لموضوع واحد كبير اسمه عهد النعمة:

١. عهد مع آدم
٢. عهد مع نوح
٣. عهد مع إبراهيم

٤. عهد مع موسى

٥. عهد مع داود

٦. وعد بالعهد الجديد

بالطبع لن ندخل في تفاصيل كل هذه العهود في هذه المقالة لكننا سنلقي الضوء على معانٍ مشتركة في كل هذه العهود وعلاقتها بمجيء المسيح.

الخطية

أول شيء مُشتَرَك في كل هذه العهود هو خلفية الخطية. الله لا يتعامل في عهد النعمة مع البشر بناءً على أيِّ استحقاقٍ فيهم. كلمة نعمة في حد ذاتها تؤكد هذا المعنى. في كل هذه المرات تعامل الله برحمته مع أناسٍ غير مستحقِّين. فكل هذه العهود حدثت مع أناس خطاة ولم تحدث معهم لأنهم كانوا أفضل ممن حولهم. بل في كل مرة يدخل الله في عهد في المرات الست، نجد أن الوضع سيئ والخطية تحيط به من كل جانب. في تكوين ٣ نرى الله يتدخل بوعد في عدد ١٥ بعد خطية السقوط العظمى. آدم وحواء عصيا الله عمدًا ورفضا أن يبقيا الله في مركز الحياة، وفي خضم مشهد السقوط والعصيان نجد وعد الله بالخلاص من دون أي استحقاق فيهما أو حتى طلب للرحمة، حيث يقول أضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. لو كان الله دمر العالم وقتها لما تناقض هذا مع عدالته. لكن في رحمته ونعمته نراه يعطي وعدًا بالاسترداد.

بالنظر في قصة نوح في تكوين ٨ و٩ نرى قصة الطوفان العظيمة. كان سبب الطوفان الذي دمر العالم كله هو الخطية وشر الإنسان فلم ينجُ أحد سوى من دخلوا الفلك. ومرة أخرى الله يتدخل ويقطع عهدًا مع نوح بأنه لن يهلك الأرض مرة أخرى بالمياه (تكوين ٨: ٢١، ٩: ٩-١١) مع أنه يعرف أن تصورات قلب الإنسان شريرة منذ حداثته وأن نوح نفسه سوف يسكر ويخطئ بعد الخروج من الفلك. بل إن أبناء نوح سريعًا سيزيغون ويبنون برج بابل في تمرد عالمي على الله (تكوين ١١). لم يتغير الأمر في عهد الله مع إبراهيم. لما ظهر الله لإبراهيم كان وقتها وثنيًا (يشوع ٢٤: ٢) كما أن الله قطع مع إبراهيم العهد وهو يعرف أن إبراهيم سوف يحاول بقوته أن ينشئ نسلًا عن طريق هاجر. بالوصول لخروج ١٩ والعهد مع شعب إسرائيل في سيناء لم يكن الأمر أحسن حالًا، يقطع الله العهد مع إسرائيل بعد تذمرهم بسبب الطعام (خروج ١٦) والمياه (خروج ١٧). بل إن هذا الشعب سيتذمر مرارًا وتكرارًا طالبًا العودة للعبودية في مصر. هل اختلف الأمر في عهد الله مع الملك داود؟ للأسف لا، ففي ٢صموئيل ٧ يقطع الله عهدًا مع داود الذي سوف يخطئ ويقتل ويزني. حتى في إرميا ٣١ والله يعد بالعهد الجديد فالقرينة هي خطية الشعب والسبي الذي سيحدث كعقاب على الشعب الذي زنى وراء آلهة أخرى. يعد الله الشعب ويقطع معهم العهد الجديد قبل أن يتوبوا، بل وهم في قلب خطاياهم. وفي مجيء المسيح نجده ينطق بكلمات العهد وهو عالم أن كل تلاميذه سوف تهرب، بل وأقربهم إليه سينكره. المسيح يتكلم عن العهد الجديد في ليلة أبشع خطية في تاريخ البشرية وهي قتل الابن المتأنس. فمن البداية إلى النهاية خلفية الخطية موجودة في كل العهود الإلهية وفي ظل كل هذا نجد الله يعد بنعمة أن يكون هناك علاقة بينه وبين من يقطع معهم العهد. إن عهد النعمة مبني على رحمة الله

وليس على أي استحقاق فينا. في العهد يمكن أن ندخل في علاقة مع الله بالرغم من أننا خطاة. الله مثل العريس الذي يذهب ليتزوج عروس قبيحة زانية لا يوجد فيها أي ميزة.

مبادرة الله

الأمر الثاني المشترك في كل هذه العهود هو المبادرة الإلهية فيهم جميعًا. لو تذكرنا كل القصص نجد أن المبادر دائمًا في العهد هو الله. لم يبادر الإنسان في أي عهد فيهم ويحاول أن يصنع علاقة مع الله. على النقيض، يهرب الإنسان من الله ويختبئ منه، بل ويريد الاستقلال بحياته بعيدًا عنه. على سبيل المثال، كان آدم وحواء خائفين في خزي وعار وعداوة مع الله ولا يسعهم حتى التكلم. بل أن آدم بدأ يتهم الله نفسه بأنه هو السبب في عصيانه. وفي قلب هذا المشهد الله يعد بما سوف يفعله لاسترداد الإنسان. كذلك مع إبراهيم يقطع الله العهد مع إبراهيم وهو بلا أطفال وعندما حاول إبراهيم تقديم شيء لتحقيق العهد (إسماعيل)، قوبل بالرفض من الله. حتى مع موسى كثيرًا ما نتخيل أن العهد هنا كان عهد أعمال، ولكن هذا فهم خاطئ للعهد مع موسى ومع إسرائيل. فلننظر لخلفية العهد خروج ١٩: ٤ قبل أن يتكلم الله معهم عن العهد وتفاصيله نجده يؤكد على أنه يقطع معهم هذا العهد بصفته المخلص الذي أنقذهم من مصر. وفي مقدمة الوصايا العشر وقبل أن ينطق الله بأية وصية يقول: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر". الله يأمر الشعب أن يلتزم بالعهد لأن الله قد خلصه ولا يقول له: "التزم بالعهد حتى أخلصك". بل أعطاهم الله الذبائح كجزء من العهد وهو يقول لهم: "أنا أعرف أنكم

سوف تكسرون الوصايا وهذه هي الطريقة التي تتعاملون بها معي عندما تكسرون الوصايا (تقديم الذبائح) لكي تستمروا في العلاقة معي". اللّٰه يقطع العهد ويضع شروطه وهدفه هو استرداد العلاقة. وفي وعده بالعهد الجديد، يقول اللّٰه إنه سوف يقطع عهدًا مع بني إسرائيل وهو ما حققه المسيح بمجيئه وموته لأجلنا. اللّٰه جاء بنفسه وأخذ المبادرة حتى صار الابن نفسه هو الذبيحة.

لا يستطيع الإنسان أن يبرم هذا العهد مع اللّٰه ولا يمكنه حتى أن يساهم فيه ولا أن ينفذ شروطه. لذلك اللّٰه هو من أخذ المبادرة وهو الذي أتم العهد والإنسان يقبل ما قد تم بالإيمان. فنحن لا نذهب للّٰه بأفكار ومقترحات وكأننا نقول له: "ما رأيك أن تكون العلاقة بالشكل الفلاني أو بالشروط الآتية؟"، في العهد لا نتفاوض مع اللّٰه. اللّٰه هو من يضع الشروط وهو من يعد ونحن نقبل هذه الشروط ونؤمن بالوعود. هذا يعلمنا نحن الخطاة كيف نقترب إلى اللّٰه. نحن نخضع للشروط التي أسسها. هو من يحدد طريقة الخلاص وليس نحن. هو من يحدد كيفية الخلاص وليس نحن. لا يمكننا أن نضيف لما صنعه ولا يمكننا أن نُحسِّنه. لكننا نأخذ الوعود ونقبلها بالإيمان.

حتى الآن رأينا خلفية وقرينة العهد وهي الخطية ورأينا أيضًا الطرف المبادر في العهد وهو اللّٰه والآن لنرى بُعد آخر في العهد وهو الذبيحة.

الذبيحة

العنصر الثالث الهام في عهد النعمة هو الذبيحة. كانت العهود تبرم بممارسات معينة لتوثيقها وطالما احتوت هذه الممارسات على ذبيحة. ومع أن الذبيحة ليست مذكورة في تكوين ٣ لكنها متضمنة فيما سيحدث. الاسترداد سيحدث لأن هناك سحقًا سوف يتم. ثمن استرداد العلاقة سيكون غاليًا. في تكوين ٨-٩ نرى نوح يقدم ذبائح واللّٰه يقبلها ويشتمُّها رائحة سرور في سياق قطع العهد. ثم نأتي للمشهد المشهور في تكوين ١٥ حيث يقطع اللّٰه عهدًا مع إبراهيم. لفظ قطع العهد في حد ذاته مرتبط بقطع الذبائح إلى نصفين، حيث كانت العادة أن طرفي العهد يقومون بقطع ذبائح إلى جزئين ويقومون بالسير في المنتصف، وكأنهم يقولون إنه في حالة عدم الالتزام بالعهد يجب أن يحدث في الشخص الكاسر للعهد ما حدث للذبيحة. والمذهل في عهد اللّٰه مع إبراهيم أن اللّٰه وحده عبر في الذبائح وكأنه يقول أنا المسؤول وحدي عن تنفيذ هذا العهد كما أنه هو المسؤول عن تحمل تبعيات عدم الالتزام بالعهد ودفع الثمن بالكامل. بالطبع في العهد مع موسى والشعب ذبيحة الفصح كانت محورية في إرساء العلاقة بين اللّٰه والشعب، كذلك كانت هناك ذبائح لتوثيق العهد في خروج ٢٤ بعد إعطاء الوصايا العشر (شروط العهد). بالإضافة لكل الذبائح والنظام الكهنوتي الذي أعطاه اللّٰه للشعب ليعلمه كم هو مكلِّف استرداد العلاقة مع اللّٰه في ظل الخطية والشر. وفي الوعد بالعهد الجديد نجد فكرة الذبائح معروفة ومتضمنة في العهد والدليل هو ما قاله المسيح في ليلة تأسيس فريضة العشاء الرباني. حيث يقول إن العهد الجديد سينفذ بالدم. في العهد، يقول اللّٰه إن استرداد العلاقة وإبرام العهد يتطلب ذبيحة وموت بسبب الخطية. بل ويتطلب شروطًا

معينة في الذبيحة. لكن الأمر لا يتوقف هنا، لأن الله يقول أيضًا أنه هو من سيوفر الذبيحة. بل الأبعد من ذلك نجد المسيح في مفاجأة غير عادية يقول إنه هو نفسه الذبيحة. دمه سيُسفَك لأجل كثيرين من أجل غفران الخطايا واسترداد العلاقة.

هذا يقودنا إلى ما تممه العهد بواسطة الذبيحة. بالرجوع لتكوين ٣: ١٥ نجد وعد الله الشهير بأنه سيضع عداوة بين الإنسان والشيطان. هذا هو الوعد! وهو وعد ثمين للغاية يلخص عمل الله في المسيح. في السقوط قرر الإنسان أن يتحالف مع الشيطان ضد الله وصار الله عدوًا له. ولكن وعد الله أنه سيضع عداوة بين الإنسان والشيطان أي سيضع كراهية بين الإنسان والشيطان، وهذا يعني أنه سيكون هناك مصالحة بين الله والإنسان ومحبة بين الله والإنسان. من سفر التكوين يعد الله بأنه سيصنع المصالحة وسيحل مشكلة العداوة بينه وبين الإنسان لكي يحب الإنسان الله مرة أخرى. في العهد الجديد، يحل الله مشكلتي الذنب والفساد. وبالفعل يحقق الله هذا الوعد بعمل يسوع المسيح على الصليب، أي بذبيحة المسيح. إبرام الله للعهد كان عن طريق ذبيحة المسيح التي فيها تم دفع ثمن تعدياتنا. المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا. بموت المسيح يتحقق العهد جديد... تتحقق المصالحة وغفران الخطايا التي تكلم عنها إرميا ويكتب الله شريعته داخلنا فتكون محبة الله من كل القلب والفكر والقدرة ومحبة القريب كالنفس مكتوبة في قلوبنا. هذا هو العهد الذي أتمه المسيح بموته والذي تحدث عنه مع التلاميذ ليلة الفصح:

وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي».

وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: «اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا» (متى ٢٦: ٢٦-٢٨)

ولم يكن هذا سوى تحقيق لوعد الله في إرميا ٣١: ٣١-٣٤:

"هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ.

بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ".

الإيمان

أخيرًا، لا يتم الاستمتاع بعهد النعمة بدون إيمان. الإيمان هو رد الفعل المتوقَّع من الإنسان أمام وعود الله المُنعمة. إذا تأملنا في طبيعة عهد النعمة سنجد أنه عبارة عن وعد من الله. الله يقول: أنا سوف... على سبيل المثال نقرأ وعود الله العهدية في حزقيال ٣٦: ٢٤-٢٧:

وَآخُذُكُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ.

وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ.

وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ.

وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي، وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا.

وكما نرى في هذه الأعداد أن الله يعد بأمور كثيرة سيفعلها لشعبه. رد فعل متلقٍّ هذه الوعود لا يكون أن نقدم نحن وعود لله في المقابل بالطاعة. لكن رد الفعل المتوقَّع هو تصديق وعود الله والثقة بها. الإيمان هو الوسيلة التي من خلالها نستمتع بما يعد به الله في العهد. وهذا ما كان يحدث مع كل رجال الله في كل فصول عهد النعمة عبر الكتاب المقدس. دائمًا ما كان التمتع ببركات العهد يحدث بالإيمان. فمثلا في تكوين ٣ وبعد أن سمع آدم كلام الرب للحية والوعد بسحق رأسها وبالتالي استرداد شعبه مرة أخرى، صدَّق آدم هذا الكلام فسمى امرأته حواء لأنها أم كل حي (تكوين ٣: ٢٠). كيف جرؤ آدم على تسميتها بهذا الاسم تحديدًا وكل ما كان يجب أن يتوقعه هو الموت نتيجة عصيانه؟ السبب الوحيد الذي يجعله أن يفعل ذلك هو أنه صدّق، أي آمن، بوعد الله في تكوين ٣: ١٥. كذلك مع نوح، أخبر الله نوح بأنه سوف يمحو الأرض كلها وكل ما عليها بمياه الطوفان، لكنه وعده قائلًا: "وَلكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ" (تكوين ٦: ١٨). ويذكرنا كاتب العبرانيين بهذه الكلمات: "**بِالإِيمَانِ** نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ" (عبرانيين ١١: ٧). فمع أنه لم يرَ طوفان قبلًا لكنه صدَّق الله ولذلك بنى الفلك. بالنظر لعهد الله مع إبراهيم، حاول إبراهيم أن يساهم في العهد من خلال هاجر وولادة إسماعيل. لكن رفض الله مساهمة إبراهيم في إتمام العهد ووعده أن سارة هي من ستلد الابن الذي من خلاله سيتحقق العهد، وعلامة هذا العهد هي الختان. فما كان من إبراهيم إلا أنه وفي نفس اليوم قام بختان جميع الرجال في بيته مصدقًا وعد الله. لذلك علّق بولس على هذا الإيمان في رومية ٤: ١٩-٢٠: "وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي **الإِيمَانِ** لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا، إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى **بِالإِيمَانِ** مُعْطِيًا مَجْدًا للهِ".

إذن، من دون إيمان لا يوجد تمتع بالوعد بالعهد الجديد الذي فيه تُغفر الخطايا ويُعطى القلب الجديد على أساس ذبيحة المسيح. مجرد الوجود وسط شعب الله، بل والاشتراك معه في بعض الممارسات التعبدية لا تعني بالضرورة التمتع بكل بركات العهد. من دون الإيمان لا يمكن أن يُستمتع بوعد الله "أكون لكم إلهًا وأنتم تكونون لي شعبًا." وإذ كان كاتب العبرانيين يحذِّر مستمعيه من عدم الإيمان أشار لهذا النموذج السلبي الذي حُرم فيه أُناس من التمتع ببركات العهد لعدم الإيمان إذ يقول: "فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ! لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أُولئِكَ، لكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ الْخَبَرِ أُولئِكَ. إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً بِالإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا" (عبرانيين ٤: ١-٢).

لذلك من دون تصديق لوعود الله لا يمكن أن نتمتع بتلك الوعود. هناك فرق بين معرفة الوعد وبين تصديقه، فكثيرون يعرفون الوعود لكن هذا لا يعني بالضرورة تصديقها. ومن دون إيمان لا يمكن إرضاؤه. لذا فوسيلة التمتُّع بالعهد الجديد هي الإيمان بوعود الله في المسيح. وعندما نخور في الطريق ويضعف إيماننا، يدعونا الله في كلمته إلى وضع كل رجائنا في المسيح وسيط العهد الجديد كما يُعلّم كاتب العبرانيين:

"فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ. لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ" (عبرانيين ٤: ١٤-١٦).

ختام

في كل عهد من فصول عهد النعمة المذكورة في العهد القديم نجد كلمة مميزة لما يعد به الله.

في تكوين ٣ الله يعد بالنصرة (هو يسحق رأسك).

وفي تكوين ٩ الله يعد بالسلام (لا تخف يا نوح– لن أهلك الأرض مرة أخرى ولن أجعل الحيوانات تهجم عليك).

وفي تكوين ١٥ الله يعد بالنسل وبالأرض التي سيسكنها النسل– الميراث.

وفي خروج ١٩ الله يعد بالنظام والناموس الذي سينظم الحياة.

وفي ٢صموئيل ٧ الله يعد بالملك الأبدي والملكوت الذي لا يزول.

وفي إرميا ٣١ الله يعد بغفران الخطايا.

كل هذا تحقق في المسيح الذي انتصر على ألدِّ أعدائنا (الخطية والشيطان والموت) وصار سلامنا. والمسيح هو النسل الموعود، وهو ميراثنا الحقيقي. في المسيح يسترد الله كل نظام في حياتنا حتى نعيش الحياة التي خلقنا لنحياها، أي لمجده. كما أن المسيح هو الملك المتوج إلى الأبد الجالس على عرش داود أبيه والذي فيه ننال غفران الخطايا بدمه، دم العهد الجديد.

قائمة المراجع

Berkhof, Louis. *Systematic Theology*. Edinburgh: Banner of Truth Trust, 1998.

Courthial, Pierre, and Matthew S. Miller. *A New Day of Small Beginnings*. Tallahassee, Florida: Zurich Publishing Foundation, 2018.

Fesko, J. V. *Adam and the Covenant of Works*. Fern, Rossshire, Great Britain: Mentor, 2021.

Howard, B. N. *The Book of the Covenant: The Bible's Unfolding Story of Relationship with God*. Surrey, England: Good Book Co, 2013.

Myers, Stephen G. *God to Us: Covenant Theology in Scripture*. Grand Rapids, MI: Reformation Heritage Books, 2021.

Robertson, O. Palmer. *The Christ of the Covenants*. Phillipsburg, N.J.: Grand Rapids, Mich: Presbyterian and Reformed Pub. Co.; Distributed by Baker Book House, 1980.

Vos, Geerhardus. *Reformed Dogmatics*. Translated by Richard B. Gaffin. Vol. 2. 5 vols. Bellingham, WA: Lexham Press, 2012.

Waters, Guy Prentiss, ed. *Covenant Theology: Biblical, Theological, and Historical Perspectives*. Wheaton: Crossway, 2020.

———. *The Federal Vision and Covenant Theology: A Comparative Analysis*. Phillipsburg, NJ: P&R, 2006.

قضية الأرض في الكتاب المقدس

الحديث عن "أرض الكتاب المقدس" أو "أرض الموعد"، حديثٌ قديم، علا صوته منذ عام ١٩٤٨م عند إنشاء دولة إسرائيل. بدأ بعض اليهود يرون في هذا، تحقيقًا لنبوات العهد القديم. وانقسم المسيحيون في موقفهم، بعضهم كان مؤيدًا لعودة اليهود إلى الأرض، وبعض آخر يرى أن حدود الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات (تكوين ١٥: ١٨). أصبح هذا المفهوم أساسًا للصراع الدائم على الأرض، أو كما يسميه البعض "الصراع العربي الإسرائيلي"، وبسببه قامت أكثر من حرب منذ عام ١٩٤٨، وإلى الآن لم يتوقف هذا الصراع.

ق. حمدي سعد

من المثير أن المسيحيين الذين يؤيدون حق إسرائيل يستخدمون أقوالًا من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. من هنا يجب علينا أن نرجع إلى كلمة الله، وبفكر محايد تمامًا لنكشف الحقيقة.

الوعد لإبراهيم

قدم الرب لإبراهيم مجموعة من الوعود، شملت النسل والبركة والأمة والأرض (تكوين ١٢: ١-٣). عندما وصل إبراهيم إلى شكيم (نابلس حاليًا). قال له الرب: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ» (تكوين ١٢: ٧). ثم بعد اعتزال لوط عن إبراهيم، أعلن الرب لإبراهيم: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالًا وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ» (تكوين ١٣: ١٤-١٥). بعد ذلك قطع الرب ميثاقًا مع إبراهيم، ويومها كشف له عن حدود هذه الأرض: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ». (تكوين ١٥: ١٨). جدد الرب لإبراهيم هذا الوعد بالأرض (تكوين ١٧: ٨)، وأعيد هذا الوعد بالأرض لإسحاق (تكوين ٢٦: ٢-٥)، ويعقوب (تكوين ٢٨: ١٣)، وفي مرحلة تالية أكد الرب هذا الأمر لموسى (خروج ٢٣: ٣١).

ليكن الله صادقًا، فهو "الَّذِي يَقُولُ فَيَكُونَ" (مراثي إرميا ٣: ٣٧). ما وعد به الرب لا بد أن يتحقق. متى حدث (أو يحدث) هذا؟ هل حقق الرب وعده بالأرض؟ أم علينا أن ننتظر امتلاك اليهود للأرض؟

بعد موت موسى، أخذ يشوع بن نون مسؤولية قيادة الشعب ودخوله الأرض، وقتها قدم الرب تأكيدًا ليشوع بالوعود السابقة: "كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعَ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ" (يشوع ١: ٣، ٤).

على أن إخضاع هذه الأرض ودخول تلك الأماكن المذكورة سيكون تدريجيًا كما قال الرب لموسى: "لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلاَّ تَصِيرَ الأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. قَلِيلًا قَلِيلًا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ الأَرْضَ" (خروج ٢٣: ٢٩-٣٠). وصار الأمر تدريجيًا من أيام يشوع بن نون حتى اكتمل امتلاك كل الأرض التي وعد الرب بها في أيام حكم سليمان، إذ كان سليمان متسلطًا على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر (١ملوك ٤: ٢١). وكان موسى قد أمر الشعب عندما يدخلون الأرض، يعترفون أمام الرب قائلين: "أَنِّي قَدْ دَخَلْتُ الأَرْضَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِنَا أَنْ يُعْطِيَنَا إِيَّاهَا. ثُمَّ تُصَرِّحُ وَتَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: أَرَامِيًّا تَائِهًا كَانَ أَبِي، فَانْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ، فَصَارَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً وَكَثِيرَةً" (تثنية ٢٦: ٣-٥).

ومع بداية امتلاك الأرض في أيام يشوع -كما أشرنا- كانت الشهادة لأمانة الرب وتحقيقه ما وعد به "فَأَعْطَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ أَنْ يُعْطِيَهَا لآبَائِهِمْ

فَامْتَلَكُوهَا وَسَكَنُوا بِهَا. فَأَرَاحَهُمُ الرَّبُّ حَوَالَيْهِمْ حَسَبَ كُلِّ مَا أَقْسَمَ لآبَائِهِمْ، وَلَمْ يَقِفْ قُدَّامَهُمْ رَجُلٌ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ، بَلْ دَفَعَ الرَّبُّ جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ. لَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْكَلاَمِ الصَّالِحِ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بَلِ الْكُلُّ صَارَ" (يشوع ٢١: ٤٣-٤٥). وصارت حادثة امتلاك الأرض أيام يشوع وإتمام الرب لوعده جزءًا من ترنيمات الحمد والتسبيح وسط شعب الله. فداود يقول مرنمًا: "اذْكُرُوا إِلَى الأَبَدِ عَهْدَهُ، الْكَلِمَةَ الَّتِي أَوْصَى بِهَا إِلَى أَلْفِ جِيلٍ. لَّذِي قَطَعَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ. وَقَسَمَهُ لإِسْحَاقَ. وَقَدْ أَقَامَهُ لِيَعْقُوبَ فَرِيضَةً، وَلإِسْرَائِيلَ عَهْدًا أَبَدِيًّا. قَائِلًا: لَكَ أُعْطِي أَرْضَ كَنْعَانَ حَبْلَ مِيرَاثِكُمْ. حِينَ كُنْتُمْ عَدَدًا قَلِيلًا، قَلِيلِينَ جِدًّا وَغُرَبَاءَ فِيهَا" (١أخبار ١٦: ١٥-١٩) (قارن أيضًا مزمور ١٠٥: ٧-١١، ٤٢).

وفي وقت متأخر بعد ذلك في أيام عزرا ونحميا، وقف بعض اللاويين أمام الشعب وكانوا يسبحون الله قائلين: "أَنْتَ هُوَ الرَّبُّ الإِلهُ الَّذِي اخْتَرْتَ أَبْرَامَ وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ وَجَعَلْتَ اسْمَهُ إِبْرَاهِيمَ. وَوَجَدْتَ قَلْبَهُ أَمِينًا أَمَامَكَ، وَقَطَعْتَ مَعَهُ الْعَهْدَ أَنْ تُعْطِيَهُ أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَتُعْطِيَهَا لِنَسْلِهِ. وَقَدْ أَنْجَزْتَ وَعْدَكَ لأَنَّكَ صَادِقٌ... وَأَكْثَرْتَ بَنِيهِمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأَتَيْتَ بِهِمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي قُلْتَ لآبَائِهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا وَيَرِثُوهَا. فَدَخَلَ الْبَنُونَ وَوَرِثُوا الأَرْضَ، وَأَخْضَعْتَ لَهُمْ سُكَّانَ أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ، وَدَفَعْتَهُمْ لِيَدِهِمْ مَعَ مُلُوكِهِمْ وَشُعُوبِ الأَرْضِ لِيَعْمَلُوا بِهِمْ حَسَبَ إِرَادَتِهِمْ" (نحميا ٩: ٧-٨، ٢٣-٢٤).

ينضح لنا الآن -ومن دون أدنى شك- أن الوعد المرتبط

بامتلاك الأرض قد تم حرفيًّا، بدايةً بأيام يشوع وكمل تمامًا في أيام سليمان الملك. وكل ادعاء بعد ذلك عن أي أرض لإسرائيل حاليًا، ينبغي أن يؤخذ بعيدًا عن هذه النبوات، فالكل فعلًا صار كما رأينا.

البعد اللاهوتي للأرض

على الرغم من صحة التاريخ المشار إليه سابقًا، سواء من جهة الوعد بالأرض، أو تحقيق ذلك الوعد، إلا أن الأمر يبدو متناقضًا. فإبراهيم أول من قدم له الرب الوعد بالأرض ولم يمتلك الأرض. عندما ماتت سارة زوجته، لم يكن له في الأرض مكانٌ ليدفن فيه سارة، وذهب إلى الحيثيين وقال لهم: «أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي» (تكوين ٢٣: ٤). وصفه كاتب العبرانيين: "بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ" (عبرانيين ١١: ٩). وقال عنه استفانوس، إن الله "لَمْ يُعْطِهِ فِيهَا مِيرَاثًا وَلاَ وَطْأَةَ قَدَمٍ" (أعمال الرسل ٧: ٥). وهكذا عاش ابراهيم، وأيضًا إسحاق ويعقوب متغربين في أرض الموعد ساكنين في خيام (قارن عبرانيين ١١: ١٠؛ تكوين ٢٦: ٢٣-٢٥؛ ٣٣: ١٩).

والأمر الأكبر غرابةً، أن الأمة أو شعب إسرائيل فيما بعد كانوا في "أرض الموعد غرباء". أخبرهم الرب: «وَالأَرْضُ لاَ تُبَاعُ بَتَّةً، لأَنَّ لِيَ الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عِنْدِي. بَلْ فِي كُلِّ أَرْضِ مُلْكِكُمْ تَجْعَلُونَ فِكَاكًا لِلأَرْضِ» (لاويين ٢٥: ٢٣-٢٤). وصار هذا النوع من العلاقة مع الأرض، يشكِّل بعض ترنيمات الشعب قديمًا: "غَرِيبٌ أَنَا فِي الأَرْضِ. لاَ تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ" (مزمور ١١٩: ١٩) (قارن مزمور ٣٩: ١٢).

إذن كيف تعايش إبراهيم ونسله مع وعد الأرض؟ الحقيقة إن كل بركات العهد في الماضي، كان لها دلالة روحية مهمة جدًّا. فخيمة الاجتماع والهيكل رغم أهميتهما، لكنهما يعبران عن شيء أعظم وهو حضور الله وسط شعبه. والكهنوت اللاوي رغم ضرورته وأهميته في ذلك الوقت، لكته كان يشير إلى كهنوت يسوع المسيح الأعظم، والذبائح بتنوعها وبريقها، كانت ترمز إلى ذبيحة المسيح الكاملة. هكذا "أرض الموعد"، كانت تشير إلى أرض ومدينة أعظم. كان هذا اختبار إبراهيم نفسه، الذي عاش في الأرض بفكر الغريب، لأنه "كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ" (عبرانيين ١١: ١٠). وليس إبراهيم وحده، بل الآباء الأتقياء، كانوا يتطلعون إلى هذه المدينة: "وَلكِنِ الآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا. لِذلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمُ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلهَهُمْ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً" (عبرانيين ١١: ١٦).

إذن: كل من يطالبون اليوم بحق العودة وامتلاك "أرض الموعد" كتحقيق لنبوات العهد القديم، فاتتهم دراسة ومعرفة التاريخ الذي أشرنا إليه، حيث تحققت هذه المواعيد حرفيًّا في زمن سليمان، والذين يرون قدسية خاصة لهذه الأرض، لا ينتبهون للفهم الصحيح الذي عاشه من قبلوا الوعد بهذه الأرض مثل إبراهيم ونسله.

العدل والرحمة في العهد القديم

أ، صفاء صبحي

مقدمة

يُعد اهتمام المجتمع حديثًا بفكرة العدالة من أهم الاهتمامات السائدة اليوم، وهذا الاهتمام يندرج تحت مصطلح حقوق الإنسان، وقد يَظن البعض أن هذه الفكرة حديثة قد نشأت في عصر ما بعد الحداثة! لكن عندما ننظر إلى الكتاب المقدس، نجد أن مفهومي العدل والرحمة واضحان تمامًا. وقد يتصور البعض أن العهد القديم لا يجسِّد هذين المفهومين، ولكن هذا الاعتقاد يشوبه بعضٌ من سوء الفهم للعهد القديم. لذلك سنلقي نظرة على هذين المفهومين وممارستهما في العهد القديم من خلال تعاملات الله ووصاياه لشعبه.

مفهوم العدل

العدل

مفهوم واسع له عدّة تعريفات، ويعرفه الأب بولس الفغالي فيقول:

"مفهوم العدالة مفهوم أساسيّ في وجود الإنسان. فيها يتعلّق بتنظيم المجتمع البشريّ والنظرة إلى الإنسان، إلى كلّ إنسان."

وقد يُفهم العدل أيضًا أنه تطبيق مُنصف للقانون، وكذلك الاهتمام بالحقوق، الواجبات، والمساواة دون محاباة، ويرتبط العدل أيضًا بالسلوك تجاه الآخرين. فلقد أوصى الله شعبه في سفر الخروج (خروج ٢٣: ١-٩) عن أحكام العدل والرحمة، وكيف يكونون عادلين ورحماء حتى مع الأعداء والغرباء. ويذكر الكتاب المقدس أيضًا أن الله جميع سبله عدل (تثنية ٣٢: ٤)، لذلك سوف نتطرق في هذا المقال إلى مفهوم العدل، من خلال ثلاثة محاور وهي: التجاوب مع صراخ المظلوم، عقاب الظالم، والمساواة بين الجميع. وبما أن مفهوم العدل لا يمكن أن نفصله عن مفهوم الرحمة في الكتاب المقدس، فإننا سوف نربط بينهما من خلال مظاهر الرحمة وهي: المساواة، المحبة، ومباركة جميع الشعوب.

التجاوب مع صراخ المظلوم

من المظاهر المهمة للعدل هو التجاوب مع صراخ المظلوم؛ فالعدل هو الدفاع عن الشخص الذي لا يجرؤ أو لا يستطيع الدفاع عن نفسه. وهذا ما يذكره سفر الخروج في الإصحاحات الأولى من السفر، حيث يَذكر في خروج ١: ١٣-١٤: "فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا." حتى وصل الحال لقتل المواليد الذكور، وعندما صرخ بنو إسرائيل من العبودية، سمع الله أنينهم وصراخهم (خروج ٢: ٢٣-٢٤) فكان التجاوب من الله سريعًا في (خروج ٣: ٧-٩). لقد تجاوب الله مع صراخهم، وهذا قمة العدل! فإن عدل الله هو أن يرى ويسمع صراخ المظلوم، ويقف بجانبه. فلقد تعدَّى المصريون على الشعب الإسرائيلي، من خلال استعبادهم، وإذلالهم، وقتل أطفالهم. وكان تجاوب الله في خروج ١٢: ٥١ أن الرب أخرجهم من أرض مصر. فلقد أظهر الله هنا في قصة الخروج أنه لا يُحب الظلم، وأنه يسمع لصراخ المظلوم، بل ويُخلّصه أيضًا، وهنا أرسى الله قاعدة من قواعد حقوق الإنسان، وهي ألّا يقع أي شخص تحت الظلم. ويؤكد مزمور ١٠٧: ٢٨ على أن الله يخلِّص المظلومين الذين يصرخون إليه.

عقاب الظالم

العقاب من مظاهر العدل المهمة، فالعقاب للظالم ليس أقل أهمية من إنصاف المظلوم، فيذكر الكتاب المقدس في سفر المزامير أن الله يسحق الظالم (مزمور ٧٢: ٤)، أيضًا (مزمور ٩٨: ٩) أن الله يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة، وهذا هو العدل الذي يطلبه الله.

نرى في قصة الخروج تعامل الله مع فرعون وشعب مصر، فلقد أذنب المصريون ضدّ شعب

إسرائيل، وكان لا بد من تدخل إلهي وإنهاء هذا الظلم (خروج ١٢-١٤). أيضًا عندما أخطأ داود إلى أوريَّا الحثِّي وزوجته بشبع، فأرسل الله له ناثان النبي ليوبخه على فعله، وكذلك ليُعلن له عن عقاب الله له، على الرغم من أن داود كان ممسوحًا من الله، لكنّ الله لا يُحب الظلم، لذلك يعاقب الظالم مهما كانت مكانته (٢صم ١٢).

المساواة بين الجميع

فكرة المساواة غالبًا من أكثر الأفكار التي يتم الهجوم عليها من قِبل البعض خاصةً في العهد القديم، فيقول البعض إن الله ميَّز شعب إسرائيل عن باقي الشعوب، لكن هذه الفكرة بها بعض سوء الفهم لقصد الله؛ فعندما اختار الله إبراهيم، فاختيار واحدٍ لا يُعتبَر رفضًا للآخرين، بل لأجل فائدتهم "تَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تكوين ١٢: ٣). الله لم يميز شعب إسرائيل عن سائر الشعوب، بل اختاره ليكون قناة بركة لبقية الشعوب، لكن للأسف لم يفهم شعب إسرائيل هذا القصد، فيقول عنهم في (إشعياء ٦٥: ٢) "بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى

شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ" ويذكر أيضًا في نفس السفر (إشعياء ١٩: ٢٥) أنه بارك شعب مصر، أشور، وإسرائيل، فلقد أحب الله شعب مصر وشعب أشور أيضًا. فالله لا يُفرّق بين شخص وآخر أيًّا كان معتقده، أو خلفيته الثقافية؛ لكنه يوصي في العهد القديم بالمساواة بين اليهودي والأممي في الأحكام "حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ" (اللاويين ٢٤: ٢٢).

أيضًا قد عاقب الله شعب إسرائيل على أفعالهم الشريرة كما عاقب الأمم، وأوضح مثال على ذلك في سفر القضاة، فكان الشعب يدور في دائرة مغلقة من فعل الشر وترك إلههم والسير وراء آلهة أخرى، فيغضب الله عليهم ويدفعهم ليد أعدائهم، وبعد ذلك يتوبون ويصرخون إلى الله، فيتحنَّن عليهم فيرسل لهم مُخلِّصًا (قاضيًا)، ثم بعد موت القاضي يتركون عبادة الله ويعودون إلى أفعالهم الشريرة، فيغضب الله عليهم مرة أخرى.

كذلك لا يفرق الله بين الإنسان العادي والملوك، فداود أخطأ في حق الله عندما زنا وقتل، على الرغم

من أن الكتاب المقدس يذكر أن داوُد كان "يُجْرِي قَضَاءً وَعَدْلاً لِكُلِّ شَعْبِهِ" (١أخبار ١٨: ١٤)؛ لكن ما فعله داود في قصَّة أرويا الحثي، عكس ما كان يفعله وما يجب أن يفعله كملك "أن يُجري عدلًا" (٢صموئيل ٨: ١٥)، وهنا نال عقابه من الإله العادل، أن السيف لا يفارق بيته إلى الأبد (٢صموئيل ١٢: ١٠).

لا بد من أن يسود العدل؛ لأنه إن لم يَسُد العدل سوف يسود الظلم والفساد في المجتمع؛ وبذلك تذهب حقوق الإنسان هباءً، وتندثر المعايير الأخلاقية لحقوق الإنسان. وفي المقابل عندما يسود العدل ويحكم الرؤساء بالحق؛ فيتم الاهتمام بتطبيق قوانين حقوق الإنسان، وهذا ما يوضحه العهد القديم " وَيَكُونُ صُنْعُ الْعَدْلِ سَلاَمًا، وَعَمَلُ الْعَدْلِ سُكُونًا وَطُمَأْنِينَةً إِلَى الأَبَدِ. وَيَسْكُنُ شَعْبِي فِي مَسْكَنِ السَّلاَمِ، وَفِي مَسَاكِنَ مُطْمَئِنَّةٍ وَفِي مَحَلَّاتٍ أَمِينَةٍ" (إشعياء ٣٢: ١٧-١٨).

الرحمة

يوجد ارتباط قوي ووثيق بين العدل والرحمة، فعدل الله ورحمته وجهان لعملة واحدة. لا يمكن أن نرى عدل الله في أي موقف دون أن نجد فيه الرحمة واضحةً، وتنم عن إله عادل ورحيم. فيذكر العهد القديم مرارًا كثيرة هذا الأمر ففي مزمور ٣٣: ٥ "يُحِبُّ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ. امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ"، كذلك يعتني الله بجميع البشر ويُظهر لهم رحمته ومجده "وَرَأَى جَمِيعُ الشُّعُوبِ مَجْدَهُ" (مزمور ٩٧: ٦). وبالتأمل في مظاهر الرحمة الثلاثة: المساواة، المحبة، ومباركة جميع الشعوب، نجد أن الله في كل موقف يُظهر الرحمة بالتوازي مع العدل. ويتحدث أنسلم عن صلاح الله، قائلا: "إنه من الأفضل أن تكون صالحًا مع الصالح والشرير، من أن تكون صالحًا مع الإنسان الصالح فقط، وأيضًا إنه من الجيد أن تكون صالحًا مع الشرير في العقاب وفي إنصافه، من أن تكون جيدًا في عقابه فقط"؛ فصلاح الله يتطلب منه أن يكون عادلًا ورحيمًا في الوقت نفسه.

المساواة

تُعد المساواة عنصرًا أساسيًّا في العدل، لكنها تدلُّ على رحمة الله بالبشر، ففي الأمثلة التي تطرقنا لها آنفًا، نجد أن الله يؤكد على إبراهيم ونسله مرارًا وتكرارًا أن فيه وفي نسله تتبارك جميع قبائل الأرض (تكوين ١٢: ٣، ٢٦: ٤، ٢٨: ١٤)، فالله اختار شعب إسرائيل ليعلن اسمه (يهوه) لجميع الشعوب، وهنا يتضح أن بركة الله ممتدة لكل الشعوب، حيث إن الله في إشعياء ١٩: ٢٥ يُبارك مصر وأشور، ونلاحظ في هذه الآية أن الله وضع مصر وأشور مع إسرائيل؛ ليؤكد على المساواة وأنه يُحب الجميع دون تفرقة، فجميعهم شعبه.

محبة جميع الشعوب ومباركتهم

رحمة الله تدل على حبه الشديد لشعبه، التزامه، وحفظه لوعوده لهم، فحب الله

هو الحب الثابت الذي لا يفشل. ففي كل موقف لله مع شعب إسرائيل وغيرهم من الشعوب، نجد أن الله يتدخل بالرحمة النابعة من حبه لهم، فعندما طرد إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل، يقول الكتاب في تكوين ٢١: ١٧: "فسمع الله صوت الغلام" وهنا رحمة الله النابعة من حبه لخليقته، نرى أيضًا في موقف الله هنا مع هاجر وابنها، أن الله قال لها: "قومي احملي الغلام... لأني سأجعله أمة عظيمة" (تكوين ٢١: ١٨). وبارك الله إسماعيل، رغم أن هاجر كانت غريبة.

لقد أحب الله جميع الشعوب في العهد القديم دون محاباة. فنجد أنه يوجد سفران في العهد القديم يتحدثان عن أُناس ليسوا شعب الله؛ لكنهم كانوا في دائرة محبة الله، كراعوث الموآبية. وكذلك شعب نينوى في سفر يونان، فهذا السفر يؤكد تمامًا على محبة الله لجميع الشعوب وليس فقط إسرائيل. فيونان أراد أن يهرب من وجه الرب حتى لا يقدم لهم كلمة الرب لخلاصهم، لكن عندما أَرجع الله يونان لطريقه، نجد أن شعب نينوى قدم ندمًا وتوبةً صادقة، والدليل على محبة الله أنه قَبِل توبتهم، ويأتي اعتراض يونان على قبول الرب توبة شعب نينوى، أنه قال للرب: "آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ" (يونان ٤: ٢) فمحبة الله ورحمته بهذا الشعب أحزنت يونان، وكان رد الله على يونان أنه أشفق على شجرةٍ لم يتعب فيها! أفلا يشفق الله على هذا الشعب؟ فهم صنعة يديه!

الخاتمة

العدل والرحمة مهمان في الحفاظ على العالم، لكن وجود أيٍّ منهما منفردًا دون الآخر سيدمره. وهذا ما تعرفنا عليه، فالله عادل وفي نفس الوقت رحيم، فهو لا يميز بين شعب وآخر، بين إنسان وآخر؛ الجميع متساوون أمامه في عدله ورحمته أيضًا. فتعاملات الله ووصاياه في العهد القديم تدل على أنه إله عادل (مزمور ١١: ٧) ورحيم (مزمور ١٤٥: ٨). واهتمام المجتمع اليوم بفكرة العدل ليس بشيء جديد كما قد يظن البعض، لكنّ الله قد أعلن عنه في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

المراجع

رايت، كريستوفر ج. ه. ت. فينيس نقولا. **أخلاقيات العهد القديم لشعب الله: طرق الله بين الماضي والحاضر**، القاهرة: دار الثقافة ٢٠١١.

رايت، كريستوفر جيه. إتش. ت. هدى بهيج يوسف. **إرسالية شعب الله: لاهوت كتابي لإرسالية الكنيسة**، القاهرة: دار الثقافة ٢٠١٤.

شاكر، عزت. **إله العهد القديم إله دماء**، القاهرة: دار الثقافة ٢٠١٢.

نعيم، محسن. **نبوات ورؤى: النبوات والرؤى في سفر إشعياء، الجزء الثالث**، القاهرة: دار الثقافة ٢٠١٤.

وهبة، وليم. **دائرة المعارف الكتابية، الجزء الخامس**، القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٩.

يوسف، صموئيل. **المدخل إلى العهد القديم**، القاهرة: دار الثقافة ١٩٩٣.

Hahn, Judith and Werner, Gunda. *Mercy and Justice: A Challenge for Contemporary Theology*, Koninklijke Brill NV, Leiden, the Netherlands 2020.

Newman, Louis E. Balancing Justice and Mercy: Reflections on Forgiveness in Judaism, American Theological Library Association 2016. https://boulosfeghali.org/2017/frontend/web/index.php?r=site/text&TextID=4380&CatID=336&SectionID=39.

شذرة كتابية (١)

انقل الأوعية

"ثُمَّ ادْخُلِي وَأَغْلِقِي الْبَابَ عَلَى نَفْسِكِ وَعَلَى بَنِيكِ، وَصُبِّي فِي جَمِيعِ هَذِهِ الأَوْعِيَةِ، وَمَا امْتَلأَ انْقُلِيهِ"

(ملوك الثاني ٤ : ٤)

ما أعظم وأروع طرق الرب وأفكاره! هو يعطي المنفذ من حيث لا نتوقع. فها هي المرأة المديونة من نساء بني الأنبياء الصارخة لأليشع بسبب المرابي، يبارك الرب دهنة الزيت القليلة التي تمتلكها، ويأمرها أن تستعير أوعيه فارغة من جيرانها ولا تقلل، ومن دهنة الزيت القليلة تمتلئ الأوعية الكثيرة، والعجيب أنه لماذا يأمرها الرب بأن تنقل الأوعية الممتلئة؟ إن الرب يأمرها بأن تنقلها، ليأخذ هو الفرصة كاملة ليملأ لها غيرها، فالسخاءُ الإلهي كالنهر الجاري لا يتوقف، يفوق إدراكك وتوقعاتك، وما عليك إلا أن تثق به، وتتوقع بالإيمان أنه قادرٌ أن يسدد أعوازك، واحتياجاتك، فدع الفرصة لإلهك ليتمجد، ويحول صرختك مثل هذه المديونة إلى بركةٍ وخيرٍ.

شذرات كتابية

ش. أسامة رشدي

شذرة كتابية (٢)

مخازن وسلال فارغة ولكن...

«هَلِ الْبَذْرُ فِي الأَهْرَاءِ بَعْدُ؟ وَالْكَرْمُ وَالتِّينُ وَالرُّمَّانُ وَالزَّيْتُونُ لَمْ يَحْمِلْ بَعْدُ. فَمِنْ هَذَا الْيَوْمِ أُبَارِكُ»

(حجَّي ٢: ١٩)

نعم، من هذا اليوم يبارك

فالبذارُ خرجت من الأهراء (المخازن) لتُزرَع، والأشجارُ لم يأتِ وقت إثمارها، لكن الرب وعد أن يبارك من هذا اليوم! ما أروعه وعد! هو يبارك حتى وإن لم تتحقق ثمار البركة بعد بالعيان، يعطي بسخاءٍ حتى وإن لم تصلك العطايا حالًا، يُعوض خسارتك حتى وإن كانت أمورك تسير عكس ذلك. ثق بتدريباته لإيمانك، ثق أنه عظيم جدًّا، هو يكفيه كوار دقيقٍ واحدٍ ليعولك أيامًا كثيرة (ملوك الأول ١٧: ١٤)، وتكفيه دهنة زيت واحدة معك لتملأ أوعية كثيرة (ملوك الثاني ٤: ٦)، يُرسل لك غيمة صغيرة قدر كفّ إنسان لتبشرك بأمطار غزيرة (ملوك الأول ١٨: ٤٤)، ويضع في يديه خبزاتك القليلة فيُشبع آلافًا جائعين (متى ١٤: ١٨).

انتظره، لقد وعد أن يباركك ويقينًا ستأتي البركة.

شذرة كتابية (٣)

في وقته... ستحصد الثمر

«فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ»

(غلاطية ٦: ٩)

هل زرعت الخير لمن حولك وتعبت من أجلهم؟ هل قدمت محبة وتضحية لهم؟ هل صبرت وحصدت منهم ثمرًا مُفرحًا؟ أم منتظر!

لا تيأس، لأنك زرعت بالدموع ستحصد بالابتهاج (مزمور ١٢٦: ٥)، ستحصد في الوقت المناسب ثمار تعبك إن تأنيت. إلهك لم يعطِك روح الفشل، بل أعطاك روح القوة والمحبة والنصح (تيموثاوس الثانية ١: ٧)، ثق أن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه، وأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملك وتعب محبتك (عبرانيين ٦: ١٠)، فثابر واصبر، واعلم يقينًا أن تعبك ليس باطلًا في الرب (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٨)، وأن الذاهب ذهابًا بالبكاء، حاملًا مبذر الزرع، مجيئًا يجيء بالترنم، حاملًا حزمه.

(مزمور ١٢٦: ٦).

شذرة كتابية (٤)

مئة ضعف

"وَزَرَعَ اسْحَاقُ فِي تِلْكَ الارْضِ فأصاب فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِئَةَ ضِعْفٍ وَبَارَكَهُ الرَّبُّ."

(تكوين ٢٦ : ١٢)

ما أجمل الطاعة لصوت الرب وإرشاده! ما أجمل الإيمان والثقة بوعوده! ما أجمل الاتكال والاستناد عليه! فها هي أرض (جرار) تُثمر ثمرًا مُضاعفًا في تلك السنة، وهي الأرض التي قال عنها الرب لإسحاق عندما كان هناك جوعٌ: "تغرّب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك"(آية ٣)، فمتى وحيث أوجدك الرب في المكان الذي يريده، وزرعتَ بصبرٍ وطول أناةٍ، بدموعٍ وألمٍ، بجهدٍ وعرقٍ، فثق أنك ستحصد بابتهاج وفرح، ستنال مكافأة الغُربة حينما ينظر الرب لطاعتك، وإيمانك وقناعتك وخضوعك لمشيئته، فتدرك وقتها كم هو عظيم رضى الرب عليك، وإنه قد أمر لحياتك بالبركة.

حُجّاجُ الرَّجَاءِ في يُوبِيل الرَّجَاء

د. أشرف ناجح إبراهيم عبد الملاك[1]

د. أشرف ناجح

مُقدّمةٌ

مَن له أَعْيُن تُبصر وآذان تسمع، يلاحظ أوّل ما يلاحظ أنّ هذه الحِقبة التي نعيش فيها (أي القَرْنَيْن العشرين والحادي والعشرين) هي مرحلةٌ غريبة الأطوار على شتّى المستويات (المجتمع، السّياسة، الاقتصاد، الثّقافة، العلوم، الدّين، التّكنولوجيا، وسائل التّواصل الاجتماعيّ، إلخ...). ويعاصر إنسانُ اليوم، وسيشهد التّاريخُ على ذلك أيضًا، أنّ القَرْن الحادي والعشرين أكثر دمويّة من القَرْن العشرين بحَرْبَيْه العالميّتَيْن؛ فقد شهد الرّبعُ الأوّل فقط من القَرْن الحالي كميّة متنوّعة ومُخيفة من الموت والدّم والإصابات والتّهجيرات. وأظنّ أنّ هذا يكفي حتى نَصِف -ببالغ الحزن والأسف- قَرْننا الحالي بـ"القَرْن الدّمويّ"، إذ قد بلغ فيه سفكُ الدّم -بلا داعٍ ولا مبرّر، وبعبثيّة تامّة- حَدًّا فاق بمراحلٍ كثيرة ما كان يجول بمُخيّلة بَشَرِ القَرْن العشرين.

١ مصريّ-قبطيّ كاثوليكيّ، علمانيّ، حاصل على درجة الدّكتوراة في عِلْم اللّاهوت العقائديّ (تخصُّص "كريستولوجيا")، من الجامعة الحبريّة "الأوربانيانا" بروما؛ وأستاذ "عِلْم اللّاهوت التّنظيميّ" في "الجامعة الأَوْغُسطينيّة" وجامعات أخرى بالعاصمة الكولومبيّة "بوغوتا".

وفي ظلّ الأوضاع المتردّية على مستويات عدّة، وأمام مستقبلٍ مجهول مظلم، ومع الأزمات التي تلوح في الأفق، علينا أن نتساءل بواقعيّة وجدّيّة: ماذا ينتظرنا؟ وماذا ننتظر نحن؟ وهل من الممكن أن ننتظر ونترجّى واقعًا أفضل، ومجتمعًا أفضل، وبَشَرًا أفضل، وأزمنة أفضل؟ وهل من المنطق والصّواب التّكلُّم عن رجاءٍ في عالمٍ يشعر بأنّه فقد الرّجاء في كلّ رجاء؟

وفي هذا المضمار عينه، لعلّ التّساؤلات الأصعب والأهمّ، والتي تدور حولها خواطرُ هذا المقال الوجيز، هي تلك المتعلّقة **بالرّجاء المسيحيّ**: ما هو الرّجاء الحيّ الذي تنادي به المسيحيّة؟ وما هو مُنطَلَقه؟ وما هي أبعاده؟ وما هي أهمّيّته؟ وما هي فعاليّته؟ وما هي واقعيّته في عالمنا اليوم؟ ولمحاولة الرّدّ على جزءٍ من هذه التّساؤلات الهامّة والمعاصرة، أتناول في هذا المقال العناصر التّالية: يُوبيل الرّجاء؛ الرّجاء كمبدإٍ إنسانيّ أصيل؛ الإسكاتولوجيا والرّجاء؛ مفهوم "الرّجاء المسيحيّ".

وبهذا المَعْنى، أُحاول تقديم لَمْحَة سريعة عن **قضيّة الرّجاء**

المسيحيّ (وجوديًّا وفلسفيًّا وكتابيًّا)، وعن كوننا "**حُجّاجَ رجاءٍ**" أو "**حُجّاجَ الرَّجاء**"؛ وأَعرضُ أيضًا بضعةَ مفاهيم موجودة في بعض الوثائق الكَنسيّة الكاثوليكيّة الحديثة، على غرار المجمع الفاتيكانيّ الثّاني، و"مختصر كِتاب التّعليم المسيحيّ للكَنيسة الكاثوليكيّة"، والبابا يوحنّا بولس الثّاني، والبابا بِنِديكْتُس السّادس عشر، والبابا فرنسيس.

أوّلًا: يُوبيلُ الرّجاء (عام ٢٠٢٥م)

كما يعرف جميعُنا، قد أعلن البابا فرنسيس –بابا الكاثوليك الحالي منذ ١٣ مارس/آذار ٢٠١٣م– أنّ **عام ٢٠٢٥م سيكون يُوبيلًا عاديًا**، الذي يحلّ كلّ خمس وعشرين سنة بإعلانٍ من بابا الكنيسة الكاثوليكيّة، طِبْقًا للتّقليد القديم؛ وكذلك أيضًا لمرور ١٧٠٠ عامًا على انعقاد مجمع "نيقيا" المسكونيّ، الذي رفض التّعاليم الأريوسيّة (نسبة للكاهن السّكندريّ "آريوس")؛ وقد أكّد هذا المجمعُ على أُلوهيّة السّيّد المسيح الكاملة والتّامّة[٢]. وأعلن البابا، في مرسوم الدّعوة إلى اليُوبيل العاديّ بعنوان

٢ «كانت مهمّة مجمع نيقيَة الحفاظ على الوَحدة، الّتي كانت مهدّدة بشكل خطير بسبب إنكار ألوهيّة يسوع المسيح ومساواته مع الآب. حَضَرَ حوالي ثلاثمائة أسقف، اجتمعوا في القصر الإمبراطوريّ بدعوة من الإمبراطور قسطنطين في ٢٠ أيّار/مايو ٣٢٥. بعد مناقشات عديدة، اعترف الجميع، وبنعمة الرّوح القدس، بقانون الإيمان الّذي مازلنا نعترف به حتّى اليوم في الاحتفال الافخارستيّ يوم الأحد. أراد آباء المجمع أن يبدأوا هذا القانون باستخدام عبارة "نؤمن" لأوّل مرّة، ليشهدوا على أنّ في تعبير "نحن" كلّ الكنائس كانت تجد نفسها في شركة، وكلّ المسيحيّين كانوا يعترفون بالإيمان نفسه. مجمع نيقيَة هو مرحلة مهمّة في تاريخ الكنيسة. تذكاره يدعو المسيحيّين إلى أن يتّحدوا في التّسبيح والشّكر للثّالوث الأقدس، وخاصّة ليسوع المسيح، ابن الله، "مُساوٍ للآب في الجَوهَر"، الّذي كشف لنا سرّ المحبّة هذا. مجمع نيقيَة هو أيضًا دعوة لجميع الكنائس والجماعات الكنسيّة لكي تتقدّم في مسيرتها نحو الوَحدة المنظورة، ولا تتعب من البحث عن طرق مناسبة تتّفق اتّفاقًا تامًّا مع صلاة يسوع: "فَلْيكونوا بأَجمَعِهم واحدًا: كَما أَنَّكَ فِيّ، يا أَبَت، وأَنا فيك، فَلْيكونوا هُم أَيضًا فينا، لِيُؤمِنَ العالَمُ بِأَنَّكَ أَنتَ أَرسَلتَني" (يوحنّا ١٧، ٢١)» (البابا فرنسيس، "الرّجاء لا يُخَيِّب" مرسوم الدّعوة إلى اليُوبيل العاديّ لسنة ٢٠٢٥ [٩ مايو/أيار ٢٠٢٤م]).
https://www.vatican.va/content/francesco/ar/bulls/documents/20240509_spes-non-confundit_bolla-giubileo2025.html

البابا فرنسيس

"**الرّجاء لا يُخَيِّب**"[3]، أنّه في يوم الـ٢٤ من ديسمبر/كانون الأوّل لعام ٢٠٢٤م يُفتَتَح رسميًّا الباب المقدّس لبازيليكا القدّيس بطرس بالفاتيكان، ومعه سنة اليُوبِيل المقدّسة، والتي ستنتهي بدورها في يوم الأحد الـ٢٨ من ديسمبر/كانون الأوّل لعام ٢٠٢٥م. وسيُختَتَم اليُوبِيل العاديّ بإغلاق الباب المقدّس لبازيليكا القدّيس بطرس في الـ٦ من يناير/كانون الثّاني لعام ٢٠٢٦م، في عيد ظهور الرّبّ يسوع (راجع: "الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ٦).

في مرسوم الدّعوة إلى اليُوبِيل العاديّ، ذكّر البابا فرنسيس بما يلي في ما يتعلّق بيُوبِيل عام ٢٠٢٥م، وارتباطه باليُوبِيلات السّابقة واللّاحقة: «السّنة المقدّسة ٢٠٢٥ هي استمراريّة لأحداث النّعمة السّابقة. في اليوبيل العادي الأخير، مررنا عتبة الذّكرى السّنويّة الألفيّة لميلاد يسوع المسيح. بعد ذلك، في ١٣ أذار/مارس ٢٠١٥، أعلنتُ يوبيلًا استثنائيًّا بهدف إظهار "وجه رحمة" اللّه الّذي يسمح لنا بلقائه، وهو إعلان رئيسيّ للإنجيل لكلّ شخص وفي كلّ عصر. لقد حان الآن وقت يوبيل جديد، فيه نفتح الباب المقدّس من جديد على مصراعَيه لنقدّم خبرة محبّة اللّه الحيّة، الّتي تفيض في القلب **الرّجاء الأكيد بالخلاص في المسيح**. وفي الوقت نفسه، ستوجِّه هذه السّنة المقدّسة المسيرة نحو ذكرى أساسيّة أخرى لجميع المسيحيّين: في سنة ٢٠٣٣، سيتمّ الاحتفال بألفي سنة بعد سنة الفداء الّذي تمّ بآلام وموت وقيامة الرّبّ يسوع. وهكذا، فإنّنا

3 Cf. https://www.vatican.va/content/francesco/ar/bulls/documents/20240509_spes-non-confundit_bolla-giubileo2025.html

أمام مسار يتميّز بمراحل كبيرة، حيث نعمة الله تتقدّم الشّعب وترافقه وهو يسير بغَيرة في الإيمان، وباجتهاد في المحبّة، وبثبات في الرّجاء (راجع ١ تسالونيقي١، ٣).

استنادًا على هذا التّقليد العريق، وباليقين بأنّ سنة اليوبيل هذه يمكن أن تكون **خبرة مكثّفة للنّعمة والرّجاء** للكنيسة جمعاء، أحدِّد بأنّ الباب المقدّس لبازيليكا القدّيس بطرس في الفاتيكان سيتمّ فتحه في ٢٤ كانون الأوّل/ ديسمبر ٢٠٢٤، وبذلك يبدأ اليوبيل العادي. وفي يوم الأحد التّالي، ٢٩ كانون الأوّل/ ديسمبر ٢٠٢٤، سأفتح الباب المقدّس لكاتدرائيَّتي، كاتدرائيّة القدّيس يوحنّا في اللاتران، الّتي نحتفل في ٩ تشرين الثّاني/نوفمبر من هذه السّنة بالذّكرى الـ ١٧٠٠ لتكريسها. لاحقًا، في ١ كانون الثّاني/يناير ٢٠٢٥، في عيد القدّيسة مريم البتول والدة اللّه، سيتمّ فتح الباب المقدّس لبازيليكا كنيسة القدّيسة مريم الكبرى البابويّة. أخيرًا، في يوم الأحد ٥ كانون الثّاني/ يناير، سيتمّ فتح الباب المقدّس لبازيليكا القدّيس بولس البابويّة خارج الأسوار. سيتمّ إغلاق هذه الأبواب المقدّسة الثّلاثة الأخيرة بحلول يوم الأحد ٢٨ كانون الأوّل/ديسمبر من السّنة نفسها» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ٦).

ثانيًا: الرّجاءُ كمبدإٍ إنسانيّ أصيل

إنّ بُعْدَ "الرّجاء" ليس متعلّقًا بالأديان والرّوحانيّات فحسب، وإنّما هو "مبدأ" إنسانيّ أصيل. فنحن بشرٌ مرتبطون بحَيّزَيّ الزّمان والمكان، إذ نعيش في زمنٍ ومكانٍ محدودَيْن؛ ويعني الخروجُ منهما عدمَ وجودنا في الحياة الأرضيّة. والزّمنُ في بُعْده المُعاش لا يتلاشى؛ فأثرُ الماضي باقٍ فينا كنتائج، وأثرُ المستقبل قائم فينا كتطلُّعات. وفي هذا المضمار، يبرز التّساؤلُ حول "مَعْنى الحياة"، أي حول الأمر الذي يجعل الحياة جديرة بأن تُعَاش بمِلْء كلّ طاقاتنا؛ وهذا "المَعْنى" نجده أمامنا، أي في المستقبل، إذ إنّ كلَّ إنسان يتّجه ويتوجّه إلى المستقبل على رجاءِ أن يجد فيه المَعْنى لما يعيشه في الحاضر، ولما يتطلّع إليه في المستقبل، ويجد فيه أيضًا الاكتمال لحاضره وطُموحاته وأحلامه وآماله. وبهذا المَعْنى، فإنّ إنسانًا بلا رجاء هو إنسانٌ يشبه "امرأة لُوط" التي تحوّلت إلى تمثالٍ من الملح (راجع تكوين ١٩/ ٢٦)؛ أعني أنّه يظلّ على هيئة البشر، ولكنّه مجرّد جماد بلا حراك. وكذلك أيضًا، مجتمعٌ أو وطنٌ بلا رجاء هو ضال ومائت، ولا رجاء فيه، ولا مستقبل له.

ولعلّه أمرٌ ذو مغزى وجدير بالملاحظة أنّ بعضَ حُقول الفلسفة تربط اهتماماتها وانشغالاتها بقضيّة "الرّجاء"، ولا سيّما في نطاق "فلسفة المستقبل". ويلمع الفيلسوفُ الألمانيّ الملحد، ذو الأصول اليهوديّة، "إرنست بلوخ" (١٨٨٥-١٩٧٧م) كنموذجٍ لهذا التّوجُّه، إذ إنّه في مؤلَّفاته التي تتمحور كلّها حول «مبدأ "الرّجاء"»، قد حاول أن يخطّط ويرسم مستقبلًا باهرًا وكاملًا (يوتوبيا "وطن الهويّة")، بدون اللّه وبتفاؤلٍ شديد، انطلاقًا من "الأُنطولوجيا" (علم الوجود) المتعلّقة بالواقع الذي

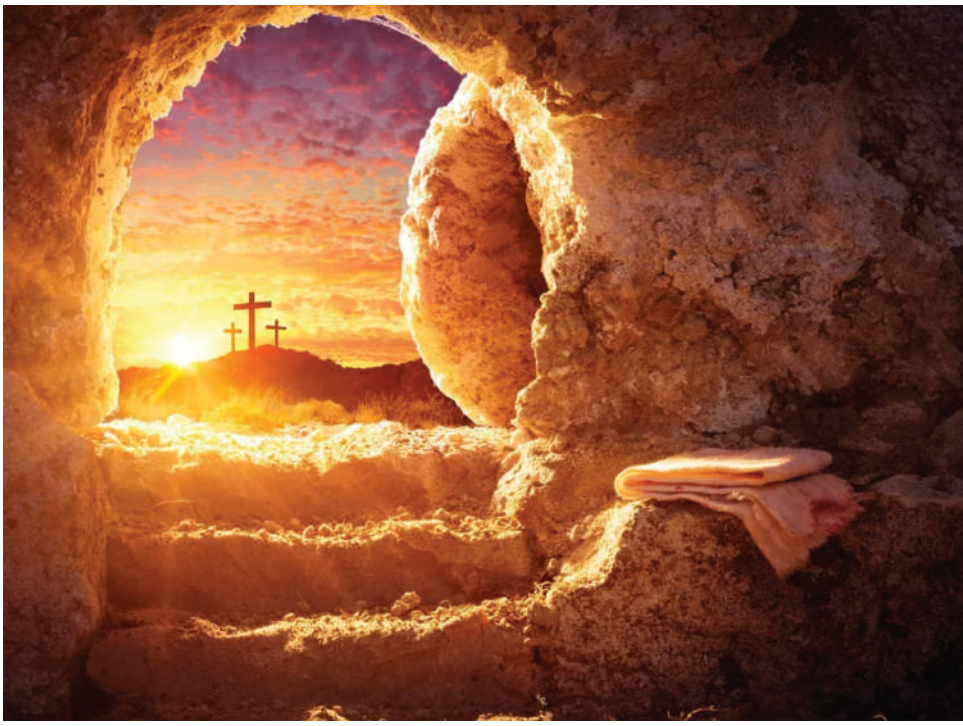

هو في تطوُّرٍ مستديم، ومن "أنثروبولوجيا" (علم الإنسان) الشّخص المترجّي والحالم والعامل. ووفقًا لكلمات "بلوخ" عينها، «يجب على الفلسفة أن يكون لديها وَعْيٌ أخلاقيٌّ بالغَد، وأن تنحاز للمستقبل، وأن تعرف الرّجاء، وإلّا فإنّها لن تملك أيَّ معرفةٍ بعد الآن»[4].

ثالثًا: الإسخاتولوجيا والرّجاء المسيحيّ

يعتقد بعضُ المسيحيّين أنّ "الإسكاتولوجيا" هي مجرّد الخطاب الثّيولوجيّ (اللّاهوتيّ) الخاصّ بـ"الآخرويّات" أو "الأمور الآخرويّة" أو "النّهيويّات" أو "العواقب" فحسب، أي مجرّد الحديث عن الموت، والدّينونة الخاصّة والعامّة، والسّماء وجَهنَّم النّار. ولا يعلمون بأنّ "الإسكاتولوجيا المسيحيّة" تتعلّق بالحرىّ بإعادة خَلْق كلّ الأشياء مِن جديد، أي بالرّجاء المسيحيّ الّذي لا يُخَيِّب أبدًا (راجع رومية ٥/ ٥)، لأنَّه يجد أساسه في قيامة المسيح المجيدة. وفي هذا السّياق، قد أصاب حقًّا الثّيولوجيّ (عَالِم اللّاهوت) البروتستانتيّ "يُرغِين مُولتمانّ" (١٩٢٦-٢٠٢٤م) عندما كتب:

«لا تكمن الإسكاتولوجيا المسيحيّة إطلاقًا في تلك "الحلول النّهائيّة" ذات الطّابع الأبُوكَلِبتيّ [أو الرؤيويّ]، إذ إنَّ موضوعها ليس"النّهاية"، وإنَّما بالحرىّ إعادة خَلْق كلّ الأشياء مِن جديد. فالإسكاتولوجيا المسيحيّة هي الرّجاء الّذي يُذكِّرنا بقيامة المسيح المصلوب؛ وبالتّالي، فهي تتحدّث عن البداية الجديدة عند النّهاية الّتي هي الموت»[5].

إذا كان الموضوعُ المحوريّ للإسكاتولوجيا المسيحيّة هو "الرّجاء" الحيّ والرّاسخ والوَطِيد في واقعٍ أفضل، ومجتمعٍ أفضل، وبَشَرٍ أفضل، وأزمنة أفضل، فما معناه ومُنطَلَقه وأبعاده إذًا؟

كما يشرح المختصّون، ترتكز فكرةُ الكِتاب المقدّس عن الرّجاء على القناعة بأنّ "إله الخَلْق" (الخالق) هو عينه "إله الخلاص" (المخلّص)، وأنّ تاريخ الخلاص بأسره يتّجه نحو تحقيق الوعد بمستقبلٍ أفضل ومُطلق وتامّ، ومُفْعم بالرّجاء في عمل اللّه الخلاصيّ. ونجد في العهد الجديد بنوعٍ خاصّ، أنّ لفظة "الرّجاء" تشيرُ إلى حقيقة حياتيّة وفعّالة، وقد أصبحت

4 E. Bloch, *El principio esperanza*, Tomo I, Editorial Trotta, Madrid 2004, 30.
5 J. Moltmann, *L'avvento di Dio. Escatologia cristiana*, Queriniana, Brescia 1998, 6.

ممكنةً بفضل السّيّد المسيح وفيه، إذ إنّه يسمح باستمراريّة الرّجاء وتجديده وحيويّته. ويتميّز الرّجاءُ بيبليًّا بمجموعة خصائل هامّة: ١) له علاقة بالخلاص، أي بملء واكتمال الوقائع الشّخصيّة والاجتماعيّة والكونيّة؛ ٢) يتطلّع إلى مضامين ليست من صُنع الإنسان، بل هي هِبَة من الله القدير والمُحِبّ؛ ٣) يكمن في الانتظار بثقةٍ لما هو مستحيل طبيعيًّا، فهو رجاءٌ ضدّ كلّ رجاءٍ (راجع رومية ٤/ ١٨)؛ ٤) يتمثّل في انفتاحٍ مزدوجٍ، أعني على المستقبل زمنيًّا وعلى الآخر اجتماعيًّا.

رابعًا: مفهومُ "الرّجاء المسيحيّ" في بعض الوثائق الكَنسيّة الكاثوليكيّة الحديثة

بدون تفاصيل كثيرة، وبدون أدنى نيّة للتّبحُّر في علوم اللّاهوت المتنوّعة، يمكن القول بأنّ "**الرّجاء**" موضوعٌ جوهريّ في تعاليم الإيمان المسيحيّ المبنيّة على الكتاب المقدّس بعهدَيْه، وفكر آباء الكنيسة، واللّيتورجيا، والتّقليد الكنسيّ الحيّ، وتطوُّر عِلْم اللّاهوت.

البابا بِنديكْتُس السَّادس عشر

ونحن مدعوّون بدورنا أن نكون بحقٍّ وجدّيّة "**حُجّاجَ الرَّجَاءِ**" **في يُوبيل الرّجاء، الذي لا يُخَيّب أبدًا** (راجع: روم ٥/ ٥)، لأنّه يجد أساسه في قيامة السّيّد المسيح المجيدة. ولكن، ما هو الرّجاء الحيّ الذي تنادي به المسيحيّة؟ وما معنى أن نصير "حُجّاجَ رجاءٍ" أو "حُجّاجَ الرَّجَاءِ"؟ ولتقديم لَمْحَة سريعة عن "**ثيولوجيا الرّجاء**"، أَعرضُ بضعةَ مفاهيم موجودة في الوثائق الكَنسيّة الكاثوليكيّة الحديثة.

١) من المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثّاني إلى البابا بِنديكْتُس السَّادس عشر

بدايةً، قد أكّد **المجمعُ المسكونيّ الفاتيكانيّ الثّاني** (١٩٦٢-١٩٦٥م)[6]، في دستوره الرّعويّ "فرح ورجاء"، على ما يلي: «إنّ آمالَ البشرِ وأفراحَهم، في زمننا هذا، إنَّ أحزانَهم وضيقاتهم، لا سيّما الفقراء منهم والمعذَّبين جميعًا، لهي أفراحُ تلاميذِ المسيح وآمالُهم، هي أحزانُهم وضيقاتهم. وهل من شيءٍ إنسانيٍّ حقّ إلّا وله صداهُ في قلوبهم؟» (بند ١). ويصف "**مختصرُ كِتاب التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة**" (٢٠٠٥م)، الذي يلخّص بدوره البنود ١٨١٧-١٨٢١ من "كِتاب التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة" (١٩٩٢م)، الرّجاءَ هكذا: «الرّجاء هو الفضيلة الإلهيّة التي بها نرغب، مترقّبين من الله، في الحياة الأبديّة، رغبتنا في سعادتنا،

6 Cf. https://www.copts-united.com/Article.php?I=5700&A=805321&fbclid=IwZXh0bgNhZW0CMTEAAR05QWzRW2KR_E9xg-FFJlBPSMuLWA-MKLYZcX-7U4K9d4V77n1RYhzzCAs_aem_W5GotsUqyTMhYo5XrSY2ng

واضعين ثقتنا بمواعيد المسيح، ومستندين إلى عون نعمة الروح القدس لنستحقّ الحياة الأبديّة، والثبات حتّى نهاية حياتنا على الأرض» (بند ٣٨٧).

وقد دعا **البابا يوحنّا بولس الثّاني** (المتنيّح في ٢ أبريل/نيسان ٢٠٠٥م)، في رسالته الرّسوليّة "إطلالةُ [مَجيءُ] الألف الثّالث" لتهيئة يُوبِيل السَّنة الألفَيْن، جميعَ أطياف المؤمنين إلى أن يكتشفوا من جديدٍ **فضيلةَ الرّجاء الإلهيّة**؛ فقال: «إنّ فضيلة الرّجاء الأساسيّة تدفع بالمسيحيّ من جهة إلى أن لا تغيب عن بصره الغاية الأخيرة التي تُعطي وجوده كلّ معناه وقيمته، وتُعطيه من جهة أخرى دوافع ثابتة وعميقة للالتزام يوميًّا بتحويل واقع الحياة فيجعله مطابقًا لقصد الله [...] ويجدر بنا عدا ذلك أن نقيّم علامات الرّجاء القائمة في نهاية هذا القرن ونتعمّق فيها، برغم الإظلال التي في الغالب تحجبها عن عيوننا» (بند ٤٦).

ومن جهته، كرّس **البابا بِنديكْتُس السَّادس عشر** (المتنيّح في ٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٢م)[٧] رسالتَه العامّة «بالرّجاء مخلَّصون» (٢٠٠٧م) لتناول قضيّة "**الرّجاء المسيحيّ" من النّواحي البِيبليّة والثّيولوجيّة والفلسفيّة والرّوحيّة والرّعويّة**. فأوضح البابا أنّ «تعبيرَ "الرّجاء" لمحوريٌّ في الإيمان الكِتابيّ، لدرجة أنّ كلمتا "إيمان" و"رجاء" تظهران في مقاطع متعدّدة كعبارتين ذات معنى واحد» (بند ٢). وبالنّسبة له، «مَن لا يعرف الله هو دون رجاء، حتى ولو كانت عنده آمال كثيرة، هو دون الرّجاء الأعظم الذي عليه تقوم الحياة بأكملها (را. أف ٢، ١٢). إنّ الرّجاءَ الحقيقيَّ للإنسانِ، ذاك الرّجاءِ الذي يثبُتُ بالرغم من كلّ خيبات الأمل، هو الله وحدهُ – الله الذي أحبّنا ومازال يُحبّنا "إلى المنتهى"، "حتى يتمَّ كلُّ شيء" (را. يو ١٣، ١؛ ١٩، ٣٠). إنّ مَن لمَستهُ المحبّة يبدأُ بفهمِ معنى "الحياة" الحقيقيّ» (بند ٢٧).

وأمّا "**أماكن**" **فهم الرّجاء المسيحيّ وممارسته عمليًّا** (راجع: بنود ٣٢–٤٨)، فهي تكمن في: ١) الصّلاة كمدرسةِ رجاء، فهي المكان الأوّل والجوهريّ لفهم الرّجاء؛ ٢) العمل والألم كأماكن لتعلُّم الرّجاء، حيث إنّ كلّ عملٍ إنسانيٍّ جديٍّ وقويم هو رجاءٌ في طريقهِ للتّحقيق، وإنّ الألم أيضًا شأنه شأنَ العملِ هو جزءٌ من حياةِ الإنسان؛ ٣) الدّينونة الأخيرة، كمكان لفهم وممارسة الرّجاء، إذ «إنَّ الإيمانَ بالمسيح لَمْ ينظر أبدًا إلى الوراء فحَسْب، ولا إلى العَلاء فحَسْب، بل هو ينظرُ على الدّوام إلى الأمام أيضًا، إلى ساعةِ العدلِ التي كان الربُّ قد سبقَ وأعلنها مرارًا» (بند ٤١).

٢) البابا فرنسيس ويُوبِيل الرَّجَاء

في مرسوم الدّعوة إلى اليُوبيل العاديّ ("الرّجاء لا يُخَيِّب")، وانطلاقًا من نصوص العهد الجديد (لا سيّما: روم ٥/ ٥؛ ١٢/ ١٢؛ ١ طيم ١/ ١)، أعلن البابا فرنسيس أنّ "**الرّجاء هو أيضًا الرّسالة المركزيّة لليوبيل القادم**" (٢٠٢٥م)؛ وطالب بأن يكون اليُوبيل "فرصةً للجميع لإحياء الرّجاء فيهم" (راجع: "الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ١).

٧ راجع: أشرف ناجح إبراهيم عبد الملاك، «البابا راتسينغر–بِنديكْتُس السَّادس عشر: بِيوغْرَافيا مُوجَزة»، في مجلّة "نور على الطريق"، العدد الأوّل للعام ٢٠٢٤ (رقم ١٤٥/ ٧٥٠)، ١–٢٣.

وبين تصريحات وتأكيدات البابا المهمّة في هذا المرسوم، جاء ما يلي:

«الرّجاء يولد من المحبّة ويقوم على المحبّة المتدفّقة من قلب يسوع المطعون على الصّليب» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ٤)؛ «وليس من قبيل الصّدفة أن يكون الحجّ عنصرًا أساسيًّا في كلّ يوبيل. الانطلاق في مسيرة هو أمرٌ نموذجيّ للذين يبحثون عن معنى الحياة. فالحجّ سيرًا على الأقدام يشجّع بشكل كبير على أن نكتشف من جديد والطّلاب، والخُطَّاب، والأجيال الشّابّة! القرب من الشّباب، فرح ورجاء الكنيسة والعالم!» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ١٢).

وقد ربط البابا فرنسيس بين **الرّجاء والإيمان والمحبّة**، فقال: «الرّجاء، مع الإيمان

اليوبيل والرجاء: لقاءات للشبيبة في قلب العاصمة روما

بند ٣)؛ «الصّبر، وهو أيضًا ثمرة الرّوح القدس، يحيي الرّجاء ويثبّته كفضيلة وأسلوب حياة. لذلك، لنتعلَّم أن نطلب مرارًا نعمة الصّبر، الّذي هو ابن الرّجاء وهو في الوقت نفسه سنده» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند قيمة الصّمت والتّعب وما هو الأهمّ في الحياة» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ٥)؛ «ومن المحزن أن نرى شبابًا بلا رجاء [...] لهذا السّبب، اليوبيل للكنيسة هو فرصة انطلاق تجاههم: بمحبّة متجدّدة، لنهتمّ بالشّباب، والمحبّة، يشكّل ثلاثيّة "الفضائل اللاهوتيّة"، الّتي تعبّر عن جوهر الحياة المسيحيّة (راجع ١ قورنتس ١٣، ١٣؛ ١ تسالونيكي ١، ٣). في ديناميكيّتها الّتي لا تنفصل، الرّجاء هو الّذي يُوَجِّه، إن صحّ التّعبير، ويشير إلى

اليوم العالميّ التّاسع والثلاثون للشّبيبة

الاتّجاه والهدف لحياة الإيمان. لذلك يدعونا بولس الرّسول إلى أن نكون "في الرّجاءِ فَرِحين وفي الشِّدّةِ صابِرين وعلى الصّلاةِ مُواظِبين" (رومة ١٢، ١٢). نَعم، نحن بحاجة لأن "تفيض نفوسنا رجاءً" (راجع رومة ١٥، ١٣) لكي نشهد بطريقة صادقة وجذّابة للإيمان والمحبّة اللذَين نحملهما في قلوبنا، ولكي يكون الإيمان فَرِحًا، والمحبّة مندفعة، ولكي يستطيع كلّ واحدٍ أن يقدّم ولو ابتسامة فقط، أو علامة صداقة، أو نظرة أخويّة، أو إصغاء صادقًا، أو خدمة مجّانيّة، ونحن نعلَم أنّ ذلك يمكن أن يصير، في روح يسوع، بذرة رجاء مثمرة للذين يَرَوْنها منّا. وما هو أساس رجائنا؟ لنفهم ذلك لننظر ما هي أسباب الرّجاء (راجع ١ بطرس ٣، ١٥)» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ١٨).

أمّا من خلال رسالته في "اليوم العالميّ التّاسع والثّلاثين للشّبيبة" (٢٤ نوفمبر/تشرين الثّاني ٢٠٢٤م)[8]، وانطلاقًا من مسيرة "السّير على طريق الرّجاء نحو اليوبيل الكبير"، والاستعداد لحجّ اليُوبِيل بعام ٢٠٢٥م، أوضح البابا فرنسيس أنّ «**حياتنا هي رحلة حجّ**، رحلة تدفعنا إلى ما هو أبعد من أنفسنا، ورحلة بحث عن السّعادة. الحياة المسيحيّة، بشكل خاص، هي حجّ نحو اللّه، خلاصنا وكمال كلّ خير». وبالنّسبة له، يكمن الحلُّ للشّعور بالتّعب والقلق والملل والإحباط أمام متاعب ومصاعب وأزمات الحياة، في مفارقة «عدم البقاء واقفين لنستريح. بل هو أن ننطلق في مسيرة ونصير **حجّاج رجاء**. هذه هي دعوتي لكم: سيروا في الرّجاء! الرّجاء يتغلّب على كلّ تعب، وكلّ أزمة، وكلّ قلق، ويعطينا دافعًا قوّيًا لمتابعة السّير، وهو عطيّة نقبلها من اللّه نفسه: فهو يعطي معنى لوقتنا، وينير لنا مسيرتنا، ويبيِّن لنا الاتجاه وهدف الحياة».

وفي الرسالة عَيْنها، قد حَثَّنا البابا على أن نكون على غرار "الحجّاج في الصّحراء"

8 https://www.vatican.va/content/francesco/ar/messages/youth/documents/papa-francesco_20240829_messaggio-giovani_2024.html

في رحلة الحياة؛ وأنّه «في لحظات التّعب الحتميّة في أثناء حجّنا في هذا العالم، لنتعلّم أن نستريح مثل يسوع وفي يسوع». **وبدلًا من أن نكون "سُيَّاح" في هذه الرّحلة الحياتيّة، علينا أن نكون "حُجَّاج"**: «لا تنطلقوا في رحلتكم مجرّد سائحين فقط، بل حجّاجًا. أي لا تكُنّ مسيرتكم ببساطة مرورًا في أماكن الحياة بطريقة سطحيّة، ودون أن تدركوا جمال ما تصادفون، ودون أن تكتشفوا معنى الطّرق التي قطعتموها، فتلتقطون لحظات قصيرة، وخبرات عابرة تثبّتونها في صورة شخصيّة (سِلْفِي). السّائح يفعل ذلك. أمّا الحاجّ، فينغمس بكلّ نفسه في الأماكن التي يمرّها، ويجعلها تتكلّم، وتصير جزءًا من بحثه عن السّعادة. حجّ اليوبيل إذًا، يهدف لأن يصير علامة الرّحلة الدّاخليّة التي نحن كلّنا مدعوّون إلى أن نقوم بها، لكي نصل إلى الهدف النّهائيّ».

وفي ختام رسالته في "اليوم العالميّ التّاسع والثّلاثين للشّبيبة"، ومن خلال دعوته المتكرّرة والموجّهة إلى الجميع للذّهاب إلى مدينة روما العريقة في "رحلة حجّ" للعبور من الأبواب المقدّسة، ولا سيّما ساحة وأروقة بازيليكا القدّيس بطرس في روما،

دعانا البابا فرنسيس جميعًا إلى اختبار "ذراعَي الكنيسة المفتوحتَين، أمّنا، التي تستقبل أبناءها كلّهم!"، وإلى اختبار "عِناق اللّه الرّحيم"، ومغفرته، ومَحوَ جميع الذّنوب الدّاخليّة. وأكّد البابا على ما يلي: «أحملكم جميعًا في قلبي وأوكل مسيرة كلّ واحد منكم إلى مريم العذراء، حتّى تعرفوا على مثالها، أن تنتظروا بصبر وثقة ما ترجونه، وتبقوا سائرين **حجّاجَ رجاء ومحبّة**».

في مقابلته العامّة حول علاقة الرُّوح القُدُس بالرَّجاء المسيحيّ (١١ ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠٢٤م)، أكّد البابا فرنسيس على ما يلي: «**الرُّوح القُدُس هو ينبوع الرّجاء المسيحيّ الذي لا يَنضُب** [...] إذا كانت الكنيسة سفينة، فإنّ الرُّوح القُدُس هو الشِّراع الذي يدفعها ويجعلها تتقدّم في بحر التّاريخ، اليوم كما في الماضي! الرّجاء ليس كلمة فارغة، أو رغبةً فينا مبهمة في أن تسير الأمور بطريقة أفضل: بل هو يقين، لأنّه قائمٌ على أمانة اللّه لوعوده. ولهذا السّبب نقول إنّه فضيلة إلهيّة: لأنّ اللّه يفيضه فينا وهو الضّامن له. الرّجاء ليس فضيلة غير فاعلة، تكتفي بأن تنتظر أن تحدث الأمور. إنّها فضيلة فاعلة جدًّا وتساعد في أن تحدث الأمور»[9].

في عيد ميلاد السّيّد المسيح للعام المنصرم (٢٠٢٤م)، ومع بداية سنة اليُوبِيل (٢٠٢٥م)،

9 https://www.vatican.va/content/francesco/ar/audiences/2024/documents/20241211-udienza-generale.html

طلب البابا فرنسيس من كلّ شخص، وكلّ شعبٍ وأمّةٍ، أن يتحلّوا بالشّجاعة، «ويكونوا **حجّاج رجاء**، ويُسكتوا الأسلحة ويتغلّبوا على الانقسامات!»[10]. وكانت هذه هي أمنيّته أمام الدّبلوماسيّين المُعتَمدين لدى الكرسي الرّسوليّ، بمناسبة اللّقاء السّنويّ لتبادل التّهاني بالعام الجديد (٩ يناير/كانون الثّاني ٢٠٢٥م): «أمنيتي لهذا العام الجديد هو أن يكون اليوبيل للجميع، مسيحيين وغير مسيحيين، فرصة لإعادة التّفكير في العلاقات التي تربطنا، ككائنات بشريّة ومجتمعات سياسيّة، للتغلّب على منطق الصّدام وتَبَنِّي منطق اللقاء، ولكي لا يجدنا الزّمن الذي ينتظرنا تائهين يائسين، بل حجاجَ رجاء، أي أشخاصًا وجماعات تسير ملتزمة لبناء مستقبل سلام»[11].

خُلاصةٌ

إنّ عَالَمنا جائعٌ ومتعطّش إلى الرّجاء الحقيقيّ، وإلى شهودِ وشهداءِ الرّجاء الحيّ والرّاسخ والوَطِيد. وبالنّسبة لنا نحن المسيحيّين، يرتبط الرّجاءُ في عَالَمٍ أفضل، وفي "سَماءٍ جَديدةٍ وأَرضٍ جَديدة" (راجع رؤيا ٢١/ ١)، بشخص السّيّد المسيح المصلوب القائم، الذي غَلَبَ الخطيئة والشّر والموت. وبهذا المَعْنى، وعلى المستوى الشّخصيّ، على كلّ واحدٍ منّا أن يردّد: «أنا محبوب، إذن أنا موجود، وسأكون موجودًا إلى الأبد في الحبّ الّذي لا يخيِّب أملي والّذي لن يستطيع أيّ شيء أو أيّ أحد من أن يفصلني عنه» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ٢١).

يا لَيْتنا نصغي إلى الوَحْي الإلهيّ عبر صفحات الكِتاب المقدّس، فهو يعلن لنا أنّ المسيحَ يَسُوع هو "رَجاؤنا" (راجع: ١ طيم ١/ ١)؛ ويؤكّد لنا: «الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ صاحِبَه، لأَنّ مَحَبّةَ اللّه أُفيضَت في قُلوبِنا بِالرُّوحِ القُدُسِ الّذي وُهِبَ لَنا» (روم ٥/ ٥). وهو عَيْنه يدعونا إلى ما يلي في ما يتعلّق برَجائنا الحي والحقيقيّ: «كُونوا في الرَّجاءِ فَرِحين وفي الشِّدَّةِ صابِرين وعلى الصَّلاةِ مُواظِبين» (روم ١٢/ ١٢).

ومع ذلك، «لا يمكن للمسيحيّ أن يكتفي بأن يكون له رجاء، بل يجب عليه أيضًا أن يشعّه، وأن يكون زارعًا له. إنّه أجمل عطيّة يمكن أن تقدّمها الكنيسة للبشريّة جمعاء، وخاصّة في اللحظات التي يبدو فيها أنّ كلّ شيء يدفع إلى طَيِّ الأشرعة» (مقابلة البابا فرنسيس العامّة، في الـ١١ من ديسمبر/كانون الأوّل ٢٠٢٤)[12]. وفضلًا على كوننا –وسعينا لنكون أكثر فأكثر– **حُجّاجُ الرَّجَاءِ في يُوبِيل الرَّجَاء**، علينا كمسيحيّين، على المستوى الجماعيّ والاجتماعيّ، أن نصلّي بلجاجة ونسعى باجتهادٍ حتّى تتحقّق طِلْبةٌ أو أمنيّةُ البابا فرنسيس التّالية، التي هي في الأصل طِلْبةٌ مُشبّعةٌ بروح الإنجيل: «لِيَصِلْ نور الرّجاء المسيحيّ إلى كلّ إنسان، كرسالة محبّة اللّه الموجَّهة إلى الجميع! وَلْتَكُن الكنيسة شاهدة أمينة لهذا الإعلان في كلّ أنحاء العالم!» ("الرّجاءُ لا يُخَيِّبُ"، بند ٦).

10 https://www.vatican.va/content/francesco/ar/messages/urbi/documents/20241225-urbi-et-orbi-natale.html
11 https://www.vatican.va/content/francesco/ar/speeches/2025/january/documents/20250109-corpo-diplomatico.htm
12 https://www.vatican.va/content/francesco/ar/audiences/2024/documents/20241211-udienza-generale.html

ملحق العدد

العهد القديم والحفر عند جذور الكلمات وفهم المصطلحات:

الفلسطيون والفلسطينيون؛ إسرَإيل وإسرائيل

أنموذجًا

إعداد وتقديم القس عيد صلاح

> في دراسة العهد القديم يجب أن نقف عن جذور الكلمات ومعانيها في ضوء القرينة والسياق، فنجد الغنى والمعرفة، الكلمات والمصطلحات مهمة في تشكيل الوعي فمثلًا هل نعرف الفرق بين «الفلسطيون» و«الفلسطينيون»؟ وبين «إسرَإيل» و«إسرائيل»؟ وماذا تعني كل كلمة منها؟ وما هي الفائدة التي تحلّ علينا من معرفة هذا الفرق؟

الدراستان المحلقتان هنا ستدهشاننا، وفي الوقت نفسه ستغيران من قناعاتنا وتفكيرنا، وتجعلاننا نعيد النظر فيما كنا نعتقده ونفكر فيه، وما ينسحب ذلك على واقعنا في شرقنا العربيّ. بقدر ما يفيدنا من معلومات بقدر أكبر هو تعلم منهاجية الحفر عند جذور الكلمات. نعرض في هذا الملحق لدراستين:

الأولى: "الفلسطيُّون والفلسطينيُّون" لطيب الذكر الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس، وقد سبق نشره في مجلة الهدى، العدد ٩١٥، السنة ٧٩، أغسطس ١٩٨٩م، الصفحات من ١٦-٢١.

والثانية: "إسرَإيل الله" (غلاطية ٦: ١٦) للقسّ أمير إسحق، نُشِرَ من قبل في سلسلة الأغصان رقم (١٥)، وهي تنشر كملحق مع مجلة الهدى، ٢٠٢٤م، ولأهمية الموضوع نعيد نشره ثانيةً.

وقد وضعت الدراستين تحت عنوان: "العهد القديم والحفر عند جذور الكلمات وفهم المصطلحات: الفلسطيون والفلسطينيون؛ إسرَإيل وإسرائيل". كلتاهما تشتبك مع الواقع وتوضِّح ما التبس عليه الفهم، وتُصحِّح المسار، وتضبط المعاني. سيُلحَق بالدراستين مقالان تعريفيَّان بالكاتبين: الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس والقسّ أمير إسحق، وبإنتاجهما الفكريّ.

القسّ عيد صلاح
يناير ٢٠٢٥م

(١)
الفلسطيون والفلسطينيون

الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس

تخالج البعض في عالمنا العربيّ وهم يقرأون أو يسمعون قصص العهد القديم الخاصة بشعب الرب في علاقتهم بـ"الفلسطيين"، مشاعر متفاوتة. فهناك من اعتادوا قراءة أو سماع تلك القصص، فلا يربطون بينها وبين الأوضاع السياسية في عالم اليوم. وهنالك من يقرأون أو يتحدثون عن هذه القصص من منظور سياسي معاصر بحت، فينفعلون بدرجات متفاوتة تدفع بعضًا منهم أحيانًا إلى اعتبار قصص القضاة وقصة داود وجليات بصفة خاصة، وكأنها أساطير دوّنها بعض الكُتاب لرفع شأن بني إسرائيل ومعنوياتهم، وما يشوب ذلك من نظرة احتقار وازدراء لغيرهم من الشعوب. إلا أن الدراسة المدققة تكشف لنا أن من نُطلق عليهم اسم "الفلسطينيين" في العهد القديم لا صلة بينهم كشعب وبين "الفلسطينيين" اليوم.

نقطة البداية

رغم أن الكتاب المقدّس لم يُقصد به أن يكون سجلًّا ومرجعًا في علم الأجناس، إلا أن أول إشارة "للفلسطينيين" نجدها في سفر التكوين "وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ". (تك ١٠: ١٣، ١٤). ونعلم أن الياء والميم هي علامة الجمع في اللغة العبرية، ولذلك يمكننا أن نضع مكانها الواو والنون في العربيّة مع التغييرات الطفيفة المناسبة. وبذلك فبدلًا من أن نقول "فلشتيم" يمكننا أن نقول "الفلسطيون" (لأن حرف الشين العبري يُستبدل عادةً بالسين في العربيَّة) ونجد نفس الشيء في (١أخبار ١: ١٢).

لماذا الفلسطيون وليس الفلسطينيون؟

وقد قصدت أن استخدم كلمة "الفلسطيين" بدلًا من كلمة "الفلسطينيين". فالكلمة العبرية هي (فلشتيم) التي تشير إلى من اعتدنا في كل ترجماتنا العربيّة للعهد القديم أن نسميهم "الفلسطينيين"، بينما هنالك كلمة عبرية أخرى تُعبّر عن شعب بلاد فلسطين اليوم وهم من نسميهم "الفلسطينيين". وكان لزامًا علينا أن نستخدم في العربيّة كلمتين متميزتين تتمشى كلٌّ منهما مع اللفظ العبري المناسب. وأرى أن تكون الأولى "الفلسطيين" والثانية "الفلسطينيين".

ولعلنا نلاحظ استخدام كلمة متميزة في كثير من ترجمات الكتاب المقدّس للتعبير عن شعب "فلسطين" في العهد القديم تختلف عمن نسميهم "الفلسطينيين" اليوم. فنجد مثلًا كلمة (**Philistines**) في الترجمات الإنجليزية للعهد القديم التي تختلف عن كلمة (**Palestinians**) التي تُعبِّر عن شعب فلسطين اليوم، وهكذا في كثير من اللغات. وسوف نرى أن الموقع الجغرافي الذي اعتدنا أن نشير إليه في ترجماتنا العربيّة للعهد القديم باسم "فلسطين" (خروج ١٥: ١٤) مثلًا أصغر بكثير من الرقعة الجغرافية التي عُرفت باسم فلسطين منذ أوائل القرن الثاني الميلادي حتى اليوم.

الشعب يعطي للبلاد اسمها

والذي يقرأ سفر التكوين يلاحظ أن إبراهيم عندما رحل من أرض الكلدانيين ثم من حاران قاصدًا أرض الموعد وصل إلى كنعان. واكتسبت كنعان اسمها من وجود الكنعانيين بها، وكان ذلك قبل أن يحضر الفلسطيون إليها. ولذلك نقرأ كلمة هامة في سفر التكوين (١٢: ٦) "وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض." ويُبرز الكاتب هذه الحقيقة لأنه عند تدوين هذه الكلمات يبدو أن الفلسطيين كانوا قد حلوا محل الكنعانيين في تلك البقعة من الأرض.

فأرض كنعان اكتسبت اسمها من اسم الشعب الذي سكن فيها، أي الكنعانيين. ثم تغيّر اسمها أو على وجه أدق اسم جزء هام منها إلى فلسطيا (فلشت)، عندما حل الفلسطيون بها. فسُمِّيت تلك البقعة من الأرض كنعان، نسبةً للكنعانيين، ثم سُمِّي جزء منها فلسطيا نسبة للفلسطيين.

من هم الفلسطيون؟

لاحظنا في (تك ١٠: ١٤)، أو بعبارة أخرى إلى الفلسطيين والكفتوريين. وكفتور في العهد القديم هي جزيرة كريت اليوم. والارتباط بين الفلسطيين والكفتوريين (الكريتيين) في العهد القديم يتكرر بصورة كبيرة (تثنية ٢: ٢٣؛ ١صموئيل ٣٠: ١٤، ١أخبار ١: ١٢؛ إرميا ٤٧: ٤؛ حزقيال ٢٥: ١٦؛ عاموس ٩: ٧؛ صفنيا ٢: ٥) وخلاصة القول، من دون دخول في تفصيلات كثيرة، يلاحظ من يدرس تاريخ هجرات الشعوب القديمة أنه كانت هناك موجات متلاحقة ممن نزحوا من كريت وجزر اليونان (وكانت كريت دولة هامة قديمًا) واستقروا في المنطقة الساحلية الواقعة في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وأُطلق عليهم اسم "شعوب البحر" ولربما كان من أشهر هؤلاء أبيمالك الذي اتخذ لنفسه اسمًا ساميًّا وعاش مسالمًا لشعب البلاد (تكوين ٢١: ٢٣، ٣٤؛ ٢٦: ١، ٨، ١٤، ١٥، ١٨) ولقد تصدى لتلك الموجات المبكرة فرعون مصر مرنبتاح حيث إن تلك المنطقة كانت ضمن البلاد المصريّة. إلا أنه في أواخر العصر البرونزي المتأخر (حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م.) تزايد عدد أولئك المهاجرين، وكانوا رجالًا أشداء متمرسين في فنون الحروب، واستولوا على خمس مدن حصينة، هي المدن التي أصبحت المدن الفلسطينية الرئيسية: غزة، أشقلون، أشدود، عقرون، وجت (راجع أقطاب الفلسطيين "الفلسطينيين" الخمسة) (يشوع ١٣: ٣). أما بيت شان وجرار فكانتا أقل شأنًا. كما استولوا على الساحل الذي يقع جنوبي هذه المدن الخمس وأطلقوا على هذه المنطقة اسم كريت أو ساحل الكريتيين.

وهنالك ثلاث إشارات للكريتيين في العهد القديم (١صموئيل ٣٠: ١٤؛ حزقيال ٢٥: ١٦؛ صفنيا ٢: ٥)، وكلُّها تخص هذه المنطقة لا جزيرة كريت نفسها. وهنالك أيضًا

إشارة إلى (بحر الفلسطيين "الفلسطينيين") (خروج ٢٣: ٣١). ولا يمكننا أن نتفهم هذه الآيات دون الإلمام بهذه الخلفية التاريخية الهامة. كما أنه ليس غريبًا أن من ينزحون إلى بلاد غريبة، يطلقون اسم بلادهم التي نزحوا منها على بلادهم الجديدة (أمثلة ذلك كثيرة جدًّا في الولايات المتحدة الأمريكية).

الحقيقة وتأكيدها

١. هنالك آيات كثيرة في كلمة اللّه تشير إلى هذه الحقيقة (مثلًا: تثنية ٢: ٢٣) "وَالْعُوِّيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي الْقُرَى إِلَى غَزَّةَ، أَبَادَهُمُ الْكَفْتُورِيُّونَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ كَفْتُورَ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ."، (عاموس ٩: ٧) "أَلَمْ أُصْعِدْ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ كَفْتُورَ، وَالأَرَامِيِّينَ مِنْ قِيرٍ؟".

٢. والحفريات تؤكد كلمة اللّه، فقد اكتُشِفَت في فلسطين آنيةٌ فخاريةٌ تعود إلى تلك الحقبة يتضح أنها تختلف تمامًا عن آنية الكنعانيين الفخارية وهي أحدث منها، وتشبه تمامًا الآنية الكريتية في ذلك العصر.

(معبد آمون) في مدينة هابو بالقرب من الأقصر

٣. كما أن هنالك لوحة موجودة في مدينة هابو بالقرب من الأقصر، يسجل عليها رمسيس الثالث فرعون مصر حملاته ضد غزوات الليبيين ومجموعات أخرى من الشعوب يُعرفون باسم "شعوب البحر". ونجد أول إشارة للفلسطيين بالاسم "برست" أو "بلست" (فلسط) في سجلات رمسيس الثالث في سنة حكمه الخامسة (١١٨٥ ق.م.) والسنوات الست التالية، في معبده (معبد آمون) في مدينة هابو بالقرب من الأقصر. وتقدم هذه اللوحة صورة لواحدٍ من الفلسطيين يتميَّز بغطاء الرأس المصنوع من الريش وهو زي يوناني (كريتي) مع ملامح الوجه اليونانية أيضًا. كما يظهر أن الفلسطيين ربما كانوا يتميزون بطول القامة. وقد يساعدنا هذا على تفهم صورة جليات التي يقدمها لنا الكتاب المقدّس (١صموئيل ١٧). ويرى بعض المؤرخين أن هؤلاء الفلسطيين الغزاة لم يكن هدفهم الاستقرار في أرض فلسطين، ولكنهم كانوا يتطلعون

لغزو مصر والاستيلاء عليها لولا أن صدهم رمسيس الثالث، كما توضح اللوحة المشار إليها. ويجدر القول إن تلك البلاد خضعت قبل ذلك وبعد ذلك ولسنين للحكم المصريّ.

٤. بقي أيضًا أن نقول إن كلمة فلسط (فلسطيا/ فلسطين) نفسها ليست من أصلٍ ساميٍّ؛ فهي لا تتصل باللغة الساميَّة. وواضح أن الفلسطيين أنفسهم ليسوا من أصلٍ ساميّ، ولكنهم من نسل حام كما سبقت الإشارة (تكوين ١٠: ١٣، ١٤)، وهم لم يمارسوا الختان مثلًا (قضاة ١٤: ٣؛ ١٥: ١٨؛ ١صموئيل ١٧: ٢٦؛ ١٨: ٢٥). وكلنا يعلم أن إبراهيم وكل نسله ساميُّون. وهذا أمر تجدر ملاحظته ونحن نتحدث عن الفلسطينيين اليوم.

الفلسطيون... كنعان... فلسطيا (فلسطين)

رأينا أنه عندما وصل الفلسطيون أرض كنعان، وكان الكنعانيون فيها عندئذٍ (تكوين ١٢: ٦) حدثت تغييرات كبيرة:

١. تغير اسم البلاد (أو جزء منها) فأصبحت فلسطيا التي اشتُقّ منها فيما بعد اسم فلسطين.

٢. لم يحتفظ الفلسطيون بلغتهم الأصلية ولكنهم تبنوا لغة البلاد التي استقروا فيها، وإن كانوا قد مزجوها بشيء من مفرداتهم. وهذا يُلقي الضوء على (نحميا ١٣: ٢٤) "وَلَمْ يَكُونُوا يُحْسِنُونَ التَّكَلُّمَ بِاللِّسَانِ الْيَهُودِيِّ...".

٣. من منطلق الاعتقاد السائد في تلك الأيام بأن كل بلاد لها آلهتها الخاصة بها. اعتنق الفلسطيون آلهة الكنعانيين المختلفة والتي لا يسمح المجال بالحديث عنها، وإن كنا نقول إن تلك العبادة كانت تافهة، خالية من أية قيم أخلاقية على الإطلاق، بل إن تلك الآلهة نفسها تقدم نموذجًا سيئًا للسلوك. وأهم آلهتهم داجون وعشتاروث وبعل زبوب. وقد شيّدوا معبدين لداجون في غزة وأشدود (قضاة ١٦: ٢٣؛ ١صموئيل ٥: ١-٧) ومعبدًا لعشتاروث في أشقلون (هيرودوتس ١: ١٠٥)، ومعبدًا لبعل زبوب في عقرون (٢ملوك ١: ٣)، واستمرت بعض هذه المعابد حتى العصر اليوناني (مكابيين الأول ١٠: ٨٣). ومن الغريب أن تلك الآلهة، وتلك العبادة، ظلت لقرونٍ وقرونٍ تشد شعب الرب بعيدًا عن إلهه الحقيقي ليتعبد لها!

الفلسطيون وشعب الرب

ويرى كثيرون أن نزوح الفلسطيين إلى "فلسطين" كان مواكبًا للخروج فوصلوا قبل وصول شعب الرب لكنعان بحوالي أربعين سنة (خروج ١٣: ١٧) إشارة لاسم المنطقة ولا يُفهم منه أن الفلسطيين كانوا قد استقروا في هذه البلاد (قارن عدد ١٤: ٢٥). كان ذلك في أواخر العصر البرونزي المتأخر (حوالي ١٢٠٠ق.م.) كما سبقت الإشارة، وهو العصر الذي اكتشفوا فيه أن إضافة بعض الزنك (الصفيح، الصاج) للنحاس يعطي النحاس شيئًا من الصلابة (البرونز).

ونلاحظ أن الفلسطيين عندما قيّدوا شمشون (في عصر القضاة) ربطوه بسلسلة من النحاس (قضاة ١٦: ٢١) وربما كان ذلك لأنه لم يكن

قد تم التحول من النحاس إلى الحديد، وإن كانت سلاسل النحاس قد استُخدمت فيما بعد (إرميا ٣٩: ٧). ثم جاء العصر الحديدي وأحدث ثورة كبيرة في مجال الصناعة والحروب والتجارة والزراعة... إلخ. وأصبح الحديد أغلى من الذهب. نعم أغلى من الذهب!

وكان الفلسطيون قد عرفوا كيفية استخلاص الحديد، بعد أن حاولت مملكة الحثيين (في الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى) أن تبقي عليها سرًا خاصًا لتحتكر تلك الصناعة. وربما كان سبب تعرف الفلسطيين على الحديد أنهم نزحوا من الجزر اليونانية، ومن جزيرة كريت بصفة خاصة عن طريق آسيا الصغرى مرورًا بمملكة الحثيين. ثم توجهوا جنوبًا، إلى أن استقر بهم المطاف بصورة أو بأخرى في فلسطيا. ولم يكشف الفلسطيون لشعب الرب سر استخلاص الحديد ولا صناعته، ليجعلوا شعب إسرائيل تحت رحمتهم، لا من الناحية الحربية وحسب،

تابوت عهد الرب

بل حتى فيما يتعلق بالزراعة وتربية الماشية وما إلى ذلك. وهنالك فصل كتابي هام يوضح هذه الحقيقة وهو (١صموئيل ١٣: ١٩-٢٢).

وكانت لكل ذلك نتائج بعيدة المدى على شعب الرب. فابتعادهم عن الرب، أدى بهم إلى الهزيمة الكبيرة التي لحقت بهم في أفيق، وانتهاء دور شيلوه كمركز للعبادة، وضياع تابوت عهد الرب (١صموئيل ٤)، وأصبحت رقعة أرض الفلسطيين واسعة كبيرة والذي يقرأ سفر القضاة وسفر صموئيل الأول وما بعدهما من الأسفار التاريخية، لا يفوته أن يلاحظ كيف استخدم الرب الفلسطيين مرارًا وتكرارًا لامتحان شعبه وتأديبهم وإرجاعهم إليه (راجع قضاة ٣: ٤). وإزاء كارثة ضياع تابوت عهد الرب، ووقوعه في يد الفلسطيين طالب الشعب صموئيل بإلحاح أن يقيم لهم ملكًا! وهكذا ظهرت صفحة جديدة في تاريخ شعب الرب ظلت ترافقهم لعدة قرونٍ.

آخر صفحة في تاريخ الفلسطيين كشعب

لا يتسع المجال لتتبع تاريخ الفلسطيين خلال القرون الطويلة؛ فقد كان موقعهم الجغرافي من الخطورة بحيث إنهم تعرضوا لضم أراضيهم مرات كثيرة لهذه الإمبراطورية

أو تلك المملكة، ولكنهم نجحوا لفترة طويلة في الاحتفاظ بكيانهم كشعب متميز. وغزا نبوخذ ناصر والجيوش البابلية أشقلون في سنة ٦٠٤ ق.م. وأسروا قادتها وأهم مواطنيها وذهبوا بهم إلى بابل (إرميا ٤٧: ٥-٧)، وحدث معهم شيء مماثل لما حدث لمملكة إسرائيل كما ستأتي الإشارة. ومع ذلك يبدو أن الكيان الفلسطيني استمر من خلال "المدن" الفلسطينية الحصينة الأخرى.

إلا أنه عندما غزا الإسكندر الأكبر دول الشرق، سقطت غزة في يده في سنة ٣٣٢ ق.م. بعد حصار شديد. وترتب على الحركة الهلينية المصاحبة لإمبراطورية الإسكندر الأكبر وما بعدها أن امتصت الشعوب الأخرى جماعة الفلسطيين في كيانها. فتغيّرت أسماء مدن الفلسطيين إلى أسماء يونانية، فأصبحت أشقلون مثلًا أسكالون، وأشدود أزوتوس وهكذا... فنقرأ في أعمال الرسل ٨: ٤٠ عن فيلبس في أشدود (باليونانية أزوتوس) وما كان يمكن لهذا أن يحدث ويدوّن بهذه البساطة لو كانت أشدود ما زالت فلسطية. وهكذا اندثر الفلسطيون كشعب وانتهى تاريخهم.

وعندما قُسِّمت إمبراطورية الإسكندر الأكبر بين قادته، أصبحت رقعة الأرض التي كان يسكنها الفلسطيون والبلاد المجاورة لها شرقًا ومنها أورشليم وما حولها جزءًا من دولة البطالمة واستمرت كذلك لفترة طويلة حتى ضعفت دولتهم وقويت دولة السلوقيين، فاستولوا على نفس تلك المنطقة (في سنة ١٩٨ ق.م.) ثم أصبحت تحت حكم المكابيين من عام ١٦٧ ق.م. إلى أن جاء الحكم الروماني على يد بومبي في عام ٦٣ ق. م.

وتلى ذلك حكم أسرة هيرودس (جماعة الملوك الذين أُطلق على غالبيتهم اسم هيرودس **Herods**). وقبل ميلاد المسيح بقليل كان هيرودس الكبير قد أصبح ملكًا على منطقة واسعة ضمنها فلسطين (بالمعنى الواسع كما نستخدمه اليوم) وقد منحه مجلس الشيوخ الروماني ذلك. إلا أنه عند موته انقسمت المملكة إلى أربعة أقاليم كل منها يُطلق عليه اسم "ربع" (**Tetrarch**) يرد ذكرها تفصيلًا في (لوقا ٣: ١). إلا أن الإمبراطور أغسطس عزل أرخيلاوس (وهو الذي كان يحكم منطقة اليهودية والسامرة وأدومية) -وكلها جزء من فلسطين بالمعنى الواسع- وعيّن بدلًا منه ولاة يحكمون البلاد باسم الدولة الرومانية وكان بيلاطس أحد هؤلاء (عام ٢٦-٣٦م).

ودمر تيطس الروماني أورشليم والهيكل في عام ٧٠م بعد ثورة يهودية استمرت من عام ٦٦-٧٠م. وبعد تجدُّد ثورة اليهود بقيادة (بار كوكبا **Bar Co-chba** ما بين عامي ١٣٢-١٣٥) وإخمادها، أُعيد بناء أورشليم باسم جديد (**Aelia-Capitoli-na** على ألا يسمح لليهود بتاتًا بالدخول إليها. وهكذا انطوت صفحة تسمية إقليمي اليهودية والسامرة وما إليهما سواءً من الناحية الدينية أو السياسية

أو غيرها. وتلى ذلك استخدام اسم فلسطين رسميًّا لأول مرة في سنة ١٣٨م. واتسع نطاق هذه التسمية واستمر بصورة أو بأخرى في أيام الإمبراطورية الرومانية ثم الإمبراطورية البيزنطية حتى العصر الحديث، وبالمفهوم المعاصر.

الأرض التي تعطي الشعب اسمهم

إلا أنه كان طبيعيًّا أن اندثار الفلسطيين كشعب، وكل الأحداث التي أشرنا إليها إشارة موجزة، جعلت اسم فلسطين اليوم كبلاد، وإن كان يستمد جذوره من اسم الفلسطيين، وبلادهم فلسطيا، برقعتها المحدودة، يأخذ صورة أخرى، وأصبحت فلسطين تشمل مساحة جغرافية كبيرة، أوسع كثيرًا من الرقعة الساحلية التي بدأ الفلسطيون بها.

وهكذا أصبح اسم سكان فلسطين "الفلسطيين" وبذلك، فبعد أن اكتسبت الأرض اسمها: بلست (فلست/ فلسطيا) من اسم من نزحوا إليها: الفلسطيون، إذا بالأرض تضفي اسمها على سكانها الجدد فلسطين: الفلسطينيون.

وليس من أهدافنا الآن أن نتتبَّع أمر القبائل والشعوب التي نزحت أو عاشت في فلسطين ولكننا نكتفي بتأكيد الحقيقة الثابتة وهي أن الشعب الفلسطيَّ الذي تحدث عنه العهد القديم كشعبٍ متميزٍ نزح من كريت، ليس هو شعب فلسطين اليوم. فالفلسطينيون اليوم ليسوا سلالة فلسطيِّي الأمس.

مثال آخر

ولعله يحسن بنا أن نتذكر أن مملكة إسرائيل التي كانت تتكون من عشرة أسباط وكانت عاصمتها السامرة انتهى أمرها تمامًا سنة ٧٢٢ ق.م. ويبدو أن الفلسطيين كان لهم دور في ذلك (إشعياء ٩: ١٢) وسجل هذا موجود في الفصل السابع عشر من سفر الملوك الثاني. ويقول الكتاب المقدّس بصريح العبارة: "فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَّاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ سِبْطُ

أسباط إسرائيل

يَهُوذَا وَحْدَهُ... فَرَذَلَ الرَّبُّ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ، وَأَذَلَّهُمْ وَدَفَعَهُمْ لِيَدِ نَاهِبِينَ حَتَّى طَرَحَهُمْ مِنْ أَمَامِهِ... نَحَّى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَمَامِهِ... فَسُبِيَ إِسْرَائِيلُ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَشُّورَ... وَأَتَى مَلِكُ أَشُّورَ بِقَوْمٍ مِنْ بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَّا وَحَمَاةَ وَسَفَرْوَايِمَ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ عِوَضًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مُدُنِهَا" (٢ملوك ١٧: ١٨، ٢٠، ٢٣-٢٤) فاندثر إسرائيل كشعب وغاب تاريخ الأسباط العشرة عن الأنظار تمامًا منذ ذلك التاريخ واختلطوا بالشعوب المختلفة -سواء مَنْ سُبِي منهم إلى أشُّور أو من بَقَوا في السامرة وما حولها. ولذلك يوضح لنا العهد الجديد أن "اليهود (غالبًا نسبةً ليهوذا؟) لا يعاملون السامريين" (يوحنا ٤: ٩) (أي لا يستخدمون آنية مشتركة للطعام والشراب).

ثم أن مملكة يهوذا انتهت عام ٥٨٦ ق.م، وسُبِي الشعب إلى بابل (٢ملوك ٢٤: ١٦؛ ٢٥: ١١) وكان الفلسطيون موجودين في أرضهم (فلسطيا). ثم عاد شعب الرب على دفعاتٍ،

مملكتا يهوذا وإسرائيل بعد الإنقسام

ونقرأ سِجِلَّ ذلك في سفري عزرا ونحميا، ثم أسفار حجي وزكريا وملاخي. عادوا كأمة صغيرة، والفلسطيون لازالوا في بلادهم وكانوا يناوئون شعب الرب (فالأشدوديون نحميا ٤: ٧ فلسطيون). إلى أن جاء غزو الإسكندر الأكبر ثم الإمبراطورية الرومانية وبومبي وخراب أورشليم... وتغيّرت الأوضاع تمامًا بالنسبة للجميع كما سبق أن رأينا.

نتائج هامة

أما بعد... فإن هذه الدراسة تضع أمامنا بعض النتائج الهامة أشير إلى ثلاث منها:

١- حيث إن الفلسطيين الذين يرد ذكرهم في العهد القديم قد انتهى أمرهم كشعب حتى قبل الميلاد، وحيث إن كل من سكنوا أرض فلسطين بعد ذلك أُطلق عليهم اسم الفلسطينيين... حتى تبلورت الشخصية الفلسطينية بالصورة التي عليها اليوم، لذلك يجب أن نقرا العهد القديم اليوم من دون أية حساسياتٍ سياسيةٍ معاصرة، ففلسطيُّو العهد القديم هم

غير الفلسطينيين اليوم.

٢- إن كافة الترجمات العربيّة حتى اليوم، تستخدم كلمة الفلسطينيين عن شعب أرض فلسطين في العهد القديم. ولا شك أن هذا يقود القارئ إلى شيء من إساءة فهم الحقيقة بصورة أو بأخرى، سيَّما أن الحديث عن الفلسطينيين اليوم حقيقة تتردد أصداؤها بصفةٍ مستمرةٍ، لذلك أرى أن تستخدم الترجمات العربيّة للعهد القديم كلمة الفلسطيين أو أية كلمة مشابه "الفلسطايين مثلًا" بدلًا من كلمة الفلسطينيين لتجنب أي لبس. وكذلك استخدام كلمة "فلسطيا" مثلًا بدلًا من فلسطين للتعبير عن رقعة الأرض التي سكنها الفلسطيون قديمًا وهي أصغر بكثير من فلسطين اليوم (مثلًا خروج ١٥: ١٤؛ ٢٣: ٣١).

٣- إن حقيقة اندثار بعض الشعوب التي يتحدث عنها العهد القديم، أو حلول بعض الشعوب مكان شعوب قديمة -سواء بالاسم القديم أو بغيره- يجب أن تدفعنا إلى الحذر الشديد ونحن نحاول أن نتفهم، أو نفسر، نبوءات العهد القديم بالنسبة لعصرنا الحاضر. فكل كتابات الأنبياء بشأن الفلسطيين يجب أن ندرسها ونتفهمها من هذه الزاوية (مثلًا إشعياء ١١: ١٤؛ إرميا ٤٧: ١، ٤؛ حزقيال ٢٥: ١٥؛ صفنيا ٢: ٥؛ زكريا ٩: ٦).

ولا شك أن نفس الأمر ينطبق على شعب موآب، وبني عمون، وصيدون... إلخ. إن معاملات الرب اليوم -سواء بالبركة أو بغيرها- لا تتعلق ببقعة جغرافية، ببقعة من الأرض، في معزل عن شعب معين له سلوك معين وموقف معين أمام الرب.

ولذلك فعندما يتحدث العهد القديم مثلًا عن مصر فلا شك أن تلك النبوات ترتبط ارتباطًا وثيقًا بإطار معين. فالحديث عن نهر النيل مثلًا يرتبط بكلام فرعون بشأنه: "نَهْرِي لِي، وَأَنَا عَمِلْتُهُ لِنَفْسِي" (حزقيال ٢٩: ٣). وشعب مصر في ذلك العصر يختلف عن شعب مصر اليوم والحديث عن نهر مصر (تكوين ١٥: ١٨) يختلف عن الحديث عن نهر النيل (إشعياء ١٩: ٥-٨؛ خروج ٢٩: ٣-٥) وظروف النطق بالنبوات تغيّرت تمامًا. ومرة أخرى نقول إن الرب لا يتعامل مع موقع جغرافي، إنه لا يتعامل مع بقعة من الأرض، أو جبال أو أنهار بمعزل عن الشعب الذي يرتبط بها... إن علاقة الرب إنما هي بأشخاصٍ، من خلالهم تحل البركة، وبسبب تصرفاتهم قد تحل اللعنة. وبعيدًا عن هذا الإطار نتخبط في تفسيرات للنبوات لا طائل تحتها. كما أننا نجد مواعيد الله مشروطة، ومثال ذلك قول الرب لإرميا النبي: "تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقَلْعِ وَالْهَدْمِ وَالإِهْلاَكِ، فَتَرْجِعُ تِلْكَ الأُمَّةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا عَنْ شَرِّهَا، فَأَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا. وَتَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْغَرْسِ، فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ، فَلاَ تَسْمَعُ لِصَوْتِي، فَأَنْدَمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قُلْتُ إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ. «فَالآنَ كَلِّمْ رِجَالَ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ قَائِلاً: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا

مُصْدِرٌ عَلَيْكُمْ شَرًّا، وَقَاصِدٌ عَلَيْكُمْ قَصْدًا. فَارْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيءِ، وَأَصْلِحُوا طُرُقَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ»" (إرميا ١٨: ٧-١١).

والنبي هو من يتحدث برسالة من الرب لشعب معين أو لشخص معين في موقف معين. والوظيفة النبوية ليست أساسًا للإنباء عن المستقبل، وكل حديث عن المستقبل إنما هو لتقديم رسالة تتلامس مُباشَرةً مع الحاضر. ولذلك فنبوات العهد القديم لم تأتِ لإشباع الفضول البشري عمَّا سيحدث لهذه البلاد أو لتلك بعد قرونٍ طويلةٍ، وإلا فإن رسالة الأنبياء وقت النطق بها لم تقدم أية رسالة لشعب الرب وهو يواجه المواقف العصيبة. وكيف نتصور أن شعبًا يأتي إلى الرب في رغبة عارمة لسماع صوته في موقف معين، قد يكون محيرًا مربكًا، وإذا به يكلمهم عن أحداث ستقع بعد آلاف السنين تتعلق بشعوب وبلاد ربما لم يعرفوا عنها شيئًا عندئذٍ، ولا صلة لتلك الأحداث أو البلاد بالواقع الذي يعيشونه. ومثال ذلك حديث البعض اليوم عن دول السوق الأوربية المشتركة والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي، باعتبار أن نبوات العهد القديم تحدثت عنها!

فهنالك من يحاولون أن يقرأوا في النبوات القديمة أشياء حديثة، بأن يكتشفوا مثلًا تشابهًا في الأسماء دون دراسة للمواقع المختلفة والشعوب التي كانت تسكنها عند النطق بهذه النبوات. فهناك مثلًا إشارات لروش وماشك وتوبال (حزقيال ٣٨: ٢؛ ٣٩: ١) يحاول البعض أن يعتبرونها حديثًا عن روسيا وموسكو وتوبالسك في الاتحاد السوفييتي اليوم! كل هذا في الوقت الذي يرى فيه جمهور كبير من مترجمي ومفسري الكتاب المقدّس أن كلمة روش (وهي التي تقابل وتعني كلمة رأس العربيّة) إنما تعني الحاكم الأعظم أو الرئيس الأعظم، أما إن أخذت بمعنى مكان معين فلا يوجد هناك مكان كان معروفًا باسم روش في أيام حزقيال النبي، أما ماشك وتوبال فكانت في ذلك الوقت أماكن معروفة ومحددة في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى (تركيا).

وأهم من ذلك كله أن التجسد بكل بركاته الروحية قد وضع كل نبوات العهد القديم في إطار جديد بمفاهيم جديدة ينبغي أن نفطن إليها. والحديث عنه هام وطويل ولا يمكن التعرض له في هذه العجالة عن الفلسطيين و ا لفلسطينيين .

(٢)
«إسرَإيل الله»
(غلاطية ٦: ١٦)

القسّ أمير إسحق

"**إسرَإيل**" ليس خطًا مَطبعيًّا، لأنَّني آثَرتُ، في هذا المقال، أن أستخدم ذلك الاسم بدل ما هو شائع عربيًّا "إسرائيل"، للتَّمييز بين الاسم الذي أُعطي ليعقوب، أبي الأسباط، ثمَّ لشعب العهد القديم، وبين الدَّولة الصّهيونيَّة المُحتلَّة للأراضي الفلسطينيَّة. حيث إنَّ الاسم العبريّ יִשְׂרָאֵל مُركَّب من مَقطعَيْن، ويُمكن ترجمته: "يِسْراإيل، أو يِسْرَإيل، أو يِسْرَئيل". أمَّا المقطع الثَّاني منه אֵל أيْ "إيل". ونحن نحذو في ذلك حذو التَّفسير العربيّ المعاصر للكتاب المقدّس، ونُميِّز "إسرَإيل" الكتاب المقدّس عن "إسرائيل" الدَّولة الصَّهيونيَّة، كما نُميِّز أيضًا بين الفلسطينيِّين والفلسطينيِّين، كما سنبيِّن.

استهلال:

كلَّما حدثت مشكلة في منطقة الشَّرق الأوسط، وكانت إسرائيل طرفًا فيها، ظهرَت على السَّطح الأسئلة والتَّوجُّهات نفسها، التي تُحاول أن تجد نصوصًا كتابيَّة تُلصِقها بالأحداث، وتربط بين نبوءات قديمة تُفرِّغها من سياقها، وبين أحداث عسكريَّة وتكتُّلات سياسيَّة. كثيرٌ من تلك التَّوجُّهات يُجانبه الصَّوَاب بسبب الخَلط بين ما هو دينيّ أو روحيّ، وما هو سياسيّ أو قوميّ.

بدايةً، أودُّ التَّشديد على أمرَيْن: الأوَّل، ما لَنْ أقدِّمه في هذا الكُتيِّب، وهو إصدار بيانات الشَّجْب والاستنكار والاستهجان للأوضاع المُتردية السَّيِّئة والمُسيئة للإنسانيَّة في الأراضي المُحتلَّة وفي غيرها. لأنَّ ذلك الشَّأن له رجاله من السِّياسيِّين. وفي الوقت نفسه، لن أُجيبَ عن كثيرٍ من الأسئلة ذات الأبعاد السِّياسيَّة أو التَّاريخيَّة التي تتعلَّق بطرَفيّ الصِّراع الفَلسطينيّ-الإسرائيليّ. الأمر الثَّاني، التَّأكيد على أنَّ إيمانَنا المسيحيّ لا تُمليه علينا ضرورات الحياة في عالمنا المُعاصِر، بل تزرعه في وجداننا كلمة الله. وأنا على ثقة بأنَّ هذا المقال ربَّما يدفع بعضًا إلى البحث والدِّراسة والاجتهاد، مِن أجل الوصول إلى الحقائق الكتابيَّة بالدَّرجة الأولى، إلى جانب الحقائق التَّاريخيَّة الصَّحيحة التي تخلو مِن التَّعصُّب والتَّطرُّف.

إنَّ ميدان المعركة في الأساس هو العقل البشريّ، وهو ما تُبيِّنه الكلمة التي استخدمها المسيح عند تحذيره تلاميذه من المخاطِر الفكريَّة والعقائديَّة، أيّ كلمة "**يُضِلُّ**" (متَّى ٢٤: ٢٤)، مُشيرًا إلى ساحَة الصِّراع. ذلك ما تجتهد وسائل الإعلام المُتعدِّدة في السَّيطرة عليه، أي العقل والفِكر. لذلك، نحن أسرى، بشكلٍ ما، لوسائل الإعلام وما تَبُثّه من معلوماتٍ وأخبارٍ مُوجَّهة، إلى عيوننا ومَسامعنا، وبالتَّالي إلى عقولنا بالأساس، لأنَّها تهدف إلى صياغة التَّوجُّه الجماهيري العامّ. وتفعل ذلك باتِّجاهَيْن فكريَّيْن: الأوَّل دفاعيّ، لتحصين الجَبهة الدَّاخليَّة،

وتثبيت المفاهيم والدَّعائم لصَدِّ أيَّة مُحاولة للاختراق. الثَّاني هجوميّ، لمواجهة الطَّرَف المُعادي وجماهيره ومؤيِّدوه، في الدَّاخِل والخارج، لاختراقهم فِكريًّا وزعزعة مُعتقداتهم وتغيير مَفاهيمهم وأهدافهم. ولَيْتَ أبناء النُّور يتعلّمون تلك الحكمة مِن أبناء هذا الدَّهر، في إدارة الصِّراع الفِكريّ والحضاريّ لصالح إنجيل المسيح (لوقا ١٦: ٨).

أمّا ما سأتناول الإجابة عنه بالدَّرجة الأولى هو السُّؤال القديم المُتجدِّد: "مَن هو إسرائيل؟ ومَن هم الفلسطينيُّون؟ وما علاقة هؤلاء وأولئك بأحداث ونبوءات الكتاب المقدّس؟"

في عظةٍ تعليميّة أشار الصَّديق القسّ حمدي سعد إلى أربعة مَشاهِد كتابيَّة لاستخلاص إجابة السُّؤال الأوَّل المطروح: إسرائيل الفرد، إسرائيل الأمَّة، إسرائيل في النُّبوءة، إسرائيل الحقيقيّ. وفي كتابه: "الكتاب المقدّس والصّهيونيَّة" فنَّد القسّ محسن نعيم الادِّعاءات المُتطرِّفة التي تُحاول أن تربط بين دولة إسرائيل الحاليَّة وأمَّة إسرَإيل في العهد القديم، لتبرير ما تقوم به الصّهيونيَّة في الأراضي المحتلَّة، على أنَّه تحقيقٌ لنبوءات كتابيَّة. مؤكِّدًا بأدلَّة قويَّة أنَّ تلك النُّبوءات قد تمَّت حرفيًّا تاريخيًّا. وفي مقاله الأكاديميّ "الفلسطيُّون والفلسطينيُّون" بَيَّن طيِّب الذِّكر الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس الفرق بين اللَّفظَين والشَّعبَيْن. ذلك بالإضافة إلى كتابَيْن على درجةٍ مِن الأهمِّيَّة في هذا الشَّأن: الأوَّل (لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟) للدكتور القسّ رياض قسيس؛

والثَّاني (المجيء الثَّاني للمسيح ونهاية التَّاريخ) لطيِّب الذِّكر الدكتور القسّ مكرم نجيب. أمَّا أقدَم ما كُتِب في هذا الشَّأن فهو كتاب طيِّب الذِّكر الدكتور القسّ غبريال رزق الله: "مَن هو إسرائيل؟" تلك هي المصادر الأساس التي أعانَتني في إعداد هذا المقال، الذي أتناول فيه ستّ أفكارٍ:

١. إسرَإيل الله.
٢. إسرائيل الصّهيونيَّة.
٣. فلسطيُّون وفلسطينيُّون.
٤. أرض الموعد.
٥. الشَّعب المُختار.
٦. إنجيلي مشيخي عربيّ.

أولًا: إسرَإيل الله

يأتي هذا الاسم للمرَّة الأولى مُقترنًا بمعناه (تكوين ٣٢: ٢٨) "لأنَّك جاهَدتَ مع الله والنَّاس وقدِرتَ". فهو ليس اسم علَم لذات أو لشخصٍ، بل لقَبٌ أُعطِي ليعقوب. وهو مُركَّب من كلمتَيْن عبريَّتَيْن: الأولى "يِسرَا" وهي فِعل، إشارة إلى ما فعله يعقوب، ويعني ما يقوم

به صاحب المروءة والشَّرَف والسَّخاء، ويصِل بصاحبه إلى مرتبة سَرَوات القَوم، الأمير، ويُعطيه حقَّ الرِّياسة والسِّيادة. الكلمة الثَّانية "إيل" أيّ اللّه. وبذلك يكون المعنى: "الذي يقوم بالعمل الشَّريف فيعطيه حقَّ السِّيادة، جاعِلًا خضوعه بالأساس لسيادة اللّه وإرادته السَّامية".

وهكذا تغيَّر اسم "يعقوب" إلى "**إسرَإيل**" (أمير اللّه). هُما لقَبان لشخصٍ واحد، وما أبعد الفارق بينهما. حدَثَ ذلك التَّغيير عندما كان يعقوب راجِعًا من عند خاله لابان، ودخل في صراع مع ذلك الإنسان العجيب حتَّى تغيَّر اسمه ونال بركة بحسب إلحاحه (تكوين ٣٢: ٢٦-٢٨). أمَّا تلك البركة فكانت هي اللَّقب الجديد "**إسرَإيل**"، الغالِب الشَّريف مرفوع الرَّأس، في تأكيدٍ على علاقته الحميميَّة مع اللّه.

إلَّا أنَّ الصُّورة تغيَّرت كثيرًا في الإصحاح التَّالي (تكوين ٣٣: ١-٣)، حيث نجد يعقوب، بعد نَيْله تلك البركة، يُخطِّط لملاقاة أخيه عيسو، وإذ كان خائفًا منه، فقد سجَد سَبع مرَّات إلى الأرض للقاء أخيه. مُناقِضًا بذلك، وعلى وجه السُّرعة، ذلك اللَّقب الشَّريف الذي ناله "إسرَإيل"، ففَقد تلك البركة ودنَّس ذلك الاسم. هنا عامِلان يتنازَعان: "الخوف في يعقوب" و"المحبَّة والسُّموّ في إسرَإيل"، وهذان ضِدَّان لا يجتمعان، وعدوَّان لا يتصالحان، لأنَّه "لا خوف في المحبَّة، بل المحبَّة الحقيقيَّة تطرَحُ الخوفَ إلى خارج" (١يوحنا ٤: ١٨، ١٩). فرُغم أنَّ اللّه أحَبَّ يعقوب كما أعلَن صراحةً (رومية ٩: ١٣)، ورُغم سُموِّ البركة التي شملته بتغيير اسمه، إلّا أنَّه لم يتغيَّر، ولم يكُن "إسرَإيليًّا حقًّا لا غِشَّ فيه"، كما قيل عن نثنائيل (يوحنا ١: ٤٧)، بل سقط على وجهه أمام أخيه مِن الخوف، ودنَّس لقب السِّيادة والشَّرف. فهل ينقُض اللّه عهده ويُسقِط كلمته؟ وهل يضيع شرف الاسم الجديد "إسرَإيل"؟ حاشا، لأنَّ "ليس جميعُ الذين مِن إسرَإيل هم إسرَإيليُّون، ولا لأنَّهم من نَسل إبراهيم هُم جميعًا أولاد" (رومية ٩: ٦-٨).

وكما ضاعت بركة ذلك الاسم على المستوى الفردي في (يعقوب)، ضاعت أيضًا على المستوى الجماعي، ذلك ما يُخبرنا عنه (خروج ٣: ١٠؛ ٣٢: ١-٦). هنا نجد أمَّة يعقوب/**بني إسرَإيل**، الذين كانوا حوالي ٢ مليون نسمة، عند خروجهم من مصر بقيادة موسى. كان أمرُ الرَّبِّ لموسى أن يقود (بني إسرَإيل) في الخروج لكي يعبدوه. ويقول عنهم: "إسرَإيل ابني البِكر". ولمَّا أخرجهم اللّه بطُرقٍ مُعجزيَّة، أعطى موسى الشَّريعة التي تُنظِّم تلك العبادة في كافَّة أبعادها. مُبتدئًا بالتَّحذير: "لا يكُن لكَ آلهةٌ أخرى أمامي...". إلَّا أنَّ موسى عندما نزل، بعد أربعين يومًا في الجبل مع اللّه، وجد الشَّعب يتعبَّد لعِجلٍ ذهبيّ! وكما نَسي إسرَإيل الفرد (يعقوب) امتيازه في لحظاتٍ أمام عيسو أخيه، كذلك نَسي (شعب إسرَإيل) أيضًا الرَّبَّ، وعبدوا العِجل بقيادة هارون.

إنَّه موقفٌ مُحزِنٌ جدًّا، فإنَّ إسرَائيل (الشَّعب/الأمَّة) لم يعُد إسرَائيل.

إذن، لقد ضاع ذلك الشَّرف وتلك السِّيادة على المستويَيْن الفرديّ (يعقوب)، والجماعيّ (الأمَّة)، فهل تسقط كلمة اللّه؟ حاشا، ذلك يأتي بنا إلى المُستوى النَّبويّ. فمَن الذي يُحقِّق هذا القول "إسرَائيل ابني البِكر"، الذي يقول فيه أيضًا: "مِن مصر دعوتُ ابني"؟ (خروج ٤: ٢٢، هوشع ١١: ١). يُجيب متَّى الرَّسول عن هذا السُّؤال في معرض حديثه عن طفولة يسوع، وتحديدًا عند عودته من مصر: "لكي يتمَّ ما قيل مِن الرَّبِّ بالنَّبيّ القائل من مصر دعوتُ ابني" (متَّى ٢: ١٥). كان هوشع النَّبيّ يتكلَّم عن إسرَائيل في إشارة جزئيَّة إلى تاريخٍ سابق، ونبوءةٍ مستقبليَّة. أمَّا متَّى، فإنَّه يُشير، في إشارةٍ كاملةٍ نهائيَّةٍ واضحةٍ كلَّ الوضوح، إلى المسيح بوصفه مُحقِّق تلك النُّبوءة، إنَّه: "**إسرَائيل الجديد، الحقيقي، الابن البِكر**". فهو وحده وليس سواه "بكرُ كلِّ خليقة.. بِكرٌ من الأموات.. بِكرًا بين إخوة كثيرين" (كولوسي ١: ١٥، ١٨، رومية ٨: ٢٩).

لذلك، دُعيَت كنيسة المسيح "كنيسة أبكارٍ مكتوبين في السَّماوات" (عبرانيِّين ١٢: ٢٣). وكما تأكَّد أنَّ المسيح هو إسرَائيل الحقيقيّ، يؤكِّد الكتاب على كنيسته وشعبه الجديد، وينتقِل بنا من المستويَيْن الفرديّ (يعقوب)؛ والجماعيّ (الأمَّة)، إلى المُستوى النَّبويّ (المسيح)، وأخيرًا إلى المُستوى التَّطبيقي الذي يعنينا (الكنيسة). في هذا يقول بولس: "ليس الذين من إسرَائيل هم إسرَائيليُّون..." (رومية ٩: ٦-٨). لأنَّ "اليهودي في الظَّاهر ليس هو يهوديًّا..." (رومية ٢: ٢٨)، و"لأنَّه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ولا الغُرلة، بل الخليقة الجديدة". لذلك، "فكلُّ الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة، وعلى إسرَائيل اللّه" (غلاطية ٦: ١٥، ١٦)، أي سلامٌ على **إسرَائيل** الذي بحسب اللّه وقصده، مثل قوله "إنسان اللّه" في (٢تيموثاوس ٣: ١٧)، إي الإنسان بحسب قصد اللّه، والذي يريده اللّه. كلُّ ذلك صدًى لما قيل لإبراهيم قديمًا: "عهدي معك... تكون أبًا لجمهورٍ من الأمم" (تكوين ١٧: ٤، ٥ مع رومية ١١: ١٧؛ أفسس ٢: ١٢، ١٣؛ ٣: ٦).

أمَّا أولئك، الذين وُلِد المسيح منهم حسب الجسد، الذين قال فيهم يوحنا: "إلى خاصَّته جاء وخاصَّته لم تقبله" (يوحنا ١: ١١)، فقد أبغضوه ورفضوه وأبغضوا أباه أيضًا (يوحنا ١٥: ٢٤، ٢٥ مع مزمور ٦٩: ٤). بل لم يقف عنادهم عند ذلك الحدِّ، بل تعدَّى الأمر إلى أنَّهم "قتلوه مُعلِّقين إيَّاه على خشبة" (أعمال ٥: ٣٠ مع متَّى ٢٧: ١٥-٢٦). ورُغم كلِّ ما فعلوه به، إلَّا أنَّه بقي مُحافِظًا على تلك المأموريَّة الخاصَّة، لكن بالطَّريقة التي بيَّنها المسيح في مثَل المدعوِّين إلى وليمة العُرس (متَّى ٢٢: ١-١٤). فهم الذين دُعوا أوَّلًا، بحسب المثل، وبحسب الواقع الذي أتاه الرُّسل "كان يجب أن

تُكلَّموا أنتُم أوَّلًا بكلمة اللّه" (أعمال ١٣: ٤٦).

ومع حفظه تلك المأموريَّة الخاصَّة، بذلك التَّرتيب الزَّمنيّ، حَكَم حُكمًا قضائيًّا على تلك الأمَّة اليهوديَّة في نبوءةٍ تمَّت (متَّى ٢٢: ٧؛ ٢٣: ٣٤-٢٤: ٢). لقد غضِب الملك وأرسَل جنوده وأهلك أولئك الذين قتلوا ابنه، وأحرَق مدينتهم (بحسب المثَل). وكان جنودُ غضَبِه في ذلك هُم النُّسور الرُّومانيَّة التي تُعبِّر عن قوله: "حيثُ تكون الجُثَّة هناك تجتمعُ النُّسُور" (متَّى ٢٤: ٢٨، لوقا ١٧: ٣٧). حيث أصبحت تلك الأمَّة بعد أنْ انشقَّ حجاب الهيكل مِن فوق إلى أسفَل، وزوال المجد من إسرَائيل، وإبطال العبادة الطَّقسيَّة اليهوديَّة، أصبحَت تلك الأمَّة جُثَّة هامِدةً لا حياة فيها. فأرسل الملك النُّسور الرُّومانيَّة لإتمام الخراب، فأحاطوا بالمدينة وهدموها وبنيها فيها، وأحرقوا الهيكل، وتشتَّت ذلك الشَّعب، وانتهَت علاقة تلك الأمّة باللّه، كأمَّةٍ خاصَّة، وانتهى دورها الدِّينيّ، وأصبحت كسائر أمم الأرض.

ثانيًا: إسرائيل الصّهيونيَّة

"اليهودي" هو مَن يَدين بالدِّيانة اليهوديَّة. "الصّهيوني" هو مَن يدعم الأيديولوجيَّات الصّهيونيَّة، التي نشأت في بداية القرن العشرين، وتدعو إلى تأسيس حُكمٍ يجمَع اليهود المشتَّتين مِن كلِّ العالَم لاستيطان فلسطين بالقوَّة، وإقامة دولةٍ يهوديَّة باسم "إسرائيل". أمَّا "الإسرائيلي" فهو المواطن اليهوديّ الذي يسكن أرض فلسطين المحتلَّة.

تُحاول الدّعاية الصَّهيونيَّة دائمًا تصوير الغَزو الصّهيونيّ الإسرائيلي على فلسطين على أنَّه امتدادٌ لوجود بني إسرَائيل في تلك الأرض، وهي دعاية ساقطة، لأنَّ الجماهير التي أتَت بها الحركة الصّهيونيَّة، هي من جماعات يهوديَّة لا يجمعها سوى الوحدة الدِّينيَّة المزعومة، وليس الوحدة القوميَّة. بدليل الفوارق بين اليهوديّ الغربيّ واليهوديّ الشَّرقيّ.

أمَّا الصَّهيونيَّة **الدِّينيَّة** فهي التَّيَّار الدِّيني الذي ظهَر في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّامن عشر الميلاديّ، ودعا إلى استيطان فلسطين لإقامة الشَّريعة اليهوديَّة، على أنَّ العمل بالمُمارسات اليهوديَّة شرطٌ أساسٌ لتحقيق مملكة الكهنة والأمَّة المقدّسة على أراضيها. وأمَّا الصّهيونيَّة **السِّياسيَّة** فقد ارتبطَت باسم (هرتسل) الذي كان مُقتنعًا بضرورة توفُّر شروط وضمانات سياسيَّة، بالحصول على اعترافٍ علنيٍّ مِن إحدى الدُّول الكبرى المَعنيَّة بفلسطين، بالموافقة على هجرة اليهود إلى فلسطين، وتأسيس الدَّولة اليهوديَّة على أراضيها، ثمَّ تبدأ عمليَّة تهجير اليهود مِن كلِّ العالم.

وقد شهد النِّصف الأخير من القرن التَّاسع عشر تطوُّرًا في مفهوم اليهود عن مجيء المسيح (وهو بالنِّسبة لهم المجيء الأوَّل). تَمَثَّل ذلك في فتاوى بعض الرَّبيِّين اليهود، التي مَهَّدَت لظهور الصّهيونيَّة **السِّياسيَّة** بقيادة (هرتسل) ١٨٩٧م، من ناحية.

كما ساهَمَت في دَعم الجهود الاستعماريَّة في فلسطين، من ناحية أخرى. حيث قدَّموا شرطًا جديدًا لظهور المسيح المُنتظَر يتمَثّل في ضرورة هجرة أعداد كبيرة من اليهود إلى فلسطين لاستعمارها والاستقرار فيها، مُدّعين أنَّ ذلك يمثِّل خطوة مهمَّة في طريق تحقيق مملكة الخلاص المسيانيَّة بكلِّ ما تتضمَّنه من سيادة وسيطرة. وقد عُرِف ذلك التَّيَّار فيما بعد بالصّهيونيَّة **الدِّينيَّة**.

انقسم ذلك التَّيَّار إلى اتِّجاهَيْن: الأوَّل يقول إنَّ الخلاص السَّماوي على يَد المسيَّا يعتمِد على الرَّبِّ وحده مِن دون تدخُّلٍ بشريّ. أمَّا الاتِّجاه الثَّاني فيقول: إنَّ ذلك الخلاص يسمَح ببَدء الجهود البشريَّة اليهوديَّة في استعمار فلسطين، ما يعني ضرورة التَّمهيد البشريّ لمجيء المسيَّا، مِن دون الاعتماد على العناية الإلهيَّة وحدها. وعليه، قالوا: "إذا حقَّقنا الخلاص لتلك الأرض، سيؤدِّي ذلك إلى ظهور ضَوء الخلاص من السَّماء... لقد انقضى ما يقرُب من ألفيّ عام، منذ تَشتُّتنا عام ٧٠م، ونحن ننتظِر مجيء المسيَّا الذي يُخلِّصنا من سَبْيِنا المرير، ويجمَع إخواننا المشتَّتين في أركان الأرض الأربعة، حيث نعيش هناك تحت رعايته، ويعيش كلّ يهوديّ تحت تينَته وكَرْمَته، هذا إيمانُنا وأمَلنا الذي أعرَبَ عنه أنبياؤنا وحُكماؤنا، وهو ما يتمسَّك به شَعبنا"، ذلك بحسب زعمهم.

وعليه، بدأت الحركة الصّهيونيَّة، التي كانت في الأساس لتخليص أوربَّا من اليهود وممَّا سبَّبوه من مَتاعب، على نحوٍ سريع. فكان الهدف هو إقامة دولة صهيونيَّة في أيَّة بُقعَة جغرافيَّة، ووقع الاختيار على فلسطين، مدعومًا بالرَّأي الدِّينيّ السَّابق ذكره. وهكذا بدأوا يفسِّرون النُّصوص الدِّينيَّة لأجل أهدافٍ سياسيَّة، ويُضيفون صَبغة دينيَّة على توجُّهاتهم السِّياسيَّة.

ارتبط ذلك الاتِّجاه الصّهيوني الدِّينيّ بتيَّارٍ مسيحيّ ظهر في منتصف القرن التَّاسع عشر، هو التَّيَّار التَّدبيري، الذي يعتمد التَّفسير الحَرْفيّ لنصوص ونبوءات الكتاب المقدّس، ورَبْطها بالأحداث السِّياسيَّة المُتغيِّرة، ويخلط بين ما هو مسيحيّ وباقٍ، وما هو يهوديّ وانتهَى دوره، كما أوضَحنا. وعليه، يرون (مِن دون أن يُعلِنوا ذلك) أنَّ المسيحيَّة طائفةٌ يهوديَّة، وأنَّ مجيء المسيح الأوَّل كان مِن أجل الأمم، أمَّا مَجيئه الثَّاني فسيكون من أجل اليهود، وبالعقيدة اليهوديَّة نفسها المُتعلِّقة بالحرب والقوَّة والعُنف، وأنَّه سوف يُملِّك إسرائيل في أرض الموعد، ويجعلهم أسياد العالم، وبذلك تعود المسيحيَّة إلى الشَّجرة الأمِّ. ذلك الاعتقاد، فضلًا عن عدم منطقيَّته الحضاريَّة إذْ يتَّسم بالعُنصريّة، فلا أساس له في تعليم المسيح الذي أكَّد على أبوَّة الله لجميع البشر، وأنَّ محبَّته للجميع مِن دون أيِّ تمييزٍ عنصريٍّ أو جنسيّ.

ثالثًا: فلسطينُّون وليسوا فلسطينيِّين

ندعو ونبتغي استخدام

اسم "**إسرَايِل**" للإشارة إلى شعب العهد القديم ودوره الدِّيني الذي انتهى، وليس "إسرائيل" التي تُشير إلى الدَّولة الصّهيونيَّة الاستعماريَّة الحاليَّة؛ كذلك استخدام اسم "**فلسطيُّون**" للإشارة إلى ذلك الشَّعب الوثنيّ الذي كان مُعاصرًا لأحداث العهد القديم، وليس "فلسطينيُّون" التي تُشير إلى الشَّعب الفلسطينيِّ العربيِّ الحاليّ.

أوَّل إشارة إلى "فلسطين" في الكتاب المقدّس في (تكوين ١٠: ١٤) "... الذين خرج منهم فِلِشْتيم وكفتوريم". الياء والميم في اللُّغة العبريَّة علامة الجَمع، يُقابلها في العربيّة الواو والنُّون. وعليه يُقال: "**فلسطيُّون**"، على اعتبار أنَّ حرف الشِّين في العبريَّة يقابله السِّين في العربيّة. هؤلاء الفلسطيُّون مِن نَسل حام (تكوين ١٠: ١٣، ١٤)، وعندما استوطَنوا أرض كنعان أصبح اسم الجزء الجغرافي الذي سكنوه باسم ذلك الشَّعب، أيْ "فلسطيا". ولم يستطيعوا أن يحتفظوا بلغتهم الأصليَّة، بل تبنَّوا لغة البلاد التي استقرُّوا فيها، ويُشير نحميا إلى ذلك (نحميا ١٣: ٢٤). واعتنقوا آلهة الكنعانيِّين، التي كانت تُقدِّم نموذجًا سيِّئًا في السُّلوك، وأهمّ آلهَتِهم: داجون، عشتاروث، وبعل زبوب. فشيَّدوا معابد لداجون في غزَّة وأشدود (قضاة ١٦: ٢٣، ١صموئيل ٥: ١-٧)، ولعشتاروث في أشقلون، ولبعل زبوب في عقرون (٢ملوك ١: ٣).

يرى كثيرون أنَّ نزوح الفلسطيِّين إلى فلسطين/ كنعان كان مواكِبًا لقصَّة خروج

بني إسرَائيل من مصر، ووصلوا إلى أرض كنعان قبلهم بحواليّ أربعين سنة. وكان لذلك نتائجه بعيدة المدى على شعب الرّبِّ، كما تشير نصوص عديدة في العهد القديم. بذلك نلاحظ كيف أنَّ الرَّبَّ استخدم أولئك الفلسطيُّون مرارًا لامتحان شعبه وتأديبهم وإرجاعهم إليه (قضاة ٣: ٤).

عندما غزا نبوخذ ناصَّر والجيوش البابليَّة أشقلون سنة ٦٠٤ ق.م، أسَروا قادتها ومواطنيها إلى بابل (إرميا ٤٧: ٤-٧)، مثلما حدث مع مملكة إسرَائيل. وعندما غزا الإسكندر الأكبر دول الشَّرق، سقطَت غزَّة في يده سنة ٣٣٢ ق.م، ومع انتشار الحركة الهلِّينيَّة المُصاحِبة لإمبراطوريَّته، امتصَّت الشُّعوب الأخرى جماعة الفلسطيِّين في كياناتها، فتغيَّرت أسماء المدن الفلسطيَّة إلى أسماء يونانيَّة، وهكذا اندَثر الفلسطيُّون. وبعد أنْ دمَّر تيطس الرُّومانيّ أورشليم سنة ٧٠م، استُخدِم اسم "فلسطين" للمرَّة الأولى سنة ١٣٨م. واتَّسع نطاق تلك التَّسمية واستمرَّ في أيَّام الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة، ثمّ البيزنطيَّة، حتَّى العصر الحديث بالمفهوم المعاصر.

رابعًا: أرض الموعد

أرض الموعد

تمثِّل أرض الموعد محبَّة اللّه الخاصَّة لشعبه وعنايته بهم في أمان وسلام وراحة، كما تُمثِّل بالأكثر صدق وعود اللّه بحضوره وسط شعبه وقيادته إيَّاهم من التَّغرُّب إلى الاستقرار. أمَّا المشكلة القائمة الآن فإنَّها لا ترتبط بفكرة وعد اللّه لليهود بامتلاكِ أرضٍ إلى الأبد وتحقيق وعده لإبراهيم، بل هي مسألة إنسانيَّة وسياسيَّة كبيرة ومُعقَّدة، تبيِّن مدى سيادة الظُّلم وزوال العدل وإهدار حقوق الإنسان.

أمَّا الوعد بامتلاكِ أرضٍ فلم يكُن هدفًا إلهيًّا أبديًّا في حدِّ ذاته، بل كان وسيلة مؤقَّتة مرحليَّة من أجل غاية روحيَّة أبديَّة، لا ترتبط بأرضٍ جغرافيَّة، بل بوطنٍ سماويٍّ أوسع وأشمل من أيَّة بقعة أرضيَّة. ذلك ما شدَّد عليه العهد الجديد بوضوح، أنَّ أرض الموعد ليسَت بقعة جغرافيَّة في فلسطين، بل هي الميراث الرُّوحي المحفوظ في السَّماوات للمؤمنين، بحسب قوله: "لميراثٍ لا يفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحلّ، محفوظٌ في السَّماوات لأجلكم..." (١بطرس ١: ٣-٥). فالقضيَّة ليست أن تكون القُدْس عاصمة أبديَّة لإسرائيل، بل الظُّلم والاعتداء

العسكريّ المتواصِل على الشَّعب الفلسطينيّ الأعزل.

لذلك، يُشدِّد اللاهوتيُّون على أنَّ أيَّ تفسير حَرفي للنُّصوص الكتابيَّة والوعود الإلهيَّة المتعلِّقة بأرض الموعد، هو بمثابة ارتداد من المسيحيَّة إلى اليهوديَّة. لأنَّ اعتبار أنَّ مملكة المسيح أرضيَّة هو ما يزال رجاء اليهود حتَّى اليوم. وهكذا، فإنَّ النَّظرة الصَّحيحة لـ(حزقيال ٤٠-٤٨) بخصوص الهيكل الجديد، يجب ألَّا تُفهَم وتُفسَّر اليوم إلَّا في نور العهد الجديد. فهو بذلك ليس البناء الحجريّ، بل جسد المسيح الرّوحيّ/ الكنيسة. في كتابه (الإنجيل والأرض في المسيحيَّة الأولى وعقيدة الأرض اليهوديَّة) يقول اللَّاهوتي دافيس: "إنَّ موضوع الأرض في العهد الجديد يجعلنا نفكِّر في موضوع يسوع المسيح، الذي بموته وقيامته، لم يكسر فقط حدود الموت، وإنَّما كسر حدود الأرض بالنِّسبة للمسيحيِّين". ذلك ما تحقَّق بكلِّ وضوح واكتمال في مجيء المسيح الأوَّل، حيث أصبحت أرض الموعد سماويَّة لا جغرافيَّة (يوحنا ١٤: ٣؛ عبرانيِّين ١١: ١٣-١٦؛ رؤيا ٢١: ٣-٤).

فرغم أنَّ الأرض كانت مُحتلَّة من قِبل الرُّومان، في زمن المسيح والرُّسل، إلَّا أنَّهم لم يُعلِّموا شيئًا بخصوص ذلك الوعد القديم بأرضٍ جغرافيَّة، بل أعطوا التَّفسير الجديد للموضوعات القديمة في أبعادٍ روحيَّةٍ وأخلاقيَّةٍ سامية، استنادًا إلى قيم الرَّحمة والعدالة والغفران والمحبَّة. ذلك ما أكَّده المسيح: "لأنَّ ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك أنفُس النَّاس، بل ليُخلِّصها" (لوقا ٩: ٥٦). وعليه، لم تكُن كرازته بأرضٍ موعودٍ بها، بل بملكوت الله (مرقس ١: ١٤، ١٥)، الذي يتحقَّق عندما تغزو محبَّة المسيح القلب البشري، فيملك الله على القلب مُتجاوزًا حدود الأرض الجغرافيَّة.

إذن، فالوعد بالأرض، بحسب (تكوين ١٢: ٧؛ ١٣: ١٤-١٥)، والذي أكَّده الرَّبُّ لإسحاق (تكوين ٢٦: ٣)؛ وليعقوب (تكوين ٢٨: ٤)؛ ثمَّ لموسى (خروج ٢٣: ٣١؛ تثنية ١: ٨)؛ ثمَّ ليشوع (يشوع ١: ٣-٤)، قد تحقَّق تاريخيًّا في ثلاث مراحل تاريخيَّة:

١- الأولى (١٤٠٠-١٣٠٠ ق.م.) بقيادة يشوع (يشوع ١١: ٢٣، ٢١: ٤٣-٤٥). "فأخذَ يشوع الأرض حسب كلِّ ما كلَّم به الرَّبّ موسى... فأعطى الرَّبُّ إسرَائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم، فامتلكوها وسكنوا بها".

٢- الثَّانية (٩٧٠-٩٣٠ ق.م.) أيَّام حُكم سليمان (١ملوك ٤: ٢١؛ ٢أخبار ٩: ٢٦). "وكان سليمان مُتسلِّطًا على جميع الممالك، من النَّهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر".

٣- الثَّالثة (بعد العودة من السَّبي ٥٢٠ ق.م.) بقيادة نحميا (نحميا ٩: ٧-٨، ٢٣-٢٤). "أنتَ هو الرَّبُّ الإله الذي اخترتَ أبرام وأخرجته... وقطعت معه العهد أن تعطيه أرض الكنعانيِّين والحثِّيِّين... وقد أنجزتَ وعدك لأنَّك صادق... وأكثرتَ بنيهم كنجوم السَّماء".

لقد تحقَّق وعد الله لإبراهيم على يد يشوع (تكوين ١٢: ١-٧؛ يشوع ١: ١١)، عندما غزوا أرض كنعان وامتلكوها (يشوع ١٠: ٤٠-٤٢؛ ٢١: ٤٣-٤٤). لكنَّهم عادوا وخسروها، عقابًا من الرّبِّ، لأنّهم لم يسلكوا حسب وصاياه. ذلك ما أكَّده دانيآل: "لكَ يا سيِّدُ البِرُّ، أمَّا لنا فخِزيُّ الوجوه، كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسُكَّان أورشليم، ولكلِّ إسرائيل، القريبين والبعيدين في كلِّ الأراضي التي طردتَهُم إليها، من أجل خيانتهم التي خانوكَ إيَّاها" (دانيآل ٩: ٧). وقد تنبَّأ بعض الأنبياء، مثل إرميا وحزقيال وعاموس، عن عودة الشَّعب اليهوديّ إلى الأرض التي وعد الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إرميا ١٦: ١٥؛ عاموس ٩: ١٤، ١٥؛ حزقيال ٣٦: ٢٢-٢٤). تلك النُّبوءات يجب ألَّا تُقرأ وتُطبَّق اليوم حرفيًّا، كما يفعل يهود اليوم وبعض المسيحيين السَّاذجين في فهم كلمة الله، وبالتَّالي، يجب ألَّا تُستخدَم بأيِّ حالٍ لتبرير غزو إسرائيل لفلسطين، بدعوى أنَّها حربٌ مقدَّسةٌ لتحقيق وعدٍ إلهيٍّ مقدَّسٍ بامتلاك أرض فلسطين. بل يجب ألَّا يُنظَر إلى تلك القضيَّة بعيدًا عن تعليم المسيح وفكر العهد الجديد، تلك التي لها وحدها السُّلطة الأعلى في تفسير نبوءات العهد القديم بشكل عامّ، وخاصَّةً تلك التي تتعلَّق بقضيَّة الأرض والوعد.

يجب العودة إلى نصوص العهد القديم في سياقها وليس بحرفيَّتها، والنَّظر إليها بمنظارٍ روحيٍّ وليس سياسيًّا، وكنسيٍّ وليس صهيونيًّا. ولا تُفهَم إلَّا في إطار فكر العهد الجديد، لأنَّه وحده مفتاح التَّفسير الصَّحيح للعهد القديم. وعليه، لا يُفهم الوعد بالأرض إلَّا بأنَّه وعدٌ بوطن سماويّ، الميراث المحفوظ في السَّماء، وليس المملكة الأرضيَّة.

أمَّا قضيَّة أرض فلسطين، فهي قضيَّةٌ أساس في عالمنا العربيّ. وأمَّا العهد القديم فإنَّ موضوع الأرض موضوعٌ محوريٌّ فيه، لأنَّه أحد أهمّ العناصر في العهدَيْن الإبراهيميّ والسِّينائيّ. والقاعدة الأساس في هذه القضيَّة هي أنَّ الأرض كلَّها للرَّبّ، ولا يستطيع أيّ شعب أن يدَّعي أنَّ له حقًّا في امتلاك أيَّة بقعة جغرافيَّة. ورغم أنَّ الأرض كلَّها للرَّبِّ وحده، إلَّا أنَّه وهبها للإنسان ليتعهَّدها ويستثمرها ويزرعها ويُعمِّرها ويسكنها. إذن، فالأرض، من جانب، هِبة من الله تعال، ومن جانب آخر هي هِبة مشروطة. وليس هناك تعارُض بين الهبة والشَّرط هنا. فعندما أُقدِّم لابني سيَّارة على سبيل الهديَّة، فإنِّي أشترط عليه أن يلتزم بقواعد السَّير وإشارات المرور، وإلَّا فإنِّي أستردُّها منه، حرصًا عل سلامته وسلامة الآخرين. ذلك ما نعنيه بأنَّ الأرض هبة إلهيَّة لكنَّها مشروطة.

لم يكُن امتلاك الأرض هو الهدف الأساس، بل الرَّاحة والاستقرار، بحسب قوله: "فأعطى الرَّبُّ إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم، فامتلكوها وسكنوا فيها. فأراحهم الرَّبُّ حواليهم حسب كلِّ ما أقسم لآبائهم..."

(يشوع ٢١: ٤٣-٤٤). لكنَّهم، حتَّى بعد عودتهم من السَّبي، لم يتمتَّعوا بتلك الرَّاحة (نحميا ٩: ٣٦). فكيف يتحقَّق الوعد بالرَّاحة؟ ومتى؟ ذلك ما يجيب عنه العهد الجديد. ذلك ما قاله المسيح (متَّى ٥: ٥) تأكيدًا لـ(مزمور ٣٧: ١١)، وأكَّده بولس أيضًا (غلاطيَّة ٣: ١٦، ٢٩) استنادًا إلى (تكوين ١٣: ١٥؛ ١٧: ٨؛ ٢٤: ٧)، وأكَّده أيضًا في (رومية ٤: ١٣) مُستخدمًا المُصطلحات نفسها للدَّلالة على نوع ما يرثه المؤمنون في العهد الجديد. فهو أوسع وأشمل بكثير من أرضٍ جغرافيَّة (أعمال ٢٠: ٣٢؛ ١كورنثوس ٩: ٦؛ غلاطيَّة ٥: ٢١).

أمَّا من جهة الأرض واستمراريَّة العهود، فقد اتَّسعت لتشمل جميع المؤمنين بالمسيح بأرضٍ جديدة يسكُن فيها البِرُّ (٢بطرس ٣: ١٣؛ رؤيا ٢١: ١). فبينما كانت أورشليم الأرضيَّة محطّ إسرائيل في العهد القديم، أصبحت أورشليم السَّماويَّة محطّ الكنيسة في العهد الجديد (عبرانيِّين ١٢: ٢٢؛ رؤيا ٢١: ٢). أمَّا سكَّانها فليسوا نسل إبراهيم الجسديّ، بل المؤمنون بالمسيح مِن كافَّة شعوب الأرض (رؤيا ٣: ١٢؛ ٢١: ٢٤ مع ٢كورنثوس ١١: ٢؛ رؤيا ٢١: ٢٠؛ ٢٢: ١٧).

لقد تحقَّق ذلك الوعد عندما طرَد الله شعوبًا من أمام إسرَايل وملَّكهم الأرض، ليس بسبب امتيازٍ لديهم، بل مُعاقبةً لتلك الشُّعوب التي كان شَرُّها قد وصَل إلى مداه (لاويِّين ١٨: ٢٤). وفي الوقت نفسه، أعلن الله بوضوح لشعبه وقتئذٍ أنَّهم في حالة عدم طاعتهم إيّاه، فسوف يُعاقبهم بالعقاب نفسه (لاويِّين ١٨: ٢٨-٣٠). كان تحقيق الوعد مشروطًا بطاعتهم، وعدم طاعتهم يقود حَتمًا إلى رفضهم من الوعد. وكثيرًا ما أعلن الله ذلك لهم (تثنية ٧: ٧-٩).

وهكذا أكَّد أنبياء العهد القديم أنَّ إسرَايل قد مارسَت العصيان، وأنَّهم لم يهتمُّوا بالعدل والحقِّ والرَّحمة، لذلك لم تتمكَّن مِن الاستمرار في التَّمتُّع بتلك الهبة الإلهيَّة (هوشع ٤: ١-٣؛ ٩: ١-٣؛ زكريا ٨: ١٤). كما لم تكُن رسالة الأنبياء لدينونة إسرَايل فحسب، بل للرَّجاء أيضًا. لذلك، تمكَّنوا من العودة إلى الأرض بقيادة عزرا ونحميا وزرُبَّابل. كان يجب أن تتزامَن تلك العودة إلى الأرض بالعودة إلى الرَّبّ وتحقيق إرادته.

أمَّا قوله: "مُلكًا أبديًّا" في صُلْب الوعد لإبراهيم (تكوين ١٣: ١٥، ١٧: ٨) فلا يعني "إلى الأبد" أو "إلى ما لا نهاية". لأنَّ الكلمة العبريَّة (عولام)، التي يُقابلها في اليونانيّة (آيون)، لا تعني بالضَّرورة إلى الأبد، بل تشير إلى فترة زمنيَّة طويلة ومَحدودة. لكنَّها تحمل المعنى الحَرفيّ فقط عندما تُنسَب إلى طبيعة الله، الأبديّ السَّرمديّ، أو إلى ملكوت المسيح، الذي ليس لمُلكه نهاية (قارن خروج ٢١: ٧؛ يشوع ٨: ٢٨). ذلك يعني أنَّ إسرَايل امتلك تلك الأرض "إلى الأبد" أيّ إلى فترة زمنيَّة طويلة مُحدَّدة، وقد انتهَت تلك الفترة بطردهم الأخير وتَشتُّتهم سنة ٧٠م. ما يعني أنَّ الوعد تحقَّق

حرفيًّا وتاريخيًّا. وبالتَّالي، فإنَّ أيّ ادِّعاءٍ صهيونيّ، بعد ذلك التَّاريخ، بأحقيَّة عودة اليهود إلى تلك الأرض وامتلاكهم إيَّاها تمهيدًا ودَعمًا لمجيء المسيح المنتظَر، أمرٌ سياسيّ بَحت، ولا أساس له في نصوص الكتاب المقدّس بعهدَيْه. وما قيل في وعد الله لإبراهيم يُقال بالمنهجيَّة نفسها في وعده لداود في شأن الهيكل.

وهكذا تشتَّت اليهود منذ عام ٧٠م. في كلِّ بقاع الأرض، وعُومِلوا فيها كمواطنين درجة ثانية. ويكفي أن نراهم في ألمانيا، بعد الحرب العالميَّة الثَّانية، حيث أعلَن هتلر في سبتمبر/أيلول ١٩٣٩م، أنَّهم السَّبب في تلك الحرب، فأعلَن حربه عليهم في كلِّ مكان في العالم، وأعلَن أنَّ إبادتهم هي الحلُّ الأمثَل لمشكلة العالم. أمَّا المُصلِح مارتن لوثر فقد سبق هتلر وبدأ هجومًا شديدًا على اليهود، لأنَّهم رفضوا دعوته إيَّاهم بالعودة إلى المسيحيَّة سنة ١٥٢٦م، فنادى باضطهادهم سنة ١٥٤٣م قائلًا: "ليتعلَّموا أنَّهم ليسوا أسياد بلادنا". أمَّا المُصلح جون كلفن، فإذْ كان أكثر موضوعيَّة في علاج الأمر، فإنَّه لم يستطِع أن يقبَلهم كما هُم، لذلك طردهم من المدن التي أخذت بالعقيدة الكلفينيَّة.

وبينما قاد "يشوع" العهد القديم الشَّعب العبرانيّ في غزو أرض كنعان وامتلاكها، فإنَّ "يسوع" العهد الجديد ما يزال يغزو القلوب بالحبِّ والغفران. بدأ ذلك الغزو، كما يخبرنا كتاب أعمال الرُّسل، وما يزال ينتشر ويستمرّ ويمتلك قلوبًا، ليس بالحرب بل بالحبِّ. وهكذا أراد المسيح أن يفهم التَّلاميذ أنَّه استبدَل المملكة الأرضيَّة، التي توارثوها من خلفيَّتهم اليهوديَّة، بملكوت الله الذي كرز به للجميع مِن دون استثناء. بذلك تكون أرض الموعد هي الميراث الرُّوحي المحفوظ في السَّماوات.

خامسًا: الشَّعب المُختار

العبارة العبريَّة (هاعم هنفخار) تمثِّل اعتقاد كثيرين من اليهود في العالم، أنَّهم وحدهم شعب الله المختار. والحقيقة أنَّ تلك مقولة أساسيَّة في الفِكر اليهودي بحسب (تثنية ١٤: ٢؛ لاويين ٢٠: ٢٤-٢٦). لذلك، فإنَّ اليهوديّ في كلِّ صلواته يشكُر الله لأنَّه اختار شعب اليهود مِن دون بقيَّة الشُّعوب، وأعطاهم التَّوراة علامة على تميُّزهم بين جميع الشُّعوب. وقد بنى اليهود ذلك الفِكر على مبدأ الحلوليَّة، أي أنّ الله حلَّ في ذلك الشَّعب بشكل خاصّ، فصاروا شعبًا مقدَّسًا وأبديًّا، نسبة إلى الإله الذي حلَّ فيهم. وعليه، يرى بعض حاخاماتهم أنَّ فكرة الشَّعب المختار تؤكِّد تميُّزهم على بقيَّة الشُّعوب، وانفصالهم وانعزالهم عن العالم. إلَّا أنَّهم رأوا أنَّهم من أصغر وأضعف الشُّعوب، ولم يكونوا بأيِّ حالٍ أكثر رُقيًّا وتفوُّقًا، وقد حلَّت بهم عدَّة هزائم انتهت بالسَّبي.

يرى بعضٌ منهم أنَّ الله لم يختَرهم فقط كشعب، بل كجماعةٍ دينيَّةٍ قوميَّة، يوحِّدها الفكر والعقيدة. وأنَّ الله عرض على جميع الشُّعوب حَمْل تلك العقيدة فرفضوها، لم يقبلها إلَّا اليهود وحدهم. فحوَّلهم

وعد الله لإبراهيم

ذلك الاختيار إلى أمَّةٍ مقدَّسةٍ ومَملكةِ كهنةٍ، تتداخل فيها العقيدة الدِّينيَّة مع القوميَّة. كما رأوا أنَّ ذلك الاختيار يدلُّ عل تفوُّقهم الأخلاقي، لأنَّهم أوَّل شعب يعبُد الله وحده.

أمَّا حقيقة ذلك الاختيار فإنَّه لم يكُن لامتيازاتٍ فيهم، بل على العكس، فإنَّهم أقلّ الشُّعوب. بل كان هدف ذلك الاختيار أن يكونوا خدَّامًا للرَّبِّ بين جميع الشُّعوب، وأداته في الإصلاح والمُصالحة. ورغم أنَّ فكرة اختيار الله جماعة من دون بقيَّة الجماعات فكرة تجِد صداها لدى كلِّ جماعة لها علاقة خاصَّة بالله، وأنَّهم مُختارون بشكلٍ ما، إلَّا أنَّ ذلك التَّيَّار الفِكري تعمَّق جدًّا في اليهوديَّة إلى درجة التَّطرُّف، مُكتسبًا أبعادًا عرقيَّة وقوميَّة.

يرى بعض اللاهوتيِّين المسيحيِّين أنَّ اليهود كانوا شعب الله المختار في العهد القديم، ولكنَّهم بسبب رفضهم المسيح أصبح المسيحيُّون هم شعب الله المختار. وتُعرَف هذه العقيدة بـ"الاستبداليَّة".

أمَّا وعد الله لإبراهيم بحسب (تكوين ١٢: ٢؛ ١٣: ١٦؛ ١٧: ١، ٢، ٦، ٧، ١٩؛ ٢٢: ١٧) فقد تحقَّق تاريخيًّا بولادة إسحاق. وقد تكرَّر الوعد نفسه لإسحاق (تكوين ٢٦: ٢-٥)؛ وليعقوب (تكوين ٢٨: ٤، ٣٢: ١٢). وقد أنجزه الرَّبُّ حيث كثُر الشَّعب جدًّا وصار عدده "كنجوم السَّماء في الكثرة... كثيرٌ كتُرابِ الأرض" بحسب ما أكَّده العهد القديم (تثنية ١: ١٠؛ ٢أخبار ١: ٩؛ ١ملوك ٤: ٢٠؛ نحميا ٩: ٢٣). لم يكُن ذلك الوعد عُنصريًّا مُقتَصرًا على شعبٍ دون سواه، بل عالميًّا يشمل "جميع قبائل الأرض". لا يكون فيه ذلك الشَّعب إلَّا أداةَ إعلانِ

الله عن نفسه لتلك الشُّعوب. ولمَّا لم يفهموا قصد الله، ولم يحقِّقوه، فقد رُفِضوا من قِبل الله، بينما استمرَّ الوعد لبركة جميع الأمم، مع تغيير الأداة مِن إسرَائيل الأمَّة، إلى إسرَائيل الله، الكنيسة التي تذهب إلى العالم أجمَع ببشارة إنجيل المسيح (متَّى ٢٨: ١٩).

في نظرة سريعة إلى الإصحاحات (رومية ٩-١١) نرى أنَّ بولس يؤكِّد على أمرَيْن: الأوَّل، لا مجال لتفوُّق إسرَائيل على الكنيسة، أو الإيمان اليهوديِّ على الإيمان المسيحيّ. الثَّاني، إنَّ رفض الله لإسرَائيل ليس رفضًا نهائيًّا (ص ٩)؛ ولا عشوائيًّا (ص ١٠)؛ ولا مُطلَقًا (ص ١١). وعليه، يُميِّز بولس بين إسرَائيل الجسديّ/نسل إبراهيم كأمَّة، وبين إسرَائيل كشعب الله المُختار. ألم يكُن إسماعيل من نسل إبراهيم الجسدي؟ لكنَّه لم يكُن من نسله الرُّوحي، بل إسحاق. كذلك، ألَمْ يكُن عيسو من نسل إبراهيم الجسدي؟ لكنَّه لم يكُن من نسله الرُّوحي، بل يعقوب. وعليه، يجب أن نُميِّز بين إسرَائيل كأمَّة، وإسرَائيل كشعب الله الحقيقيّ الذي يتميَّز بالطَّاعة والإيمان الصَّحيح الصَّادق. كانت علامة الأمَّة الختان الجسدي، بينما علامة الشَّعب الحقيقي

الختان الرُّوحي (تثنية ١٠: ١٦؛ ٣٠: ٦).

في تعليقه على تلك الإصحاحات، يؤكِّد د. ق. رياض قسيس في كتابه (لماذا لا نقرأ الكتاب الذي قرأه المسيح؟ ص ١٣٦) على حقيقتَيْن أساسيَّتَيْن: الأولى، للّه شعبٌ واحدٌ فقط في العهدَيْن القديم والجديد، ولهذا الشَّعب استمراريَّة مبنيَّة على أساس طريقة الخلاص الوحيدة التي أعلنها الله تعالى، وليس لدى الله أيَّة مُحاباة أو تمييز بين شعب وشعبٍ على أساسٍ عرقيّ. الثَّانية، إمكانيَّة اهتداء اليهود إلى المسيح يسوع أمرٌ مُمكن، ولكنَّه غير مُرتبطٍ بأيِّ شكلٍ من الأشكال بعودتهم إلى أرض فلسطين لحدوث ذلك الاهتداء.

وفي كتابه (المجيء الثَّاني للمسيح ونهاية العالم ص ٩٢) يلخِّص د. ق. مكرم نجيب (رومية ٩-١١) في هذه النِّقاط:

١. ليس كلّ اليهود رفضوا المسيح، فهناك بقيَّة أمينة آمَنت به وقَبِلَته.

٢. هدف الله الأساس هو دخول الأمم، وهكذا زال الحاجز بين اليهود والأمم.

٣. خطيَّة إسرَائيل الأساس هي أنَّهم حاولوا الوصول إلى الله بأعمال النَّاموس مُستقلِّين عنه، بعكس الأمم الذين قبِلوا نعمة الله وعمله بثقة كاملة. فإسرَائيل الحقيقي هو إسرَائيل الموعد والإيمان، وليس حسب الجسد.

٤. لقد فشل اليهود في أن

يكونوا واسطة الله في خلاص العالم، وقساوتهم فتحت الباب للأمم، ثمَّ عَمِل قبول الأمم على إغارة اليهود ليرجعوا إلى الله. كلُّ ذلك ضمن قَصد الله.

٥. إنَّ إرادة الله هي خلاص الجميع، وكنيسة الله هي إسرَائيل الجديد بالنِّعمة بالإيمان، يهودًا وأممًا. ويختم بولس تلك الإصحاحات بترنيمة رائعة، عبَّر فيها عن انبهاره الشَّديد بغنى الله وحِكمته وعِلمه وفكره وسلطانه (رومية ١١: ٣٣-٣٦) "يا لعُمق غنى الله وحِكمته وعِلمه...".

إنَّ ملكوت الله شامل للجميع بحسب قول المسيح: "ويأتون من المشارق ومن المغارب، ومن الشَّمال والجنوب، ويتَّكؤون في ملكوت الله" (لوقا ١٣: ٢٩). هكذا قال لليهود: "إنَّ ملكوت الله يُنَزع منكم ويُعطى لأمَّة تعمل أثماره" (متَّى ٢١: ٤٣). أمَّا تلك الأمَّة الجديدة فهي الكنيسة، المجتمع الجديد الذي يحلّ محلّ شعب العهد القديم، وأمَّا ذلك الملكوت فهو ملكوتٌ واحدٌ لا ملكوتان، وأيضًا شعبٌ واحدٌ لا شَعبان. ذلك ما أكَّده بولس في (رومية ٢: ٢٨-٢٩؛ فيلبي ٣: ٢-٣)، حيث رفض فكرة التَّهوُّد كطريقٍ إلى المسيحيَّة، وعرَّف تعريفًا جديدًا لليهوديِّ الحقيقيّ، أيّ شعب اللَّه الذي ارتفع فوق الحدود الجغرافيَّة والعرقيّة والجنسيَّة (غلاطية ٣: ٢٨)، فالجميع واحدٌ في المسيح. كما يقول أيضًا: "كما يقول هوشع أيضًا سأدعو الذي ليس شعبي شعبي، والتي ليسَت محبوبة محبوبة، ويكون في الموضِع الذي قيل لهم لستُم شعبي، إنَّه هناك يُدعون أبناء الله الحيّ" (رومية ٩: ٢٥-٢٦؛ هوشع ١: ١٠؛ إشعياء ٩: ٢٧-٢٩).

سادسًا: إنجيليٌّ مشيخيٌّ عربيّ

لستُ هنا بصدد طرح رأيٍ سياسيٍّ في مسألة النِّزاع العربيّ-الإسرائيليّ بخصوص الأراضي العربيّة المحتلَّة من قِبل إسرائيل الصّهيونيَّة، ولستُ أيضًا بصدد إصدار بيانٍ رسميٍّ يُعبِّر عن وجهة النَّظر الإنجيليّة في الموضوع نفسه. فهذه وتلك لهُما رجالُهما. لكنِّي أطرحُ موقفي كإنجيليٍّ مشيخيٍّ عربيّ:

١. هجرة اليهود إلى أرض فلسطين لا علاقة لها من قريب أو من بعيد بنبوءات العهد القديم، وليسَت لها أيَّة قيمة لاهوتيَّة. وعليه، نؤكِّد عدم اجتزاء نصوص من الكتاب المقدّس لأهداف سياسيَّة، وتبرير أعمال العُنف والظُّلم، وإعطاء صبغة دينيَّة لأعمال القَتل واغتصاب أرض فلسطين.

٢. تهجير أهل فلسطين مِن وطنهم واغتصاب أرضهم أمرٌ لا علاقة له بأبسط القيم الإنسانيَّة، ويتعارض مُعارضة صارخة مع حقوق الإنسان. وبالتَّالي، نُؤكِّد أيضًا عدم إجازة تبرير ذلك التَّهجير بآيات مَبتورة من سياقها، ونبوءات تمَّت في بُعدَيْها التَّاريخيّ والنَّبويّ.

٣. يجب أن يُحَلّ ذلك النِّزاع بالطُّرق السِّلميَّة والمفاوضات العادلة في ضوء القرارات الدَّوليَّة واحترام حقوق الإنسان ونَبذ العُنصريَّة.

٤. دعوة كلِّ مسيحيٍّ عربيٍّ وغير عربيّ، وإنجيليٍّ مشيخيٍّ وغير مشيخيّ، للتَّمسُّك بتعاليم كلمة الله، وأن تُقرأ وتُدرس وتُفصَّل باستقامة، وبضمير مسيحيٍّ ووطنيٍّ أيضًا. والحَذَر من الانسياق وراء مُغالطات لاهوتيَّة تسعى إلى تبرير الأعمال الصّهيونيَّة. وفي الوقت نفسه دعوة كلِّ مسيحيٍّ أمين أن يقدِّم المساعدة، الماديَّة والمعنوية، لكلِّ أخٍ فلسطينيٍّ مُهجَّرٍ غصبًا مِن وطنه.

٥. مُطالبة كلِّ مسيحيٍّ أمين، غربيٍّ وأميركيّ، أن يتبنَّى موقفًا موضوعيًّا مُنصِفًا حيال ذلك الصِّراع، يكون مبنيًّا على وعيٍ صحيح بنظرة الكتاب المقدّس، وتمييز نظرة المسيح ورسله للعهد القديم ونبوءاته ووعود الله فيه.

خِتامًا:

لا يتعامَل الرَّبُّ مع أماكن جغرافيَّة مُحدّدة من دون غيرها، ولا يسكُن في أماكن مصنوعة بالأيادي، لأنَّ "للرَّبِّ الأرض وملؤها، المسكونة وكلُّ السَّاكنينَ فيها" (مزمور ٢٤: ١). وهو ليس عُنصريًّا حتَّى يُميِّز شَعبًا عن شَعبٍ بناءً على جِنْسه. أمَّا العلاقة معه فهي علاقة شخصيَّة، مِن خلالها تَحُلّ البركة بالفرد وللجماعة أيضًا. ويمكن بسبب أخطاء الأفراد وقراراتهم تأتي اللَّعنة على الجماعة.

فاسمَع ختام الأمرِ كلَّه.. ذلك الذي قاله الرَّبُّ بفم نبيِّه إرميا: "تارةً أتكلَّم على أمَّة وعلى مملكة بالقَلعِ والهَدمِ والإهلاك، فترجِع تلك الأمَّة، التي تكلَّمت عليها شَرًّا، فأندَمُ عن الشَّرِّ الذي قصَدْتُ أن أصنعه بها. وتارةً أتكلَّم على أمَّة وعلى مملكة بالبناء والغَرس، فتفعل الشَّرَّ في عينيَّ فلا تسمعُ لصوتي، فأندَم عن الخير الذي قُلتُ إني أحسِنُ إليها به... فارجِعوا كلُّ واحدٍ عن طريقه الرَّديء، وأصلِحوا طرقكُم وأعمالكُم" (إرميا ١٨: ٧-١١).

يا رئيسَ السَّلام وصانِعه، بَيْن السَّماءِ والأرضِ، وبَيْن الإنسانِ والإنسان..

إنَّ المكان الذي استقبَل أنشودة ملائكة السَّماء "على الأرض السَّلام"

مَوجوعٌ بسبب شَرِّ الإنسان، ويفتَقِد إلى السَّلام..

فَأْمُر رؤساء ومَرؤوسي الدُّول، لا سيَّما التي تُعلِن انتسابها إليكَ،

أن يُحوِّلوا سيوفهم إلى مَناجِل، وعوامل التَّدمير إلى وسائل للتَّعمير لخير الإنسان..

وارحَم الإنسان مِن شَرِّ الإنسان.. آمين.

(٣)

الدكتور القسّ

عبد المسيح إسطفانوس

(١٩٢٩-٢٠٢١م)

رحلة من البحث والتعليم

القسّ عيد صلاح

أولًا: السيرة الذاتيّة المختصرة

يُعتبر الدكتور عبد المسيح إسطفانوس (١٩٢٩-٢٠٢١م) صفحة مهمة في تاريخ الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر، وهو من جيل الكبار والأعمدة في الكنيسة المصريّة. وقد تقلَّد كثيرًا من المناصب ولكن لم يبقَ سوى كتاباته التي ستظلُّ مرجعًا لسنوات قادمة. درسنا وتتلمذنا على يديه في كلية اللاهوت الإنجيليّة بالقاهرة، وقرأنا له الكتب التي أصدرها، والمقالات التي كتبها، وهو في كتاباته عميق الفكر وله اتجاه تفكير لاهوتيّ متميز.

ما يميَّز الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس هو حبه الشديد للكنيسة، ودراساته الأكاديميّة الرصينة، ومعاصرته لتاريخ الكنيسة عبر أكثر من ٦٠ سنة منذ حصوله على الدكتوراه حتى رحيله، وقد جرت مياه كثيرة وحدثت فيها تغيرات كثيرة. في الاتصالات التي كان يجريها معي أو في المقابلات الشخصية كنت أشعر بأنني أمام ذخيرةٍ ومنجمٍ من المعلومات التي تراكمت عبر الزمن، وكم طالبته بكتابة خبرته الذاتيّة وسيرته وشهاداته على المرحلة التاريخيّة التي عاصرها وعايشها وأشتبك معها. هذا بخلاف الكتاب "قصة كتاب كفاح أكاديمي ودور العناية الإلهية" الذي سجَّل فيه رحلته الأكاديمية وهو كتاب نادر من نوعه في أسلوب الكتابة العربيّة الإنجيليّة، صدر عن دار الثقافة في القاهرة-وقد استجاب وكتب سيرته الذاتية تحت عنوان: "لمحات من أفضال نعمة اللّه". وهو من خلال موقفه ودراساته وكتاباته يعتبر علامة فارقة في تاريخ الكنيسة الإنجيليّة المشيخية في مصر. مال إسطفانوس للتيار المحافظ، وكان يمثل تيارًا سنودسيًّا قويًّا في مرحلة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

شخصية دكتور عبد المسيح إسطفانوس جمعت ما بين المحليَّة والعالميَّة؛ فهو شخصٌ معروفٌ في مصر، وفي الوقت نفسه معروف دوليًّا؛ نَشَر باللغة العربيّة ونَشَر أيضًا باللغة الإنجليزية. رغم علاقاته الدولية والمناصب الكثيرة التي تقلدها، كان غارقًا في المحليَّة مهمومًا بالكنيسة في مصر مهتمًّا بكافة التفاصيل الصغيرة والكبيرة. تحتاج الكنيسة المشيخيّة في مصر لهذا النموذج الذي يغرس قدميه في البيئة والثقافة المصريَّتَيْن وفي الوقت نفسه يصل بها للعالمية.

كان مشغولًا بكتابة تاريخ

الكنيسة من خلال أبنائها، وهو المشروع الذي تمناه ولم يتحقق في حياته وربما يتحقَّق بعد رحيله. برحيل دكتور عبد المسيح تُطوَى صفحة مهمة من تاريخ الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة في مصر؛ فالتاريخ يتساقط من حولنا قطعة قطعة.

ولد الدكتور القسّ عبد المسيح اسطفانوس في سوهاج في ٢٨ أغسطس ١٩٢٩م، ورقد في الرب يوم ٢٩ نوفمبر ٢٠٢١م. تزوج من الدكتورة إيزيس نصحي بشيري، وقد عاشا معًا ٥٦ عامًا، وله من الأبناء: ابنته دكتورة فيبي وهي أستاذة جامعية في لندن ولها من الأبناء نبيل ولورا، وابنه المهندس فيليب في كندا، وله من الأبناء غبريال وجاكوب.

وفي المسيرة التعليميّة فقد حصل على بكالوريوس "كلية اللاهوت الإنجيليّة" في عام ١٩٥٠م، ثم بعد عامين ١٩٥٢م حصل على بكالوريوس الآداب وعلم النفس والاجتماع في "الجامعة الأمريكيّة بالقاهرة". وفي عام ١٩٥٤م، حصل على ماجستير الدراسات اللاهوتيّة من "كلية اللاهوت بسان فرانسيسكو"، ثم درجة الدكتوراه في الدراسات اللاهوتيّة والفلسفيّة من "كلية اللاهوت ببرنستون" عام ١٩٦٣م. وهو أول من حصل على شهادة أكاديميّة دكتوراه الفلسفة في اللاهوت *PhD* من أبناء الكنيسة المصرية الإنجيلية.

من ناحية الخدمة في الكنيسة المحلية فقد خدم كقسٍّ مساعد بكنيسة حلوان الإنجيليّة ١٩٥٠-١٩٥٢م. ثم راعي كنيسة هور الإنجيليّة بملوي ١٩٥٤-١٩٥٨م، وخدم كقسّ وراعٍ في المستشفى الأمريكي بطنطا ١٩٥٨م. كما اهتم بعد ذلك بتدريب قيادات الكنيسة المحلية من قسوس وشيخ في مؤتمرات خاصة بالعقيدة المشيخيّة لسنوات طويلة.

ومن ناحية الخدمات العامة فكان مديرًا عامًّا لدار الكتاب المقدّس بمصر ١٩٦٣-١٩٨٩م. وهو أول مدير وطنيّ في القارة الأفريقيّة، وقد أنشأ في تلك الفترة أول مجلس إدارة لدار الكتاب المقدّس من كل الطوائف. ثم خدم بعد ذلك كمستشار للترجمة بدار الكتاب المقدّس بمصر، ١٩٨٩-١٩٩٤م. وأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيليّة القاهرة لمدة ٤٤ عامًا من ١٩٦٥-٢٠٠٩م، ورأس لجنة الدراسات اللاهوتيّة بها. وقد شغل منصب سكرتير الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر، سنودس النيل الإنجيليّ، ثم رئيسًا له في دورتين، ورأس مجلس العمل الرعويّ والكرازيّ بسنودس النيل الإنجيليّ لدورتَيْن متتاليتَيْن. هذا بالإضافة إلى مناصب مختلفة في مجلس الكنائس لعموم أفريقيا، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، ومجلس الكنائس العالميّ، إضافة إلى حضوره ومشاركته في كثيرٍ من المؤتمرات المحليّة والإقليميّة والدوليّة.

وقد قدَّم من الكتب والمؤلفات والترجمات والمقالات والأبحاث. بجانب مؤلفاتٍ ومقالاتٍ كتابيةٍ

ولاهوتيةٍ عظيمةٍ، وترجمة الكتاب المقدّس ١٩٨٩م. له عديد من الكتابات في مجلَّتَيْ: الهدى وأجنحة النسور، وأتمنى أن تُجمَع هذه الكتابات له في كتب للاستفادة منها. كان متفرغًا للدراسة والعمل بلا كللٍ طوال حياته، لم يتقاعد أبدًا. وقد كتب مقدماتٍ كثيرةً للكتب التي كانت تصدر من الرابطة الإنجيليّة في الشرق الأوسط (ميرف)، وهذه المقدمات كانت عبارة عن دراسة للكتاب المترجم وتقديم له. كان لدى دكتور إسطفانوس نسق لاهوتي متكامل، ظهر ذلك في كتاباته ودراساته وحواراته.

عكف إسطفانوس على تنقيح ترجمة فاندايك للعهد الجديد، وهو مشروعٌ طَموح كان من ضمن دراساته وأبحاثه المتميزة التي ركزت على دور المسيحيين العرب، والاهتمام بالكتابات العربيّة المسيحيّة والترجمات للكتاب المقدّس إلى اللغة العربيّة، بصفة خاصة في كتاباته، وقد ظهر اهتمام إسطفانوس بالكتاب المقدس في الثقافة العربية وملامح هذا المشروع في كتابيه: "تقديم الكتاب المقدّس للقارئ العربيّ: تاريخه، صحته، ترجماته، ١٩٩٤م"؛ "المسيحيّة والمسيحيّون واللغة العربيّة في القرون الأولى حتى سنة ٦٠٠م".

وقد أصدر دار الكتاب المقدّس في مصر بعضًا من هذه الترجمات في نموذجين: إنجيل متى "طبعة دراسيّة"، ١٩٨٦م؛ إنجيل مرقس "طبعة دراسيّة"، ١٩٨٧م، وجاء في صدر هذه الترجمة المنهاجية التي اتبعت في الآتي: لقد خدمت ترجمة البستاني- فاندايك الشرق العربي أكثر من مئة وعشرين سنة ولا تزال، غير أنها تحتاج إلى إخراج وتبويب جديدَيْن مع بعض تنقيح على ضوء ما استجد من دراساتٍ في حقل الكتاب المقدس لتبقى ترجمةً مواكبةً للعصر ووافيةً بحاجات الكنائس الشرقية، ومن أجل تحقيق هذا الهدف الجليل قامت لجنة من قبل دار الكتاب المقدس بالعمل على إخراج وتبويب هذه الترجمة وفق الخطوات التالية:

١- تضمَّن النصّ مساعدات القراءة -علامات الترقيم- كالفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب والأهلة أو الأقواس المفردة والمزدوجة.

٢- وضع عناوين للمقاطع والفقرات ليسهل البحث عن مواضيع الكتاب المقدّس.

٣- وضع الشواهد للمواضيع المتوازية في البشائر الأربع تحت العناوين، إضافة إلى شواهد العهد القديم في الحاشية.

٤- وضع ملاحظات في الحاشية تُعنى بتوضيح النصّ وشرحه في المواضع الصعبة، أو إذا كان ثمة ترجمة أخرى للنصّ، أو تسجيل قراءة أخرى واردة في نصوص يونانيّة مهمة قديمة ودقيقة اكتُشِفت بعد القيام بهذه الترجمة.

٥- تنقيح النصّ وضبطه في بعض المواضع المهمة وفي عدد من المواضع غير المهمة ليكون أقرب إلى النصّ اليونانيّ.

٦- تحديث الكلمات القديمة مثل: صلوة -صلاة، حيوة -حياة... إلخ.

٧- ترتيب المقاطع الشعرية ترتيبًا عموديًا.

كما جاء في صدر هذه الترجمة لإنجيل متى على سبيل المثال "المختصرات المعتمدة" وهي: (في: أ، م: في أهم المخطوطات)، (في: ب، م، م: في بعض أهم المخطوطات)، (في: ب، م، م، م: في بعص المخطوطات المهمة المتأخرة)، (قا: قابل، قارن)، (حر: حرفيًا)، (أي: توضيح، تفسير)، (أو: يمكن أن تترجم بـ.)، (...): الكلمات الموجودة بين قوسين لم ترد في أقدم المخطوطات اليونانية وأهمها. (*): نجمة فوق الكلمة تفيد أنَّ ثمة ملاحظة في الحاشية. ومن خلال هذه المختصرات المعتمدة يظهر أن تنقيح ترجمت فانديك أخذ بفكرة ومبادئ نقد النصّ Textual Critsism وقد أبقى المشروع على ترجمة فانديك وقام بعمل نقد لنصوصها ولا سيما في العهد الجديد.

وقد أشار طيب الذكر د. ق مكرم نجيب إلى هذه الترجمة ونشر في كتابه: "رؤية الإيمان وتحديات الواقع دراسة في رسالة يعقوب"، الصادر عن دار الثقافة بالقاهرة في ٢٠٠٥م، ملحقًا بها ترجمة الرسالة من هذا المشروع، عنونها بـ"ترجمة حديثة لرسالة يعقوب" ومشيرًا في الهامش ص ١٨٩ بأنها ترجمة رسالة يعقوب للدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس والدكتور القسّ غسان خلف (١٨٩-١٩٧).

وهذا المشروع كان مع طيب الذكر الدكتور القسّ غسان خلف، وقد كتب خلف كتابًا مهمًّا يحوي ملامح هذا المشروع في كتابه: "أضواء على ترجمة البستاني فانديك (العهد الجديد)" صدر عن جمعية الكتاب المقدس، بيروت لبنان ٢٠٠٩م. وقد وضع خلف في هذا الكتاب فلسفة تنقيح ترجمة فانديك، وكيف تكون، والأمثلة على ذلك.

ولكن في المجمل هذا المشروع -تنقيح ترجمة فانديك- لم يظهر للنور بعد، والسبب هو ربما يرجع الحساسية التي يلاقيها المجتمع المسيحيُّ في مصر من ظهور ترجماتٍ جديدة، أو ظهور ترجماتٍ بها تنقيح على الترجمات الموجودة، أتمنى أن نحصل على هذه الترجمة وتتاح في نشرةٍ نقديّةٍ خاصة. وأتمنى أن يظهر مشروع إسطفانوس وغسان خلف للنور يومًا ما، ويكون متاحًا للباحثين المهتمين بهذا الدور البحثيّ في مجالات الترجمة.

من ناحية التأليف والترجمة نجد أن دكتور عبد المسيح إسطفانوس مؤلف ومترجم لأكثر من ١٩ كتابًا ودراسة منشورة في كتب، ساهم في اللاهوت المصلح والمسيحيّة المصريّة، وقد ظهر ذلك في

دوره الكبير في صياغة إقرار إيمان لاهوتٍ مصريٍّ إنجيليٍّ معاصر، وكان ذلك نتيجة لما قام به من دراسات مثل: "قوانين الإيمان وإقراراته ودورها وتأثيرها في الكنيسة"، ٢٠١٧م، وخطابه الذي ألقاه في حفل تخرج كلية اللاهوت الإنجيليّة بالقاهرة عام ١٩٨٢م: "نحو علم لاهوت إنجيليّ مصريّ معاصر."

ألَّف كتابه الأخير في أوائل عام ٢٠٢١، وواصل بحثه لكتاب جديد قبل أسبوع من وفاته، مع العديد من الفصول المكتوبة في أثناء وجوده في المستشفى. وسنفرد في هذه الدراسة مسردًا للكتابات التي كتبها إسطفانوس سواء من تأليفه باللغتين: العربيّة أو الإنجليزية، والتي لم تنشر بعد. وقد فعلت ما في وسعي للحصول على قائمة كاملة للكتب التي أصدرها، وإذا ظهرت كتابات أو ترجمات بعد ذلك فيمكن إضافتها على هذه القائمة عند تحديث هذه الدراسة.

بصفة شخصية استفدت كثيرًا من الدكتور عيد المسيح إسطفانوس في كل لقاء أو مكالمة كان يمدني بمعلومات غزيرة، وكان دائم التشجيع لي وكان يرى فيَّ إمكانية كتابة تاريخ الكنيسة الإنجيلية بمصر، وها أنا أقوم بكتابة صفحة مهمة من تاريخ الكنيسة حين أكتب عنه .ورؤيتي في الدكتور عيد المسيح أنه كان في إمكانه تزويد المكتبة العربية بكتب أكثر وترجمات أوفر لمنابع الفكر المصلح لما كان يمتلكه من مهارات وإمكانيات كبيرة، ولكن انشغاله بخدمة العمل الإداري في الكنيسة أخذ منه وقتًا كبيرًا.

في رحيله ذكر الدكتور القسّ أندريه زكي هذه الكلمات عنه: إنَّ الطائفة الإنجيليّة في مِصر فقدتْ المعلِّمَ الأبَ، الذي كرَّس حياته معلِّمًا لأجيالٍ كثيرةٍ بكلِّ تفانٍ وإخلاصٍ، وساهمَ في إثراء المكتبةِ المسيحيّةِ بمؤلفاتٍ ومقالاتٍ كتابيةٍ ولاهوتيّةٍ عظيمةٍ، فهو علامةٌ هامةٌ للكنيسةِ الإنجيليّة العامة.

ثانيًا: كتابات الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس

أسهمَ عبد المسيح إسطفانوس في إثراء المكتبةِ المسيحيّة بمؤلفاتٍ ومقالاتٍ كتابيةٍ ولاهوتيّةٍ عظيمةٍ، فهو علامةٌ هامةٌ للكنيسةِ الإنجيليّة العامة. وترك للكنيسة إرثًا لاهوتيًّا بمجموعةٍ من الكتابات المتميِّزة، وقد تميَّزت كتاباته بالتركيز على البعد اللاهوتيِّ من منظورٍ عربيٍّ ولا سيَّما اللاهوت المصلح، وفي هذه الدراسة نُقدم سردًا لهذه لكتابات التي أصدرها في التأليف باللغتين العربيّة والإنجليزية، والترجمة، وما لم ينشر بعد.

ويمكن تصنيف اهتماماته في الكتابة في أربعة اتجاهات: اللاهوت الإنجيليّ المصلح، الترجمات العربيّة للكتاب المقدّس، تاريخ الفكر المسيحيّ، أهمية دراسة المخطوطات. ومسرد هذه الكتابات هي:

أولًا: التأليف باللغة العربيّة

١- **تقديم الكتاب المقدّس للقارئ العربيّ: تاريخه، صحته، ترجماته** (صدر عن

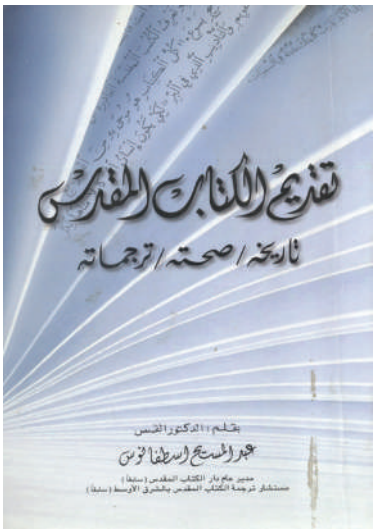

دور الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٩٤م) يقع الكتاب في ١٢٠ صفحة من القطع الصغير. ثم صدر في طبعة أخرى بعنوان: **تقديم الكتاب المقدّس للقارئ: تاريخه، صحته، ترجماته** (القاهرة: دار الكتاب المقدّس بمصر، ٢٠٠٨م)، في ١٤١ صفحة من القطع الصغير. ومن الواضح أنه تمّ حذف كلمة "العربيّ" من العنوان في الطبعة الثانية.

٢- **الإنجيليّون أسماء ومفاهيم** (القاهرة: مركز دراسات مسيحيّة الشرق الأوسط-كلية اللاهوت الإنجيليّة بالقاهرة، ٢٠١٤م)، تحرير وجيه يوسف ورمسيس تواب، طبعة خاصة بمناسبة مرور ١٥٠ سنة على تأسيس كلية اللاهوت الإنجيليّة بمصر، يقع الكتاب في ١٦٤ من القطع المتوسط. وكان قد صدرت منه نسخة من قبل عن (القاهرة: مجلس الإعلام والنشر سنودس النيل الإنجيليّ، ٢٠٠٧م) في ٤٧ صفحة من القطع الصغير، وقد كتبه بمناسبة الاحتفال بمرور مائة وخمسين سنة على العودة للتسمية الإنجيليّة بمصر.

٣- **رسامة المرأة قسّيسًا و"كهنوت جميع المؤمنين"**، الدكتور القسّ عبد المسيح إسطفانوس، في كتاب: "رسامة المرأة قسًّا بين النصّ والواقع"، إعداد القسّ عيد صلاح (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٤م)، ١٦١-١٦٣.

٤- **المسيحيّة والزوجة الواحدة تساؤلات وإجابات** (دار الثقافة: القاهرة، ٢٠٠٠م) عدد الصفحات ٥٢ من القطع الصغير.

٥- **تاريخ الفكر المسيحيّ في القرن الأول** (المؤلف: القاهرة، ٢٠١٢م) عدد الصفحات ٢٩٤، القطع الكبير.

٦- **أديرة الصعيد وكنوز في جرار مخطوطات دير الأنبا باخوميوس المعروفة باسم مخطوطات بودمار** (القاهرة: المؤلف، ٢٠١٢م). تقديم نيافة الأنبا بيشوي سكرتير المجمع المقدّس للكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة بمصر، عدد الصفحات ٧١. القطع الصغير.

٧- **المسيحيّة والمسيحيّون واللغة العربيّة في القرون الأولى حتى سنة ٦٠٠م** (**القاهرة: المؤلف، د. ت**). يقع الكتاب ٩٥ صفحة من القطع الصغير.

٨- **مفاهيم معاصرة ١٥٠ عامًا على ترجمة البستانيّ فان دايك** (القاهرة: المؤلف، د. ت)، يقع الكتاب في ٧٧ صفحة من القطع الصغير.

٩- **مخطوطات البهنسا مصر في العصر الفرعونيّ إلى القرن السابع لمحة من خلال آثار البهنسا ومخطوطات كنائسها وأديرتها**، تحرير وجيه يوسف (القاهرة: مركز دراسات مسيحيّة الشرق الأوسط-كلية اللاهوت الإنجيليّة بالقاهرة، ٢٠١٣م)، يقع في ٦٠ صفحة

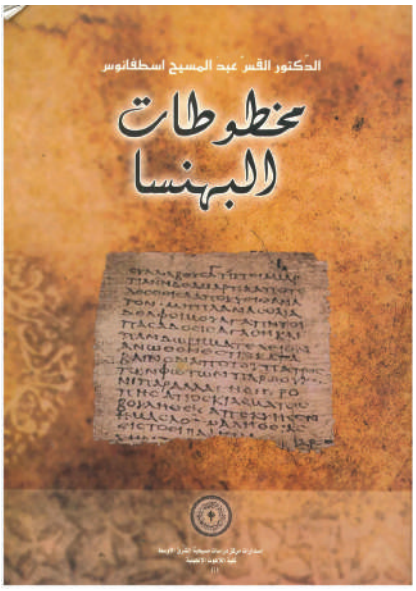

من القطع الكبير. وصدر هذا الكتاب أيضًا في طبعة أخرى تحت عنوان: **البهنسا لمحة من تاريخ المسيحيّة بمصر آثار البهنسا ومخطوطات كنائسها وأديرتها مع دراسة لمخطوطة تشستر بيتي** (القاهرة: المركز الثقافيّ القبطيّ الأرثوذكسيّ، ٢٠١٧م). قدَّما لهذه النسخة نيافة الأنبار إرميا الأسقف العام ورئيس المركز القبطيّ الأرثوذكسيّ ونيافة الأنبا أثناسيوس أسقف بني مزار.

١٠- **مقدِّمات علم اللاهوت** (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢٢)، يقع الكتاب في ١٢٤ صفحة من الحجم المتوسط.

١١- **قوانين الإيمان وإقراراته ودورها وتأثيرها في الكنيسة** (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٧م)، يقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير.

١٢- **الغنوسيّة وتوابع معاصرة لتسونامي: شفرة دافنشي**، سلسلة الأغصان، مجلة الهدى، القاهرة مجلس الإعلام والنشر، سنودس النيل الإنجيليّ، ٢٠١٦م، يقع الكتيب في ٤٢ صفحة من القطع الصغير.

١٣- **الإرشاد الإلهيّ** (القاهرة: اللجنة العامة للاحتفال بـ ٥٠٠ عام على الإصلاح الإنجيليّ، ٢٠١٧م)، يقع الكتاب في ٧٤ صفحة من القطع الصغير.

١٤- **شهداء الإصلاح بين شهداء الماضي وشهادة الحاضر** (القاهرة: اللجنة العامة للاحتفال بـ ٥٠٠ عام على الإصلاح الإنجيليّ، ٢٠١٧م)، يقع الكتاب في ١٠٣ صفحة من القطع الصغير.

١٥- **نحو علم لاهوت إنجيليّ مصريّ معاصر، خطاب كلية اللاهوت الإنجيليّة عام ١٩٨٢م**، تم إعادة نشره بنفس العنوان عن دار الفكر الإنجيليّ، في ٣٤ صفحة من القطع الصغير. نتج عن هذا الخطاب بعد ربع قرن من الزمان ورحلة طويلة من الدراسة: "**إقرار الإيمان الإنجيليّ للكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر**" (القاهرة: مجلس العمل الرعويّ والكرازيّ، ٢٠٠٧م)، يقع الكتاب في ١٣٤ من القطع المتوسط.

١٦- **قصة كتاب: كفاح أكاديميّ وتدخلات العناية الإلهيّة** (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢١م)، ويقع الكتاب في ١٣٣ صفحة من القطع الصغير.

١٧- **الهويّة اللاهوتيّة للكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر**، في كتاب: **دساتير الكنيسة الإنجيليّة بمصر نصّوص ووثائق ١٨٧٩-٢٠١٥م**، تحرير وتقديم عيد صلاح (القاهرة: المجلس القضائيّ والدستوريّ، ٢٠١٦م)، ١٧-٢٢.

ثانيًا: الترجمات إلى اللغة العربيّة

١٨- **بين العقل والإيمان الجزء الأول كيف نفهم إعلان الله، هيرمان بافينيك** (بيروت:

مطبوعات الشرق الأوسط، ١٩٩٠م)، يقع الكتاب في ١٨٧ من القطع الصغير.

١٩- رسالتا غلاطية وأفسس، سلسلة تفسير العهد الجديد، وليم باركلي (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٠م)، يقع الكتاب في ٢٨٤ من القطع المتوسط.

ثالثًا: التأليف باللغة الإنجليزيّة

20- Abd-el-Masih Istafanous. *Calvin's Doctrine of Biblical Authority*. U.S.A. Wipf & Stock, an Imprint of Wipf and Stock Publishers, 2016.

رابعًا: ما لم ينشر بعد

٢١- لمحات من أفضال نعمة الله، سيرته الذاتيّة كتبها بخط يده. لم تُنشر بعد.

٢٢- المذاهب الإنجيليّة في مصر، كورس كان يُقَدَّم في كلية اللاهوت الإنجيليّة بالقاهرة، لم يُنشر بعد.

ختامًا

هذه دراسة أولية عن شخص الدكتور القسّ إسطفانوس، وهي لا تفي كل الأغراض المطلوبة لكن أعتقد بها الكثير من المعلومات الموثقة التي يمكن البناء عليها مستقبلًا، أكتب هذه الدراسة وأنا ممتن لشخص الدكتور عبد المسيح إسطفانوس لما قدمه لي ولجيلي من اهتمام خاص وما قدمه للكنيسة من اهتمام عام، فحياته كانت حافلة بكثيرٍ من الإنجازات والعطاءات.

أتقدم بالشكر للأصدقاء الأعزاء من ساعدوني بصورة أو بأخرى في جمع هذه المعلومات وهم: القسّ أمير ثروت، القسّ أمين شمعون، القسّ إميل نبيل، القسّ وفيق وهيب، القسّ نصر الله زكريا، الشيخ يوسف ناثان.

(٤)

القسّ أمير إسحق (١٩٥٨-)

رحلة من الرعاية والكتابة

القسّ عيد صلاح

مُقَدِّمَةٌ:

عندما ذهب للخدمة الصيفيّة (التدريب الصيفيّ) في الكنيسة الإنجيليَّة في قرية العضايمة-إسنا، قنا في صيف ١٩٩٢م سمعت كثيرًا عن القسّ أمير إسحق بخصوص خدمته وتميزه، ولكنني لم ألتق به، فقد دُعيَ للخدمة في الكنيسة الإنجيليّة في الجيزة، بعد ذلك ذهب للخدمة في سنودس سوريا ولبنان، وكنت أقرأ له ما يكتبه في مجلة النشرة الإنجيليَّة التي تصدر في بيروت، حيث تميز في العمل الإعلاميّ، والكتابة الرصينة، والتحرير والتدفيق اللغويّ، وتمكّن من اللغة العربيّة تمكنًا كبيرًا. وقرأت له كثيرًا من الكتب والمقالات والدراسات، إنها رحلة حافلة بالرعاية والكتابة في مصر ولبنان، وجدير أن نقترب منها فيما يلي:

أولًا: السيرة الذاتيّة المختصرة

وُلِدَ القسّ أمير إسحق في ٢٨ أكتوبر ١٩٥٨م ملوي-المنيا، وتخرَّج في كليَّة اللَّاهوت الإنجيليّة في القاهرة 1982م؛ وفي كليَّة الآداب قسم اجتماع جامعة الإسكندريَّة ١٩٨٩م؛ وفي كليَّة الحقوق جامعة الإسكندريَّة ١٩٩٦م. خدم **راعيًا** للكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة في إسنا والعضايمة١٩٨٤ - ١٩٩١م؛ ثمَّ للكنيسة الإنجيليّة في الجيزة والورَّاق ١٩٩١-١٩٩٦م؛ ثمَّ للكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة في اللَّاذقية-سورية ١٩٩٦-٢٠٠٥م؛ ثمَّ للكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة في صور وعلما الشَّعب-لبنان ٢٠٠٥-٢٠٢٠م.

- انتُخِب رئيسًا لمجلس **الإعلام والنَّشر** في السِّينودس الإنجيليّ في سوريا ولبنان لمدَّة ٢٠ سنة ١٩٩٧-٢٠١٣م؛ ٢٠١٦-٢٠٢٠م
- عضو في هيئة تحرير مجلَّة "**النَّشرة**" طوال مدَّة رئاسته لمجلس الإعلام والنَّشر في سينودس سوريا ولبنان؛ وكاتب لعديدٍ من المقالات فيها.
- عضو هيئة تحرير مجلَّة "**الهُدى**" التَّابعة لسنودس النِّيل الإنجيليّ، وكاتب لعديدٍ من المقالات فيها.
- تأسيس وتدريب **فريق ترنيم** من ٢٠ عضوًا في كنيسة اللاذقيَّة- سوريا، ثمَّ في كنيسة علما الشَّعب- لبنان، قدَّم عديدًا من الخدمات؛ و١٤ كانتاتا شرقيَّة في المناسَبات الكنسيَّة، حيث قام بإعدادها وتلحينها.
- مؤسِّس مجموعة "**غزالة** لخدمة وتدريب الإنسان" مع زوجته في الكنيسة الإنجيليّة في صور- لبنان، لخدمة وتعليم الأطفال

النَّازحين من سوريا، ورعاية وتدريب السَّيِّدات في عديدٍ من الأعمال اليدويَّة والحِرفيَّة.

- تأسيس فريق **المسرح الأسود** من ١٥ عضوًا في كنيسة علما الشَّعب- لبنان، قدَّم عديدًا من المسرحيَّات، التي قام بتأليفها وإخراجها.
- تخرَّج في معهد حجَّاي الدَّولي ٢٠١٤م، وترأَّس رابطة خرِّيجي حجَّاي في لبنان ٢٠١٦-٢٠٢٠م ومُحاضِر في كورس الوكالة.
- تعيَّن مسؤولًا عن مركز مرثا روي للعبادة التَّابع لكليَّة اللَّاهوت الإنجيليّة في القاهرة ٢٠٢٠-٢٠٢٣م وحاضر في موضوعات العبادة في عدَّة كنائس ومؤتمرات.

ثانيًا: العائلة الصَّغيرة:

زوجته إستر فؤاد، مهندسة زراعيَّة. تزوَّج في ٢٢/ ١١/ ١٩٨٤م وأنجب رفيق، الابن الوحيد، في ٢٢/ ١١/ ١٩٨٥م الذي أتمّ دراسته الجامعيَّة في مصر هندسة كمبيوتر، ثمّ عمل في الإمارات العربيّة قبل أن ينتقل إلى أميركا. تزوَّج كارن في ٢٢/ ١١/ ٢٠١٧م وخلال خمس سنوات أصبح للقس أمير ثلاثة أحفاد: ليو؛ ليكسو؛ ماكس. يعيشون في أوهايو- أميركا.

ثالثًا: الاختبار والدَّعوة

الاختبار والدعوة لدى القسّ أمير إسحق في ثلاث مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: النشأة

وُلِد في عائلة مسيحيّة مُنتظمة في حضور الكنيسة في ملَّوي. كان جدِّه قسيسًا إنجيليًّا في كنيسة الله في كفر الدَّوار. كان مسيحيًّا بحسب الميلاد والانتماء العائلي، وفي ٢٧ يناير ١٩٧٧م حضر مؤتمرًا روحيًّا لشباب كنيسة الله في سنتر الأولاد في أسيوط. هناك تعرَّف شخصيًّا على المسيح كمخلِّص شخصي لحياته، وبدأ معه علاقة جديدة غير العلاقة الرُّوتينيَّة السَّابقة. بدأ ينمو في معرفته ومعرفة كلمته على يد كثيرٍ من الخدَّام. كان التَّرنيم والموسيقى أحد أكثر الأشياء التي جذبته للمسيح ولخدمته، حتَّى بدأ يتعلَّم العَزف مبكِّرًا، وظهرت موهبته في التَّلحين وهو في سنّ ثانوي.

المرحلة الثَّانية: الدعوة والخدمة

في عام ١٩٧٨م شعر بدعوة للخدمة كقسيس وراعٍ، فالتحَق بكليَّة اللَّاهوت الإنجيليّة في القاهرة بتشجيع كبير مِن والده. تخرَّج فيها عام ١٩٨٢م ثمَّ رُسِمَ قسيسًا في أوَّل خدمة رعويَّة في إسنا في ٥ أكتوبر ١٩٨٤م واستمتع بخدمة الرَّبّ فيها وفي مجمع الأقاليم العليا لسَبع سنوات، قبل أن ينتقل إلى القاهرة، ثمَّ إلى سينودس سوريا ولبنان لعشر سنوات في اللَّاذقية-سوريا؛ ثمَّ خمس عشرة سنة في صور وعلما الشَّعب- لبنان.

ثمَّ عاد إلى أرض الوطن الحبيب مصر سنة ٢٠٢٠م اختبر في تلك المرحلة أوقاتَ ضعف وضيق وظُلم، وفي جميعها علَّمه الرَّبُّ ما لم يتعلَّمه في أوقات النَّجاح والتَّمتُّع بالحصاد والثَّمر، وكان

الرَّبُّ يُخرجه في كلِّ مرَّة بقوى جديدة مُتجدِّدة.

المرحلة الثَّالثة: العودة لمصر وخدمات خاصة

بدأ منذ عودته إلى مصر مرحلة جديدة، والتحق بالخدمة كمسؤول عن مركز مرثا روي للعبادة، حيث أعطاه الرَّبّ فرصة لخدمة مُختلفة عن العمل الرَّعوي. وبينما انتهَت تلك الخدمة في بداية ٢٠٢٤م، حيث كان يستعدّ للسَّفر والاستقرار مع ابنه رفيق في أميركا، جاء التَّكليف من السّنودس بمهمَّة صعبة في كنيسة قنا لمدَّة عام. لم يستطِع أن يقاوم تلك الدَّعوة بسبب الحنين إلى مكان بداية الخدمة بعد أربعين سنة (١٩٨٤-٢٠٢٤م). وقد أوشك ذلك التَّكليف على انتهائه عند تدوين هذه السُّطور.

رابعًا: المواهب والإمكانيَّات

مَحاور حياته الخمسة الأساسيَّة على حرف الميم: المخدَع؛ المكتَب؛ المنبَر؛ الموسيقى؛ المسرَح الأسود. أمَّا المواهِب الخمس التي وهبَه اللّه إيَّاها لمجده فهي: العَزف؛ التَّلحين؛ الكتابة؛ الإخراج؛ إعداد برامج.

خامسًا: الكتابات والإنتاج الفكريّ

١. **أشياء عسرة الفهم** (دمشق: الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة الوطنيّة في اللَّاذقيَّة–مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٤م). قطع متوسِّط ٧٤ صفحة.

٢. **الإيمان والغفران**، مناصفة مع القسّ محسن نعيم. (دمشق: الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة الوطنيّة في اللَّاذقيَّة–مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٥م). قطع صغير ١١٢ صفحة.

٣. **كلّ العيلة الإصدار الأوَّل**، أربعة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٣م)، قطع متوسِّط ٣٦٦ صفحة.

٤. **كلّ العيلة الإصدار الثَّاني**، ستَّة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٤م)، قطع متوسِّط ٣٦٨ صفحة.

٥. **كلّ العيلة الإصدار الثَّالث**، أربعة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٥م)، قطع متوسِّط ٣٦٨ صفحة.

٦. **كلّ العيلة الإصدار الرَّابع**، ستَّة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٦م) قطع متوسِّط ٣٦٦ صفحة.

٧. **كلّ العيلة الإصدار الخامس**، مُناصفة مع ش. جورج ميسي (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٧م) قطع متوسِّط ٢٣٧ صفحة.

٨. **كلّ العيلة الإصدار السَّادس**، خمسة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٨م) قطع متوسِّط ٣٦٨ صفحة.

٩. **كلّ العيلة** الإصدار السَّابع، خمسة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠٠٩م) قطع متوسِّط ٣٧٠ صفحة.

١٠. **كلّ العيلة** الإصدار الثَّامن، خمسة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠١٠م) قطع متوسِّط ٣٧٠ صفحة.

١١. **كلّ العيلة** الإصدار التَّاسع، خمسة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠١١م) قطع متوسِّط ٣٧٠ صفحة.

١٢. **كلّ العيلة** الإصدار العاشر أربعة أقسام من سبعة (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠١٢م) قطع متوسِّط ٣٧٠ صفحة.

١٣. **علامات أساسيَّة في الحياة المسيحيّة** (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠١٨م). قطع متوسِّط ١٥٥ صفحة.

١٤. **شغَّل عقلك في الأمثال والأعمال** (دمشق: السِّينودس الإنجيليّ الوطنيّ في سوريا ولبنان– مطبعة باب توما دمشق، ٢٠١٩م)، قطع متوسِّط ٢٧٣ صفحة.

١٥. **شخصيَّات في أعمال الرُّسل** (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢١؛ ٢٠٢٢م) قطع متوسِّط ١١٤ صفحة.

١٦. **الشَّرارة الأولى دراسة في أعمال الرُّسل جزء أوَّل** (القاهرة: دار رجاء للجميع للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م)، قطع متوسِّط ٥٣٠ صفحة.

١٧. **أسئلة مُحيِّرة** (القاهرة: دار رجاء للجميع للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م)، قطع متوسِّط ٢٢٠ صفحة.

١٨. **عابدين الرَّبّ** (القاهرة: دار رجاء للجميع للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م)، قطع متوسِّط ٢٧٤ صفحة.

١٩. **المراسيم الكنسيَّة في الكنيسة الإنجيليّة.** مُناصفة مع د. ق. صموئيل رزقي (القاهرة: دار رجاء للجميع للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م)، قطع متوسِّط ٢٠٠ صفحة.

٢٠. **بركات الأزمات في الملكوت** (القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٢٥م)، قطع متوسِّط ٧٠ صفحة.

٢١. **يردُّ نفسي** (القاهرة: دار رجاء للجميع للنشر والتوزيع، ٢٠٢٥م)، قطع متوسِّط ١٧٥ صفحة.

٢٢. **رؤية في الرُّؤيا دراسة في سفر الرُّؤيا-الجزء الأوَّل** (القاهرة: النَّاشر دار رجاء للجميع للنَّشر والتَّوزيع، ٢٠٢٥م)، قطع متوسِّط 140 صفحة.

أهم إصدارات **دار الثقافة** بالهيئة القبطية الإنجيلية

صدر حديثًا

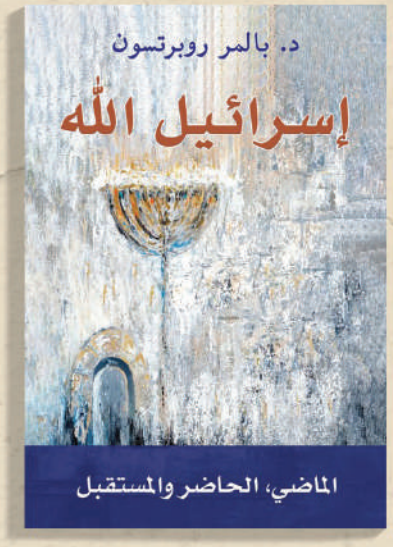

العنوان: الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية

العنوان البريدي: مربع ١٣٣١ ش. الدكتور أحمد زكي - النزهة الجديدة

تليفون: ٠٢ ٢٦٢٢١٤٢٥/٦/٧/٨

فاكس: ٠٢ ٢٦٢٢١٤٣٤

الموقع الإلكتروني: en.ceoss-eg.org

البريد الإلكتروني: info@ceoss.org.eg